



مكتبة 1654

الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

Book #4

أمر القتل

THE KILL ORDER

جيمس داشنر

ترجمة: تامر م. فتحي





الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

مكتبة | 1654

أمر القتل THE KILL ORDER

جيمس داشتر

ترجمة: تامر م. فتحي





لتجارة الكتب

إدارة التوزيع

© 00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● ترجمة: تامر م. فتحي

● مراجعة وتحريز: محمد الجيزاوي

● تدقيق لغوي: نهال جمال

● تنسيق داخلي: معتر حسنين علي

● الطبعة الأولى: سبتمبر / 2022م

● رقم الإيداع: 2021/25018م

● الترقيم الدولي: 2-73-6902-977-978

● العنوان الأصلي: The Kill Order

● العنوان العربي: أمر القتل

● طبع بواسطة: Delacorte Press

● طبع بواسطة: ديلاكورت بريس

● حقوق النشر: 2012، جيمس داشنر
Copyright © 2012 by James Dashner

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

29 11 2024 مكتبة
t.me/soramnqraa

أمر القتل

الكتاب الرابع في السلسلة ..
تستمر الحكاية مع مكتبة .. سجل الآن

انضم ل مكتبة .. اصحح الكود
telegram @soramnqraa



إلى كاثي إيجان..

أفتقدك بشدّة.

تمهيد مكتبة

t.me/soramnqraa

نظرت تيريسا إلى صديقها الأعزّ وتساءلت كيف سيصبح الحال عندما تنساه.

بدا الأمر مستحيلًا، على الرغم من أنها رأت عملية زرع الشريحة في أدمغة العديد من الصُّبية قبل توماس.

بشعره البنيّ بلون الرمل وعينه الثاقبتين وملامحه البادي عليها التأمّل دومًا، كيف يصبح هذا الصبّي غريبًا عنها؟! كيف لهما أن يكونا بنفس الغرفة دون أن يمزحا بشأن رائحة ما أو يسخرا من أحد الكسالى الساذجين في الجوار؟ كيف لها أن تقف أمامه دون أن تقتنص فرصة التخاطر معه؟ مستحيل!

وعلى الرغم من ذلك، لم يبقَ سوى يوم واحد، بالنسبة إليها، أمّا بالنسبة إلى توماس، فدقائق قليلة.

تمدّد على طاولة العمليات، عيناه مغلقتان، يعلو صدره ويهبط بأنفاس خافتة منتظمة، يرتدي الزي الرسمي الإلزامي لمنطقة الجلايد بالفعل، البنطال القصير والتي شيرت. بدا كصورة من الماضي: ولد عادي يأخذ قيلولة عادية بعد يوم طويل في مدرسة عادية، قبل أن يقضي الوهج الشمسيّ والمرض على كل ما هو عادي، قبل أن يجعل الموت والدمار من خطف الأطفال - وسرقة ذكراهم- وإرسالهم إلى مكان مرعب كالمناهة، ضرورة حتمية.

قبل أن تُعرّف الأمخاخ البشرية بالمقاتل، وتصبح بحاجة لمراقبتها ودراستها.

كل ذلك بدعوى العلم والطب.

أعدَّ توماس للعملية طبيبٌ وممرضة، والآن يُدنيان القناع من وجهه.

كانت هناك أصوات طقطقة وهسيس وصفير، راقبت تيريسا المعدن والأسلاك والأنابيب البلاستيكية تسعى كحيَّة على جلده وداخل قناتي أذنيه، رأَت كيف ارتجفت يداه بحركة لا إراديةً على جانبيه. ربَّما قد تألَّم بشكل أو بآخر على الرغم من المخدَّر، لكنه لن يتذكر.

بدأت الآلة عملها، تقطع الصور من ذاكرة توماس، تزيل أمه وأباه من حياته

تمحوها هي ذاتها.

عَلِمَ جزء صغير داخلها بأنها ستغضب لذلك، ستصرخ وتزعق وترفض المساعدة ولو لثانية إضافية، لكن الجزء الأكبر كان صلدًا كصخور الجرف بالخارج. نعم، كان الجزء الأكبر داخلها مشبعًا بيقين علمت بأنه سيستمر، حتى بعد مرورها بنفس التجربة غدًا. كانا يثبتان إيمانها بخضوعهما لما طُلب من الآخرين، وإن ماتا، فلا بأس، ستجد وكِد العلاج، وستنقذ الملايين، وستعود الحياة لطبيعتها على كوكب الأرض ذات يوم. كان ذلك يقينًا راسخًا بالنسبة إلى تيريسا، تمامًا كما يشيخ البشر وكما تتساقط أوراق الشجر في الخريف.

التقط توماس نَفَسًا بعُسر، وأصدر أنينًا خافتًا وتقلَّب. ظنَّت تيريسا للحظة في رعب أنه سيستيقظ بهستيريا من الألم. تلك الأشياء داخل رأسه، لا يعلم أحد ما الذي تفعله بمخه بالضبط. لكنه سَكَنَ واستأنف التنفس بسهولة وخفوت.

استمرَّت أصوات الطقطقة والهسيس، وذكريات صديقها الأعز تتلاشى كرجع الصدى. كانا قد ودَّعا بعضهما وداعًا لائقًا، وظلَّت عبارة «أراك غدًا» تدوي في أذنيه. لسبب ما، صدمتها تلك الكلمات عندما قالها توماس، وجعلت ما هو مُقدِّم عليه أكثر سرِّيالية وكآبة. سيريان بعضهما غدًا بالفعل، لكنها ستكون في غيبوبة، ولن يكون لديه أدنى فكرة عمَّن تكون، إلا كشعور غريب أنها تبدو مألوفة. غدًا، بعد كل ما مرَّ به -كل الخوف والتدريب والتخطيط-

كان الوضع يقترب من ذروته. ما فَعَلَ بِأَلْبِي ونيوت ومينهو والباقيين سَيُفَعَلُ بهما أيضًا.

لم يُعَدْ هناك مجال للتراجع. لكن السَّكِينَة كانت كمخدَّر يسري في عروقها. كانت مطمئنَة، تخفَّف عنها تلك المشاعر وتدفع رعبها من الهوام والنزقين بعيدًا. لم يكن لدى وِكد خيارًا. لم يكن لديها وتوماس خيار. كيف يمكنها أن تتقاعس عن التضحية بالبعض لإنقاذ الأغلبية؟ أهنالك من يقدر؟! لم يكن لديها وقت للرتاء أو الحزن أو التمني. هذا هو الوضع، ما حدث قد حدث، وما سيكون... سيكون! لم يُعَدْ هناك مجال للتراجع، فقد ساعدت مع توماس في بناء المتاهة، وشيَّدت -بكثير من الجهد- جدارًا تكبت مشاعرها وراءه في الوقت ذاته. في ذلك الحين، نوت أفكارها، بدَّت وكأنها تطفو مُعلَّقة وهي تنتظر انتهاء عملية توماس.

عندما انتهت أخيرًا، ضغط الطبيب على العديد من الأزرار على شاشته، ليتسارع الصغير والهسيس والطقطقة. انتفض جسد توماس قليلًا بينما زحفت الأنابيب والأسلاك خارجة من أماكنها المتطفلة إلى قناعه. هَمَدَ جسده مرة أخرى وتوقف القناع عن العمل، وسكَّنت جميع الأصوات والحركات.

دنت منه الممرضة ونزعت القناع عن وجهه، تاركًا آثارًا وخطوطًا حمراء عليه، وظلَّت عيناه مغلقتين. للمحة خاطفة، شرع جدار تيريسا الذي تكبَّت الحزن وراءه في التداعي. إن استيقظ توماس وقتها، فلن يتذكرها.

جزعت -فيما يشبه الهلع- لإدراكها أنهما سيتقابلان قريبًا في الجلايد ولن يتعرَّف أحدهما على الآخر. تلك الخاطرة القاهرة ذكَّرتها بوضوح لِمَ بَنَت الجدار من الأصل. سدَّت الثغرة كبنَاء يدفع بقطعة قرميد داخل مِلاط يَجْفُ. سدَّة صلبة وسميكة. لم يُعَدْ هناك مجال للتراجع.

دخل رجلان من فريق الأمن للمساعدة في نقل توماس، حملاه من فوق السرير، ورفعاه كما لو كان محشوءًا بالقش. حمل أحدهما ذراعَي الفتى الغائب عن الوعي، وحمل الآخر قدميه، ثم وضعاه على نقالة. توجهوا نحو باب غرفة العمليات دون نظرة واحدة إلى تيريسا. علم الجميع إلى أين يأخذونه. شرع الطبيب والممرضة في التنظيف... انتهت مهمتهما.

أومأت تيريسا برأسها إليهما على الرغم من أنهما لم ينظرا إليها، ثم تبعت الرجلين إلى الرواق. استطاعت بالكاد أن تنظر إلى توماس وهما يقطعان به الرحلة الطويلة خلال ممرات ومصاعد مقر وكِد الرئيسي، تشقق جدارها مرة أخرى.

كان توماس شاحبًا بشدة، وقد غطت وجهه حبات عرق، كأنه واع بشكل أو بآخر، يكافح آثار المخدر، مُدركًا للفظائع الوشيكة التي تلوح في أفقه. وَخَزَ ما تراه قلبها، وأثارت معرفتها بأنها التالية ذعرها. جدارها الأحرق! ما أهميته؟ سيُسَلَب منها مع ذكرياتها على أي حال.

وصلوا إلى الطابق الأرضي من بنية المتاهة، ساروا عبر المستودع بطرقاته ورفوفه المُحمَّلة بمؤن أفراد الجلايد. كان المكان مظلمًا وباردًا، شعرت تيريسا بالقشعريرة تسري في ذراعها، ارتعشت وأخذت تدلُّكهما.

ترجرج جسد توماس وارتدَّ فوق النُقَّالة وهي ترتطم بشقوق الأرضية الخرسانية، ولا تزال هناك نظرة فزع تحاول اختراق الهدوء البادي على وجهه النائم. وصلوا إلى بئر المصعد، حيث استقرَّ المُكعَّب المعدني الضخم.

الصندوق! كان على مسافة طابقيين فقط لا غير من قلب الجلايد، لكن أفراد الجلايد قد خُدِعوا لتصديق أن الرحلة نحو الأعلى طويلة وشاقة لدرجة قاسية.

كان القصد هو إثارة نَسَق من المشاعر وأنماط التفكير، ابتداء من الارتباك إلى البلبلة وحتى الرعب التام. بداية مثالية لمن سيرسم خريطة توضِّح مَقْتَل توماس.

كانت تيريسا تعلم بأنها ستخوض تلك الرحلة غدًا، مع رسالة مُطبَّقة في يديها.

لكنها على الأقل ستكون في غيبوبة، وستنجو من الظلِّمة المُتحرِّكة طوال نصف الساعة تلك. سيفيق توماس في الصندوق، وحيدًا بكل معنى الكلمة.

جرَّ رجلان توماس إلى جوار الصندوق. كان هناك صرير مفرع لاحتكاك المعدن بالأسمنت بينما يسحب أحدهما سلماً ضخماً إلى جوار المُكعَّب.

مرّت دقائق قليلة عسيرة وهما يتسلقان تلك الدرجات معاً وهما يحملان
توماس مجدداً. كانت تيريسا تستطيع المساعدة، لكنها رفضت. كانت عنيدة
بما يكفي لتكتفي بالوقوف والمشاهدة، حتى ترمّم الشقوق في جدارها قدر
إمكانها. وضع الرجلان توماس على قمة الحافة وهما ينخران ويسبّان.
وَضِع جسده بطريقة مكّنت تيريسا من رؤية عينيه المغلقتين لمرّة أخيرة.
وعلى الرغم من علمها بأنه لن يسمعها، تواصلت وحدّته داخل عقلها.
نحن نفعل الصواب يا توماس.

أراك على الجانب الآخر.

انحنى الرجلان وأخفّضا توماس من ذراعيه بأقصى ما يستطيعان، وألقياه
لباقى المسافة. سمعت تيريسا صوت ارتطام جسده وهو يصطدم بالأرضية
الحديدية الباردة بالداخل، أعزّ أصدقاؤها. دارت أعقابها وسارت مبتعدة.
دوى الصوت المميز لاحتكاك المعدن ببعضه وراءها، ثم صوت مجلجل
تردّد صدها بينما تنغلق أبواب الصندوق بعنف، لتحسم مصير توماس، أيّاً
كان.

قبل ثلاثة عشر عامًا

الفصل الأول

ارتجف مارك من البرد، لم يفعل ذلك منذ زمن طويل. لقد استيقظ لتوّه، تتسرب أولى آثار الفجر عبر شقوق جذوع الأشجار التي بُني منها حائط تلك السقيفة الصغيرة. لم يستخدم بطانيته تقريبًا. كان فخورًا بها، حيث صُنعت من جلد حيوان إلكة عملاق قتلته بنفسه منذ شهرين فحسب، لكن عندما استخدمها، كان ذلك لسلوى البطانية ذاتها، وليس للدفاء. كانوا يعيشون في عالم دمره الحرُّ على أي حال. لكن ربما كانت تلك علامة على التغيير، فقد شعر ببعض البرودة من هواء الصباح وهو يتسرب من خلال نفس الشقوق التي يدخل منها الضوء. شدَّ الجلد المكسو بالفرو على ذقنه واستدار ليرقد على ظهره، متثائبًا بصوت أسطوري. كان ألك لا يزال نائمًا في الكوخ على الناحية الأخرى من السقيفة -على مسافة أربعة أقدام- ويشخر كعاصفة. كان الرجل الأكبر سنًا فظًا غليظًا، جندي سابق مُتمرس نادر الابتسام، وعندما يبتسم، فعادةً ما يتعلَّق ذلك بآلام الغازات التي تفرقع في معدته، لكن ألك كان يملك قلبًا من ذهب.

بعد أكثر من عام معًا، يحاربان من أجل البقاء على قيد الحياة مع لانا وترينا والباقيين، لم يعد مارك يهيب الدب العجوز كالسابق، لمجرد أن يثبت ذلك، مال والتقط حذاءً عن الأرض، ثم رماه على الرجل، خبط الحذاء كتفه. زأر ألك وانتصب واقفًا، أعوام من التدريب العسكري تجعله يستيقظ في طرفه عين.

صاح الجندي:

- بحقّ الـ...

لكن مارك قاطعه برميّه بفردة حذائه الأخرى، لترتطم بصدرة هذه المرة.
قال ألك ببرود:

- أيها القدر الصغير.

لم يجفل أو يتحرك بعد الهجوم الثاني، فقط حدّق إلى عينيّ مارك بعينين مُضَيّقَتين. لكن وراء تلك النظرة، كانت هناك ومضة من الفكاهة.

- يستحسن أن أسمع دافعاً مُقنعاً لمخاطرتك بحياتك حتى توقظني بهذا الشكل.

ردّ مارك وهو يحكّ ذقنه وكأنه يفكّر في ذلك بعمق:

- اممم...

ثم طقطق أصابعه.

- وجدتها! بشكل رئيسي، لإيقاف الأصوات الشنيعة الصادرة منك. بجديّة، أنت تحتاج إلى النوم على جانبك أو ما شابه يا رجل! الشخير بهذا الشكل لا يمكن أن يكون صحيحاً، ستختنق بابتلاع حنجرتك في يوم من الأيام.

دمدم ألك ونخر بضع مرات، مغمغماً بكلمات مفهومة بالكاد وقد هرع خارج كوخه وارتدى ثيابه. كان هناك شيء عن «أتمنى لو لم» و «أفضل حالاً» و «عام جحيمي»، لكن مارك لم يتبين أكثر من ذلك، لكن الرسالة كانت واضحة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

قال مارك:

- بحقّ يا رقيب.

عالمًا بأنه على بُعد ثلاث ثوانٍ من تجاوز حدوده. تقاعد ألك من الجيش منذ فترة طويلة، وكان يكره بشدة مُناداة مارك له بهذا اللقب. في أيام الوهج الشمسي، كان ألك يعمل مقاولاً مستقلاً بوزارة الدفاع.

- لم تكن لتصل إلى هذا المسكن البهيج لولا انتشارنا لك من المتاعب كل يوم، فما رأيك في عناق ثم نتصالح؟

ارتدى ألك قميصه ثم أمعن النظر إلى مارك، تشابك حاجبا العجوز الرماديان الكثيفان في منتصف جبهته، وكأنهما حشرتان مُشعرتان يحاولان التزاوج معًا.

- أنت تروقني يا فتى. سيكون من المؤسف إن قتلتك.

ضرب مارك على جانب رأسه، وهو أقصى تعبير عن المودة أظهره الجنديُّ.

جنديُّ. ربما كان ذلك منذ زمن، لكن مارك ظلَّ يفضل أن يعتبره كذلك.

أشعره ذلك بالراحة -وبالأمان- بشكل أو بآخر.

ابتسم بينما يسحق ألك الأرض من تحته خارجًا من كوخه ليواجه يومًا جديدًا.

ابتسامة حقيقية، وهو ما أصبح أكثر اعتيادية أخيرًا، بعدما قادم عام من الموت والرعب إلى هذا المكان في جبال الأبالاش غرب كارولينا الشمالية.

قرَّر أنه مهما كان، سيطرد كل ما له علاقة بالماضي السيئ، وسيستمتع بيومه، أيًا كانت الأسباب.

مما عنى أنه احتاج إلى إدخال ترينا في الصورة قبل مرور عشر دقائق أخرى. ارتدى ملابسه سريعًا وخرج للبحث عنها، وجدها عند الجدول، في أحد تلك الأماكن الهادئة التي تذهب إليها لتقرأ بعض الكتب التي انتشلتها من مكتبة قديمة صادفوها في أثناء رحلاتهم. وأحبت الفتاة القراءة أكثر من أي أحد، وكانت تعوِّض الشهور التي قضوها راكضين للنجاة بحياتهم -حرفيًا- عندما كانت الكتب نادرة الوجود. اندثرت الكتب الإلكترونية منذ زمن، على حد تخمين مارك، مُسح جميعها عندما خربت كل أجهزة الكمبيوتر والخوادم. كانت ترينا تقرأ النوع الورقي القديم. كان المشي تجاهها منعشًا كالعادة، كل خطوة تثبط من عزمته لقضاء يوم سعيد.

النظر إلى مجموعة بيوت الأشجار والسقيفات والجحور المثيرة للشفقة، والتي كوَّنت العاصمة المزدهرة التي عاشوا فيها -كل جذوع الأشجار والحبال المجدولة والطين المُجفَّف، كل شيء مائل إلى اليسار أو اليمين- قد وفي بالغرض. لم يقدر على التمشية عبر أزقة مستوطنتهم المزدهمة ودروبها

دون أن تذكره بأيام العيش السعيدة في المدينة الكبيرة، حين كانت الحياة مُترفة والعالم كله في متناول اليد ومُستعدٌ للعطاء، لم يكن حتى يدرك ذلك. مرَّ بحشد من الهزيلين المُتسخين الذين بدوا على شفا حفرة من الموت. لم يرأف لحالهم على قدر ما كره معرفته أنه بدا مثلهم بالضبط.

كان لديهم ما يكفي من الطعام -مُقتات من بين الأنقاض، ومُصاد من الغابات، وفي بعض الأحيان مُحضر من أشقُل- لكن ترشيد الاستهلاك كان اسم اللعبة، وبدا الجميع كما لو كان ينقصهم إحدى وجباتهم اليومية. ولن تعيش في الغابة دون أن تلتطَّح ببعض الأوساخ هنا وهناك، مهما كانت عدد مرات استحمامك في جدول الماء. كانت السماء زرقاء مع مسحة من ذلك البرتقالي المحروق الذي لازم الغلاف الجوي منذ ضرب الوهج الشمسي المُهلك دون سابق إنذار.

هناك منذ أكثر من عام، ولا يزال معلقًا هناك كستار ضبابي يهدف لتذكيرهم للأبد. من يعلم إن كان الحال سيعود أبدًا كما كان؟

بدت رباطة الجأش التي أحسَّ بها مارك فور استيقاظه كمزحة الآن، كان يتعرق بالفعل من فرط الحرارة المُتزايدة، بينما تطوَّق الشمس الغاشمة صف الأشجار المُتناثرة على قمم الجبال بالأعلى. لم يكن الأمر بهذا السوء.

في أثناء خروجه من مجموعة الجحور في معسكرهم ودخوله للغابة، كانت هناك العديد من العلامات المُبشرة، أشجار جديدة تنمو، وأشجار قديمة تتعافى، وسناجب تندفع عبر أوراق شجر الصنوبر، ونباتات خضراء وبراعم في كل مكان، بل إنه رأى في الأفق شيئًا بدا كزهرة برتقالية

كاد أن يقطفها ليقدمها لترينا، لكنه علم بأنها ستعنفه حتى يصبح على شفا الموت إن جرؤ على عرقلة نمو الغابة. ربما سيصبح يومه سعيدًا على الرغم من كل شيء، لقد نجوا من أسوأ كارثة طبيعية معروفة في التاريخ البشري، لعلَّ الأزمة قد مرَّت بسلام.

كان يتنفَّس بصعوبة من جراء مجهود صعود سطح الجبل عندما وصل إلى الموقع الذي تفضَّل ترينا الهروب إليه، بالذات في أوقات الصباح، عندما تصبح احتمالات العثور على شخص آخر هناك ضئيلة.

توقّف ونظر إليها من وراء شجرة، عالمًا بأنها قد سمعته يقترب، لكنه كان سعيدًا بتظاهرها أنها لم تسمعه. كانت جميلة حقًا! مسترخية على صخرة جرانيتية ضخمة بدت وكأنَّ عملاقًا قد وضعها للزينة، وهي تمسك بكتاب سميك على حجرها، قلبت صفحة وعيناها الخضراوان تتابعان الكلمات.

ترتدي تي شيرت أسود وبنطال جينز مُهترئًا وتنتعل حذاء رياضيًا بدا وكأن عمره مائة عام. هَفَهَفَ شعرها الأشقر القصير بفعل الهواء، وبدت كصورة مثالية للسكينة والاسترخاء، وكأنها تنتمي إلى العالم الذي كان، قبل أن يحترق كل شيء. دائمًا ما شعر مارك أنها كانت له، كمسألة تتعلق بالموقف ببساطة.

جميع من عرفتهم في حياتها قد ماتوا، وكان هو كقطعة متبقية من الخردة لتأخذها، بديلًا عن البقاء وحيدة للأبد، لكنه لعب دوره بكل سرور، بل واعتبر نفسه محظوظًا، فلم يعلم ما كان ليفعل دونها.

قالت ترينا دون أدنى لمحة للابتسام:

- سيصبح هذا الكتاب أفضل كثيرًا إن لم يلاحقني شخص غريب مريب في أثناء قراءته.

قلبت صفحة أخرى وواصلت القراءة.

قال:

- إنه أنا فحسب.

لا يزال نصف ما يتفوّه به أمامها يبدو غبيًا. خطأ من وراء الشجرة، ضحكت ونظرت إليه أخيرًا.

- أجيئت أخيرًا؟! كنت على وشك أن أكلّم نفسي، فأنا أقرأ منذ قبيل الفجر.

دنا منها وألقى بنفسه على الأرض جوارها، احتضنا بعضهما بعضًا بقوة وحرارة، كان عناقًا مليئًا بالأمل الذي بناه في أثناء قدومه. عاد بجسده ونظر إليها غير مهتم بابتسامته العريضة البلهاء التي غالبًا ما كانت منتشرة على وجهه.

- أتعلمين؟

سألت:

- ماذا؟

- اليوم سيكون يومًا مثاليًا... مثاليًا حقًا!

ابتسمت ترينا وواصلت مياه الجدول الاندفاع بجانبهما، وكأن كلماته لم
تعنِ أي شيء.

الفصل الثاني

قالت ترينا وهي تثني طرف صفحة كتابها وتضعه جانبها:

- لم أقض يوماً مثاليًا منذ بلوغي السادسة عشرة. بعدها بثلاثة أيام، كُنَّا، أنا وأنت، نهرب للنجاة عبر نفق أحر من الشمس.

قال مارك متأملًا بينما يأخذ وضعاً أكثر راحة:

- أوقات سعيدة.

اتكأ على نفس الصخرة، ووضع ساقًا فوق ساق أمامه.

- أوقات سعيدة.

نظرت ترينا إليه شزراً.

- حفلة عيد ميلادي أم الوهج الشمسي؟

- لا هذا ولا ذاك. كنتِ معجبة بالأبله چون سَتِدْهَم في حفلتك. أتذكرين؟

ومض وجهها بالخجل.

- اممم... نعم. يبدو ذلك وكأنه حدث منذ ثلاثة آلاف عام.

- تطلّب الأمر اندثار نصف العالم حتى تلاحظني وجودي أخيراً.

ابتسم مارك، لكن ابتسامته بدت خاوية. كانت الحقيقة كثيبة لدرجة لا

تحتمل المزاح، وبدأت سحابة سوداء في التشكّل فوق رأسه.

- دعينا نغيّر الموضوع.

- أصوِّت بالموافقة.

أغلقت عينيها ومالت برأسها على الصخرة.

- لا أريد التفكير في هذه الأمور لثانية واحدة إضافية.

أوماً مارك، على الرغم من أنها لم تستطع رؤيته. فقدَ رغبته في الكلام فجأة، وانجرفت خطته لليوم المثالي مع مياه الجدول. الذكريات... لم تتركه قط، حتى ولو لنصف ساعة، لا بد أن تنقضَّ عائدةً دومًا، تجرُّ كل الرعب وراءها.

سألت ترينا:

- أأنت بخير؟

مدَّت يدها إليه وأمسكت بيده، لكن سحبها مارك بعيدًا، عالمًا بأنها ناضحة بالعرق.

- نعم، أنا على ما يرام، فقط أتمنى أن نقضي يومًا واحدًا دون تذكُّر. سأكون سعيدًا على أكمل وجه في هذا المكان إن استطعنا مجرد النسيان. إننا محتاجون لأن... نتخطى!

خرج الجزء الأخير بشبه صياح، لكنه لم يكن لديه أدنى فكرة عن سبب غضبه، فقط كان يكره ما بداخل رأسه، الصور، الأصوات، الروائح.

- سنتجاوز ذلك يا مارك. سنتجاوز.

مدَّت يدها إليه مرة أخرى، وتلك المرة تناول يدها.

- من الأفضل أن نعود.

كان يفعل ذلك دائمًا، عندما تأتي الذكريات، دائمًا ما كان يتحوَّل للأسلوب العملي:

انكب على شؤونك وعملك وتوقف عن استخدام مخك.

كان هذا هو مُعيّنه الوحيد.

- أنا متأكد أن ألك ولانا سيكلفاننا بنحو أربعين وظيفة.

أضافت ترينا:

- ممّا يستلزم إنهاؤه اليوم.

- اليوم! أو سينتهي عالمنا!

ابتسمت، مما سهّل تخفيف حدة الأمور، قليلاً على الأقل.

- يمكنك إكمال قراءة كتابك الممل لاحقاً.

نهض على قدميه، جاذباً إياها معه، ثم انطلقا هابطين عبر مسار الجبل، متجهين إلى القرية المرتجلة التي يعتبرانها وطناً. كانت الرائحة هي أول ما أحسّ به مارك. هذا هو المعتاد عند الذهاب إلى الكوخ المركزي، الشجيرات المتعفنة، واللحم المطبوخ، وعُصارة الصنوبر، كل ذلك ممزوج برائحة الحريق التي ميّزت العالم بعد الوهج الشمسي. ليست رائحة كريهة حقاً، مريعة فحسب.

تعرّج مع ترينا عبر مباني المستوطنة العوجاء العشوائية.

أسست أغلب المباني في هذه الناحية من المعسكر في الشهور الأولى، قبل أن يعثروا على المعماريين والمقاولين ويوكلوا إليهم هذه المهمة. سقيفات مصنوعة من جذوع الأشجار والطين وشويكات أوراق شجر الصنوبر.

فجوات فارغة مكان النوافذ، ومداخل غريبة الشكل.

في بعض المواضع لم يكن هناك سوى حُفر في الأرض، قاعها مُبطّن بأغطية بلاستيكية، وبضعة جذوع مربوطة ببعضها لتغطيتها عندما تمطر. كانت بعيدة كل البعد عن ناطحات السحاب الشاهقة والبيئة الخرسانية التي ترعرعا فيها.

حياً ألك مارك وترينا بنخير وهما يدلّفان عبر المدخل عديم الاستواء في الهيكل الخشبي للكوخ المركزي، وقبل أن يردّأ عليه التحية، خطت لانا نحوهم بحيوية، امرأة قوية البنية ذات شعر أسود معقوص مشدود بإحكام دائماً على شكل كعكة، كانت تعمل ممرضة في الجيش، وأصغر سنّاً من ألك، لكنها أكبر سنّاً من والدي مارك، كانت مع ألك عندما قابلهما في الأنفاق أسفل مدينة نيويورك، كانا يعملان في وزارة الدفاع آنذاك، كان ألك رئيسها، وكانا في طريقهما إلى اجتماع من نوع ما هذا اليوم، قبل أن يتغير كل شيء.

سألت لانا عندما توقفت على مسافة قريبة من وجه مارك:

- أين كنتما؟

- كان من المفترض أن نبدأ فجر اليوم، ونتجه إلى الوادي الجنوبي ونستكشف موقعًا لفرع جديد. ربما أفقد أعصابي إن عشتُ بضعة أسابيع أخرى في هذا الازدحام.
ردّ مارك:

- صباح الخير.

- تبدين مبهجة اليوم.

ابتسمت لذلك، وعلم مارك أنها ستفعل.

- أجنحُ للدخول في الموضوع مباشرة، ألسنت كذلك؟ وعلى الرغم من ذلك، فما زال أمامي الكثير حتى أصبح حادة الطباع مثل ألك.

- الرقيب؟ نعم، لديك حق.

نخر الدب العجوز في الوقت المناسب.

قالت ترينا:

- آسفان على التأخير. كنت سأخلق عذرًا ممتازًا، لكن الصدق منجاة. أرغمني مارك على الذهاب إلى الجدول ثم... كما تعرفين.

لم يكن مارك يتفاجأ بسهولة في تلك الأيام، والأصعب أن تجعله يحمّرُ خجلًا، لكن ترينا كانت قادرة على كليهما. تلعثم بينما أشاحت لانا بنظرها.

- اعفياني!

لوّحت لانا وأضافت:

- اذهبا الآن لتناول الإفطار، إن لم تكونا قد أكلتما، ثم دعونا نحزم لوازمنا ونبدأ المسيرة. أريد العودة في غضون أسبوع.

أسبوع في البرية، رؤية أشياء جديدة، استنشاق هواء أكثر نقاءً... بدا كل ذلك لمارك رائعًا، رافعًا معنوياته بشكل يملأ الفراغ الذي بدأ يتسع داخله مُسبقًا.

أقسم على إبقاء ذهنه في الحاضر في أثناء رحلتهم، وأن يحاول الاستمتاع بالتنزه لا غير.

سألت ترينا:

- أرايتم دارنيل والعُلجوم؟

- وماذا عن مستي؟

استفسر ألك، وأعقب بضحكة كالنباح:

- المهرجون الثلاثة؟

هذا الرجل يجد الفكاهة في أغرب الأشياء.

- لقد تذكروا الخطة على الأقل. لقد أكلوا بالفعل، وذهبوا لحزم لوازمهم.

سيعودون في لمح البصر.

كان مارك وترينا في منتصف التهام فطائر البانكيك ونقائق الأيل حين سمعوا الصوت المألوف لأصدقائهم الثلاثة الآخرين الذين انتشلوهم من أنفاق نيويورك.

صاح صوت متذمر، مباشرة قبل أن يدلف من الباب مراهق يضع لباسًا داخليًا فوق شعره البني كقبعة:

- اخلعه من رأسك!

دارنيل.

اقتنع مارك بأن هذا الفتى لم يأخذ مطلقًا أي أمر بجدية طيلة حياته. حتى عندما حاولت الشمس غليه حيًا منذ عام، بدا وكأنه مستعدٌ للمزاح. قال وهو يدخل الكوخ:

- لكنني أحبه هكذا؛ يساعديني في إبقاء شعري في مكانه، ويحميني من

عوامل الطقس. عصفوران بحجر واحد.

دخلت فتاة وراءه، طويلة ونحيلة، ذات شعر أحمر طويل، أصغر من مارك بقليل، كانوا يدعونها مستي، على الرغم من أنها لم تخبرهم باسمها الحقيقي.

كانت تنظر إلى دارنيل بتعبير بين الاشمئزاز والمتعة.

قفز العُلجوم -قصير غليظ الجسد كما توجي كُنيتها- واندفع متخطيًا إياها، منتزعا قطعة الملابس الداخلية التي فوق رأس دارنيل.

صاح وهو يثب ويمد يده:

- أعطني هذا.

كان أقصر شخص رآه مارك في سن التاسعة عشر، لكنه غليظ القوام كشجر البلوط، كلُّه عضلات وأعصاب وأوردة، ممَّا جعل الآخرين يظنون لسبب ما أنه لا بأس من مشاكسته، لأنهم كانوا يعرفون أنه يستطيع إبراهيم ضربًا إن شاء، لكن العُلجوم أحبُّ أن يكون محور الاهتمام، وأحبُّ دارنيل أن يكون أخرق ومزعجًا.

سألت مستي:

- لمَ تريد هذا الشيء المقرف على رأسك من الأساس؟

- تعرف أين كان، أليس كذلك؟ يستر عورة العُلجوم؟

أجاب دارنيل بنظرة اشمئزاز زائفة، في نفس الوقت الذي تمكَّن العُلجوم فيه من خطف اللباس الداخلي من فوق رأسه أخيرًا:

- وجهة نظر ممتازة.

هزَّ دارنيل كتفيه:

- وضعف بصيرة حاد من ناحيتي. بدا مضحكًا وقتها.

كان العُلجوم يحشر ممتلكاته المُستردة في حقيبة ظهره.

- حسنًا، سأضحكُ أخيرًا، فلم أغسل ذلك المقرف منذ أسبوعين على الأقل.

شرع في إطلاق تلك الضحكة، ضجيج جعل مارك يفكّر في كلبين يتشاجران على قطعة من اللحم. كُلمًا ضجَّ العُلجوم بالضحك، لا يستطيع كل من الغرفة تمالك أنفسهم، ليذوب الجليد رسميًا. لم يفهم مارك إن كان يضحك على الموضوع أم على الأصوات الخارجة من العُلجوم. أيًا كان، فهذه اللحظات نادرة الوجود، كما أسعده الضحك، نفس سعادته برؤية التهلُّل على وجه ترينا.

حتى ألكِ ولانا كانا يضحكان ضحكًا خافتًا، مما جعل مارك يظن أنه سيصبح يومًا مثاليًا على الرغم من كل شيء. لكن بترَّ ضحكاتهم صوت غريب، صوت لم يسمعه مارك منذ أكثر من عام، ولم يتوقع أن يسمعه مرة أخرى.

صوت محرّكات في السماء.

الفصل الثالث

زعزع صوت محركاتِ هادر الكوخِ من قِمَّتِه إلى قاعدته، هَبَّتْ سحب من الغبار بين الجذوع المُمَلَّطة والمُكْوَمَة بعُجالة، اجتاح هدير غير منتظم السماء من فوقهم. غطَّى مارك أذنيه حتى خَفَتِ الصوت بما يكفي لتوقف الكوخ عن الارتجاج. كان ألك واقفاً بالفعل متجهاً ناحية الباب قبل أن يتمكن الآخرون من استيعاب تطوُّر الأحداث. كانت لانا سريعاً في أعقابه، وتبعها الباقيون.

لم ينبس أحد بحرف حتى أصبح الجميع بالخارج، بينما لفحتهم شمس الصباح.

ضيق مارك عينيه، حاجباً الوهيج بيده، وهو يفتش في السماء عن مصدر الصوت.

صرَّح العُلجوم بلا داع:

- إنها طائرات بَرَج.

- بحق الـ...

كانت أول مرة يرى فيها مارك إحدى تلك الطائرات العملاقة منذ حدوث الوهج الشمسي، وكان مرأها مزلزلًا. لم يستطع التفكير في أي داعٍ لطيران بَرَج -ممن نجوا من الكارثة- بين الجبال. لكن ها هي ذي، ضخمة لامعة مستديرة، تنفث محركاتها الدافعة الزرقاء بصوت مدوّ، بينما تهبط ناحية مركز المُستوطنة.

سألت ترينا بينما هرولت مجموعتهم الصغيرة خلال أزقة قريتهم الضيقة، متبعين مسار البَرَج:

- ماذا تفعل هذه المركبة هنا؟

- ودائمًا ما يتركون الإمدادات في المُستوطنات الأكبر، مثل آسِثِل.

استهلتِ مستي:

- ربما...

- ربما يحاولون إنقاذنا أو ما شابه؟

- أو سينقلوننا لمكان آخر؟

قال دارنيل هازنًا:

- مستحيل.

- كانوا ليفعلوا ذلك منذ زمن طويل.

لم يقل مارك أي شيء وهو يركض في مؤخرة المجموعة، لا يزال مأخوذًا بظهور البرج العملاقة. وظلَّ الآخرون يشيرون في أحاديثهم إلى «هُم» غامضين، على الرغم من أنه لا أحد يعلم مَنْ «هُم».

كانت هناك إشارات وشائعات أن هناك نوعًا من الحكومات المركزية كانت تنظّم نفسها، لكن لم يكن هناك أخبار يمكن الوثوق بمصدرها، وبالتأكيد لم تكن هناك اتصالات رسمية حتى الآن. كان وصول الإمدادات والطعام إلى المعسكرات حول آسِثِل حقيقة، وكان الناس هناك يشاركونها مع المُستوطنات النائية.

توقفت البرج أمامهم، والآن انخفضت محركاتها الدافعة وهي تحوم على ارتفاع خمسين قدمًا تقريبًا أعلى ساحة المدينة، مساحة شبه مربعة تركوها خالية وقت بناء المُستوطنة. سارعت المجموعة خُطأها ووصلت إلى الساحة، ليجدوا حشدًا من الناس مجتمعين بالفعل، محدّقين باستغراب نحو الآلة الطائرة وكأنها وحش خرافي، بدت كذلك بالفعل، بهديرها واستعراضها الباهر للضوء الأزرق، خصوصًا بعد الزمن الطويل الذي مرَّ منذ رأوا أي علامات للتكنولوجيا المتقدمة. اجتمع أغلب الحشد في منتصف الساحة، ووجوههم مثال حي للترقّب والإثارة، وكأنَّ جميعهم قد قفز إلى استنتاجِ مستي نفسه؛ أن البرج قد جاءت للإنقاذ، أو لبعث الأنباء السارة على الأقل.

كان مارك حذرًا على الرغم من ذلك، بعد ما مرَّ به خلال العام، فقد تعلَّم مرّات عديدة ألا يرفع سقف آماله. شدّت ترينا كُمّه، ثم مالت لتخاطبه:

- ما الذي تفعله هذه المركبة؟ ليست هناك مساحة كافية لتهبط هنا.
- لا أعلم. ليس هناك أي علامات أو ما يدلُّ على أصحاب تلك البرج أو من أين أتت.
- كان ألك قريبًا، وسمع محادثتهما عرضًا بشكل ما وسط زئير المحركات الدافع، بسمعه العسكري الخارق على الأرجح.
- يقولون إن الطائرات التي توصل المؤن في أشقْل مكتوب على جانبها بحروف كبيرة (أ ب و). ائتلاف ما بعد الوهَج.
- كان يزعم، فعليًا.
- يبدو غريبًا أن تلك لا علامات عليها.
- هزَّ مارك كتفيه إليه في المقابل، غير متأكد إن كانت معلومات ألك تعني أي شيء حقًا. أدرك أنه كان في شبه حالة ذهول. نظر إلى الأعلى مجددًا، وتساءل عمَّن يُحتمَل أن يكون داخل الطائرة، وعن سبب وجودهم. اعتصرت ترينا يده وضغط على يدها بالمقابل، كان الاثنان يتصبيان عرقًا.
- قال العُلجوم بصوت عالي النغمة، كان صوته يخرج بهذا الشكل دومًا عندما يصيح: «ربما هو الرب بالداخل».
- «جاء ليعتذر عن موضوع الوهَج الشمسي».
- لاحظ مارك دارنل بجانب عينه يلتقط نفسًا، وفمه يُفتح، غالبًا ليقول شيئًا ذكيًا ومضحكًا يردُّ به على العُلجوم، لكن قاطع هذا التصرُّف صوت رهيب قادم من الأعلى، متبوع بصريير الهيدروليكيات الحاد.
- راقب مارك مسحورًا بينما بدأت كُوَّة مربعة الشكل أسفل البرج تنفتح، مُتمحورة على مفصلات تُدنيها كسَلْم طائرة. كان الداخل مظلمًا، وقد خرجت خيوط من الضباب تدور كالدوامة، بينما تتسع الفجوة. انتشرت الشهبات والصيحات وسط الجمع، بأيِّد مرفوعة وأصابع مُشيرة إلى الأعلى.
- أشاح بنظره سريعًا عن البرج للحظة حتى يستوعب كل هذا، مأخوذًا بشعور المهابة الذي يحيط به. قد صاروا أناسًا يائسين تمام اليأس، يتعايشون كل يوم مع الشعور الثقيل بأن كل يوم ربما يكون آخر أيامهم، وها هم هنا، وقفوا ناظرين تجاه السماء، وكأنَّ مزحة العُلجوم كانت أكثر من ذلك.

رأى التلهّف في عديد من الأعين، وكأنّ الناس قد ظنوا حقًا أن خلاصهم آتٍ على يد قدرة إلهية. أشعرَ ذلك مارك ببعض التقرُّز.

انتثرت موجة جديدة من الشهقات عبر الساحة، وأدار رأسه لينظر إلى الأعلى مجددًا، خرج خمسة أشخاص من ظلّمة البرج، مُتسحين بأزياء جعلت القشعريرة تسري في عموده الفقري، خضراء مطّاطية ضخمة، بذلات من قطعة واحدة كسّت الغرباء من قمم رؤوسهم إلى أخمص قدميهم. كانت بالبذلات أقنعة واقية شفافة داخل الخوذات يُبصر منها مُرتدوها، لكن الوهَج والمسافة جعلتا تمييز وجوههم مستحيلًا بالنسبة إلى مارك. خطوا بحذر بأحذية طويلة سوداء مشدودة فوق الخامة الخضراء لبذلاتهم، حتى اصطفّت الخمسة حول الحافة الخارجية لباب الكوّة المخفوض، وأظهرت حركات أجسادهم المُتشنّجة المجهود المبذول من أجل حفظ توازنهم، أمسك كل منهم بماسورة سوداء في يده كالبندقية، لكن تلك المواسير لم تبدُ كأبي بنادق رآها مارك قبل ذلك، كانت طويلة ورفيعة، بمُلحقات في نهاياتها جعلتها تبدو كمستلزمات سبّاحة اقتطعت من مضخة صناعية.

وفور استقرار الغرباء في أماكنهم، رفعوا الأشياء التي تشبه المواسير وصوّبوا مباشرة نحو الناس بالأسفل. أدرك مارك أن ألك كان يصرخ بكل قوته، يدرأ الناس ويدفعهم بعيدًا.

اندلعت الفوضى في كل مكان حولهم، صيحات وهلع، ومع ذلك سقط مارك في غيبوبة، مراقبًا الغرباء بأزيائهم الغريبة وأسلحتهم المُهدّجة يخرجون من البرج، بينما أفاق باقي الحشد لحقيقة أن أولئك الناس ليسوا هنا لإنقاذ أي أحد. ماذا حدث لمارك القادر على التصرّف السريع؟ الذي نجا من العام الجحيمي بعدما دمّر الوهَج كوكب الأرض؟ كان لا يزال متجمدًا، يراقب، بينما ضُربت أول طلقة من الأعلى. حركة ضبابية، وومضة خاطفة لشيء صغير داكن يندفع من إحدى تلك المواسير. تابعت عينا مارك المسار. سمع صوتًا مكتومًا مُنفّرًا، دار رأسه إلى جانبه في الوقت المناسب، ليرى أن دارنيل قد برز من كتفه سهم طوله نحو ثلاثة عشر سنتيمترًا، وقصبتة المعدنية مغروسة بعمق داخل العضلة. تقاطرت الدماء نازلة من الجرح. نخر الولد بصوت غريب وهو ينهار أرضًا، مما أفاق مارك من غيبوبته أخيرًا.

الفصل الرابع

مَزَّقَت الصرخات الهواء بينما فرَّ الناس هلعين في كل اتجاه، انحنى مارك قابضاً على دارنيل يشبك كوعيه تحت ذراعي الفتى. قطع صوت الأسهم الطائرة الهواء عن يمينه ويساره، واجدة أهدافها، حائئة إياه على الإسراع وماحية أي أفكار أخرى من ذهنه. سحب مارك دارنيل، مُجرجراً جسده معه على الأرض. سقطت ترينا، لكن لانا كانت هناك لمساعدتها على النهوض.

جرت كلتاها للمساعدة، تمسكت كلُّ منهما بإحدى قدمي دارنيل، رفعتهما وهما تنخران بشكل متزامن، وأبعدتاه عن الساحة، بعيداً عن الحقل.

كانت معجزة أنه لا أحد في مجموعتهم الصغيرة قد رُمي بسهم... أصوات خَفِيف، أصوات اصطدامات مكتومة، صرخات وأجساد تنهاوى.

واصلت المقذوفات انهمازها، هابطة حولهم في كل مكان، وجرَّ مارك وترينا ولانا أقدامهم بأسرع ما استطاعوا، حاملين دارنيل بخرق.

مَرُّوا وراء مجموعة من الأشجار -سمع مارك أصوات اصطدام الأسهم وهي تنخرز في أفرع الأشجار وجذوعها- ثم أصبحوا في العراء مرة أخرى.

هرعوا عبر حقل صغير إلى زقاق بين أكواخ خشبية مبنية بشكل عشوائي. كان الناس في كل مكان، يدقُّون بهياج على الأبواب، ويقفزون من النوافذ المفتوحة، ثم سمع مارك هدير المحركات الدافعة، ولفحت رياح ساخنة وجهه. علا صوت الهدير، وعصفت الرياح، نظر إلى الأعلى متتبعاً الصوت، ليرى أن البرج قد غيَّرت من موقعها مُطاردة الجموع الهاربة. رأى العُلجوم ومستي

يَحْتَأَنُ النَّاسَ عَلَى إِسْرَاعِ الْخُطَى، وَصِيَاكُهُمَا يَضِيعُ وَسَطَ دَوِيِّ الْبَرْجِ. أُعِيَتْ مَارِكُ الْحَيْلَةِ، كَانَ إِجْبَادُ مَأْوَى هُوَ الرَّهَانُ الْأَفْضَلُ، لَكِنْ كَانَ هُنَاكَ عَدِيدٌ مِنَ النَّاسِ يَحَاوِلُونَ فِعْلَ الشَّيْءِ نَفْسَهُ، وَالِدُخُولِ فِي هَذِهِ الْفَوْضَى وَهُمْ يَحْمِلُونَ دَارِنِلَ لَنْ يُوَدِيَ إِلَّا إِلَى تَعَرُّضِهِمْ لِلدَّهْسِ.

تَوَقَّفَتِ الْبَرْجُ مَجْدَدًا، وَرَفَعَ الْغَرْبَاءُ فِي بَدَلَاتِهِمُ الْغَرِيبَةَ أَسْلِحَتَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى وَأَطْلَقُوا النَّارَ... أَصْوَاتٌ حَفِيفٌ... أَصْوَاتُ اصْطِدَامَاتٍ مَكْتُومَةٍ.

خَدَشَ سَهْمٌ قَمِيصَ مَارِكٍ وَانْغَرَزَ فِي الْأَرْضِ، وَدَاسَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمْ لِيُغْرِزَهُ بِشَكْلِ أَعْمَقٍ. أَصَابَ سَهْمٌ آخَرَ هَدَفَهُ فِي رَقْبَةِ رَجُلٍ كَانَ يَرِكُضُ وَرَاءَهُمْ، صَرَخَ وَهُوَ إِلَى الْأَمَامِ وَالِدَمُ يَتَدَفَّقُ مِنْ جِرْحِهِ، وَعِنْدَمَا هَبَطَ، تَمَدَّدَ بِلا حَرَكَ، وَتَعَثَّرَ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ.

أَدْرَكَ مَارِكٌ لَتَوُّهُ أَنَّهُ قَدْ تَوَقَّفَ، مُصَدِّمًا مِمَّا يَحْدُثُ حَوْلَهُ، حِينَهَا صَرَخَتْ فِيهِ لَنَا لِيُوَاصِلَ الْحَرَكَةَ. مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ مَطْلِقِي النَّارِ قَدْ حَسَّنَا مِنْ دَقَّةِ تَصْوِيْبِهِمْ. كَانَتْ السَّهَامُ تَصِيبُ النَّاسَ يَمِينًا وَيَسَارًا، وَحَفَلَ الْهَوَاءُ بِصَرَخَاتِ الْأَلْمِ وَالرَّعْبِ. شَعَرَ مَارِكٌ بِانْعِدَامِ الْحَيْلَةِ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَبِيلٌ يَبْقَى بِهِ نَفْسَهُ مِنْ وَابِلِ السَّهَامِ. كُلُّ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ هُوَ أَنْ يَحَاوِلَ عَاجِزًا أَنْ يَسْبِقَ الْآلَةَ الطَّائِرَةَ، وَهِيَ مَهْمَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ.

أَيْنَ كَانَ أَلِكُ؟ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ ذُو الْغَرَائِزِ الْقِتَالِيَّةِ؟ إِلَى أَيْنَ هَرَبَ؟

وَاصِلَ مَارِكُ الْحَرَكَةَ، جَازِبًا وَرَاءَهُ جَسَدَ دَارِنِلَ بِقُوَّةٍ، مُرْغَمًا تَرِينًا وَلَنَا عَلَى مِضَاهَاةِ سُرْعَتِهِ. رَكُضَ الْعُلُجُومُ وَمِستِي بِجَانِبِهِمْ، مُحَاوِلِينَ الْمُسَاعَدَةَ دُونَ تَشْكِيلِ عَائِقٍ. اسْتَمَرَّتِ الْأَسْهَمُ فِي الْانْهَمَارِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْلَى، وَالْمَزِيدُ مِنَ الصَرَخَاتِ، وَالْمَزِيدُ مِنَ الْجِثِّثِ الْمُتَسَاقِطَةِ. انْعَطَفَ مَارِكٌ وَتَمَائِلَ نَاحِيَةِ الزَّقَاقِ الَّذِي أَدَّى إِلَى الْكُوخِ، مُلتَصِّقًا بِالْمَبْنَى عَلَى يَمِينِهِ كَدْرَعٍ جَزَائِيٍّ.

لَمْ يَأْتِ الْكَثِيرُونَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، وَكَانَ هُنَاكَ عَدَدٌ أَقَلُّ مِنَ السَّهَامِ يَجِبُ تَفَادِيهَا. عَرَجَ أَفْرَادُ الْمَجْمُوعَةِ الصَّغِيرَةِ بِأَسْرَعٍ مَا يُمْكِنُهُمْ مَعَ صَدِيقِهِمْ فَاقِدِ الْوَعْيِ. شُيِّدَتِ الْبِنَايَاتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ عَمَلِيًّا فِي هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْمُسْتَوْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَسَاحَةٌ لِلْاِخْتِرَاقِ وَالْهَرُوبِ نَحْوَ غَابَاتِ الْجِبَالِ الْمُحِيطَةِ.

صَاحَتْ تَرِينًا:

- نَحْنُ عَلَى وَشْكِ الْوَصُولِ إِلَى الْكُوخِ!

- أَسْرِعُوا قَبْلَ أَنْ تَعَاوِدَ الْبِرْجَ التَّحَوُّمَ فَوْقَنَا!

دار مارك بجسده ليواجه المقدمة، قابضاً على قميص دارنيل وراءه.

أنهك جرُّ قدميه إلى الخلف عضلات ساقيه إلى أقصى حد، واستعرت من فرط الحرِّ وبدأ يصيبها الشدُّ. لم يكن هناك شيء في طريقهم لإبطائهم الآن، ولذلك زاد مارك من سرعته، ومعه لانا وترينا، كلُّ منهما تمسك بإحدى قدمي دارنيل. انحشر العُلجوم ومِستي وأمسك كلُّ منهما بذراع، متحملين بعضاً من العبء.

تسلَّلوا عبر ممرات وأزقة ضيقة، فوق جذور ناتئة وتراب كُبس حتى أصبح صلباً، واتجهوا يساراً ثم يميناً ثم يساراً مرة أخرى.

جاء هدير البرج من يمينهم، وكتمته المساكن وصفوف الأشجار من بينهم.

انعطف مارك أخيراً ورأى الكوخ عبر حقل. تحرك ناحيته جاريًا، بينما احتشد جمع من السكان الفارين من الجانب الآخر بهلع وهياج، منتشرين في كل الاتجاهات، متوجهين نحو كل باب يرونه. وتجمد عندما حلَّقت البرج فوقهم، أقرب إلى الأرض مما رآه مارك من قبل.

كان هناك ثلاثة أشخاص فقط واقفين على باب كوة المركبة الآن، لكنهم بدؤوا بإطلاق النار بمجرد أن استقرت البرج وهي تحوم فوقهم. اخترقت أشواك فضية صغيرة الهواء، انهمرت على الناس الهارعين إلى الحقل. وجدت كل قذيفة هدفها، منغرزة في أعناق وأذرع الرجال والنساء والأطفال. صرخوا وتهاووا على الأرض من فورهم، بينما تعثر آخرون بأجسادهم في محاولاتهم المحمومة للنجاة. التصق مارك ومجموعته الصغيرة بجانب أقرب مبنى ووضعوا دارنيل على الأرض. كان الألم والتعب في ذراعي وساقي مارك يدفعانه للانهييار بجانب صديقهم فاقد الوعي.

قالت ترينا ويدها على ركبتيها، وهي تجاهد لالتقاط أنفاسها:

- كان يجب أن نتركه هناك، فقد أبطأ حركتنا، وهو لا يزال محقًا في الكثير من الأشياء على أي حال.

قال العُلجوم بصوت مرتعش:

- على حد معرفتنا، فهو ميت.

نظر مارك إليه بحدة، لكن العُلجوم كان محقًا على الأرجح، فلربما عرَّضوا حياتهم للخطر لإنقاذ شخص لم تكن لديه فرصة أصلاً.

سألت لانا وهي تتحرك إلى زاوية المبنى لتتفقد المكان:

- ماذا سيحدث الآن؟

ونظرت إليهم من فوق كتفها.

- إنهم فقط ينتقون الناس يمينًا ويسارًا، لماذا يستخدمون السهام بدلًا من الرصاص؟

أجاب مارك:

- ليس منطقيًا.

قالت ترينا، بينما يرتعد جسدها غضبًا لا خوفًا:

- ألا يمكننا أن نفعل شيئًا؟ لماذا نترك هؤلاء الناس يفعلون ذلك؟

خطا مارك ناحية لانا ونظر معها. تفترش الجثث الحقل الآن، وتنظر السهام المغروزة فيهم نحو السماء كغابة مصغرة. ومع ذلك حومت البرج فوق رؤوسهم، ومحركاتها الدافعة تلتهب بحرارة زرقاء.

همس مارك للا أحد:

- أين رجال أمننا؟ أهم في إجازة أو ما شابه؟

لم يجبه أحد، لكن الحركة عند باب الكوخ جذبت انتباه مارك، ليتنهد بارتياح. كان ألك يلوح بحماس ويحثهم على الانضمام إليه. كان الرجل يحمل ما يشبه بندقيتين ضخمتين مع خطاطيف ملتصقة بأغصان كبيرة من الحبل. حتى بعد كل هذه السنوات، كان لهذا الجندي خطة، وكان بحاجة إلى المساعدة. كان سيقا تل ضد هؤلاء الوحوش، ومارك أيضًا.

تراجع مارك عن الجدار ونظر حوله. رأى قطعة خشب على الجانب الآخر من الزقاق، وركض ليمسك بها دون أن يخبر الآخرين بما كان يفعله، ثم انطلق مسرعًا نحو المساحة الخالية، متجهًا مباشرة إلى الكوخ وإلى ألك، مستعملًا الخشب كدرع.

لم يكن مارك بحاجة إلى أن ينظر إلى الأعلى، كان بإمكانه سماع صوت السهام المميز وهي تُطلق عليه. سمع صوت أحدهم وهو يضرب الخشب، وواصل الركض.

الفصل الخامس

أخذ مارك يبذل من وقع خطواته، مسرعًا ومبطنًا، مراوغًا يمينًا ويسارًا، متجهًا نحو ألك. تضرب السهام الأرض حول قدميه. ضرب أحدهما درعه المُرتَجَل. وبينما كان يجري في الفضاء المفتوح، توجه ألك -الذي كان لا يزال يمسك بهذه البنادق- مباشرةً نحو المساحة الخالية. كاد الاثنان أن يصطدما ببعضهما أسفل البرج، ومال مارك على الفور محاولًا حمايتهما بدرعه.

لمعت عينا ألك بالحدة والعزم، وبدا فجأةً أصغر بعشرين سنة على الرغم من شعره الرمادي.

صرخ:

- علينا أن نسرع قبل أن يقرر ذلك الشيء الإقلاع!

ألهبت المحركات الدافعة رؤوسهم واستمرت السهام في ضرب الناس من حولهم. كان الصراخ شنيعًا.

صاح مارك:

- ماذا أفعل؟

اندفع المزيج المألوف من الأدرينالين والرعب في عروقه وهو ينتظر تعليمات صديقه.

- احمني.

نقل ألك بندقيته تحت ذراعه وأخرج سلاحًا -مسدس أسود باهت لم يره مارك من قبل- من مؤخرة سرواله. لم يكن هناك وقت للتردد. أخذ مارك

المسدس بيده الحرة، وعلم من وزن السلاح أنه كان محشوًّا بالطلقات. اصطدم سهم بالخشب وهو يشد مطرقة المسدس. ثم واحد آخر. لاحظ الغرباء في البرج الشخصين اللذين كانا يخططان في وسط عملية المساحة الخالية. لتضرب المزيد من السهام الأرض كعاصفة بَرَد مفاجئة.

صاح ألك:

- أطلق النار يا فتى، وصوب جيدًا، لأن لديك اثنتي عشرة رصاصة فقط. لا تخطئ هدفك. الآن!

دار ألك وهو يقولها، وركض إلى بقعة تبعد نحو عشرة أقدام. أشار مارك بالمسدس إلى الناس على باب كوة البرج وأطلق طلقتين سريعتين، عالمًا بأنه بحاجة إلى لفت انتباههم على الفور حتى لا يلاحظوا ألك. تراكمت البذلات الخضراء الثلاث ووقعوا على رُكبتهم، وانحنوا ليأخذوا السلم المعدني ساترًا بينهم وبين مُطلق النار. واستدار أحدهم وتسلَّق السلم عائدًا إلى السفينة.

ألقي مارك الدرع الخشبي إلى جانبه. أمسك المسدس بكلتا يديه وثبت وركز. أطلَّ رأس أعلى حافة الكوة، ليسارع مارك إلى التصويب عليه، وضرب طلقة. قفزت يده من ارتداد الطلقة، ولكنه رأى الضباب الأحمر، رذاذ من الدم في الهواء، سقطت جثة من السلم واصطدمت بثلاثة أشخاص في الأسفل، واندلعت موجات جديدة من الصراخ من كل الاتجاهات عندما شاهد الناس ما حدث.

كانت ذراع تمتد حول باب البرج في الأعلى، تصوب السلاح الأنبوبي للخارج لأخذ طلقات عشوائية. أطلق مارك النار، وسمع صوت رنين حاد لضرب الرصاصة الآلة المعدنية، ثم شاهد السلاح يسقط على الأرض. رفعته امرأة وبدأت تفحصه، محاولة معرفة كيفية استعماله للقتال. ربما يكون ذلك نافعًا.

خاطر مارك بنظرة سريعة إلى ألك. كان يحمل السلاح الخُطافي كما لو كان بحارًا على وشك اصطياح حوت. دوى صوت فرقة، وحلَّق الخطاف فجأة نحو البرج، ودار الحبل وراءها كأثر من دخان. تعلق الخطاف بأحد المقابض الهيدروليكية التي تبقي باب الكوة مفتوحًا وتلوى حوله، وتمسك بإحكام، ثم سحب ألك الحبل المشدود.

صرخ الجندي:

- ارم لي المسدس!

نظر مارك للتأكد من أن أحدًا لم يعد من الداخل ليطلق مجموعة أخرى من السهام، ثم ركض إلى ألك، وأعطاه المسدس. التقطه ألك بالكاد، وسمع مارك طلقة ثم أطلق ألك النار في الهواء، سحبته جهازه إلى أعلى الحبل، نحو البرج الحوامة. أمسك بالسلاح الخطافي بيد وصوب المسدس للأعلى بيده الأخرى. قرع صوت ثلاث طلقات على التوالي فور تأمينه لحافة باب الكوة، شاهد مارك الرجل وهو يتسلق السلم، وكانت قدماء آخر ما اختفى من المشهد. وبعد ثوانٍ قليلة، وقع جسم آخر من ذوي البذلات الخضراء من فوق الحافة، واصطدم بمساحة التراب الخالية.

صرخ ألك في وجهه:

- الخطاف الآخر! أسرع، قبل أن يخرج المزيد منهم أو يقلعوا!

لم ينتظر ردًا قبل أن يلتفت ليواجه الجزء الرئيسي من البرج.

نبض قلب مارك بشدة إلى حد شبه مؤلم وهو يخفق بسرعة بين ضلوعه. نظر حوله، وحدد الجهاز الآخر الضخم على الأرض حيث أسقطه ألك. التقطه مارك وفحصه وشعر بذعر شديد لأنه لا يعرف كيف يستخدم ذلك الشيء الغبي.

صرخ ألك قائلاً:

- صوبه إلى هنا! إن لم يعلق فسأربطه بنفسي، أسرع.

أمسكه مارك كبنديقية ودفعه مباشرة نحو منتصف باب الكوة، وضغط على الزناد. كان الارتداد قوياً، لكنه مال نحوه هذه المرة، أحس بالألم ينخز في كتفه. اندفع الخطاف والحبل المعلق فيه نحو البرج، صاعداً فوق حافة الكوة المفتوحة. اصطدمت بصوت مجلجل وانزلقت إلى الورا، ولكن ألك أمسك بها في الوقت المناسب. وراقب مارك ألك وهو يهرع إلى أحد المقابض الهيدروليكية ويلف الخطاف بإحكام حوله.

صاح ألك:

- حسناً! اضغط على زر الجرّار الأخضر...

قاطع هدير محركات البرج بصوت أعلى وارتفاع المركبة في الهواء. أمسك مارك بنهاية جهاز التعلُّق الخطافي وهو يرفع جسده للأعلى، جازاً إياه نحو السماء. سمع تريناً تصيح فيه من الأسفل، لكن الأرض ابتعدت، وأخذ حجم الناس يتضاءل ثانية بثانية. خنق الخوف مارك وهو يتمسك، ممسكاً الحبل بأصابعه بشدة حتى أصبحت بيضاء كالعظام. جعل النظر إلى الأسفل رأسه يدور ومعدته تتقلص، ولذلك علق نظرتة على باب الكوَّة.

اندفع ألك عائداً إلى حافة باب السلم، وكاد يسقط إلى حتفه. فأخذ يركل بقدميه ليدفع بنفسه إلى الأمان، مستخدماً نفس الحبل الذي تشبث به مارك بشدة. ثم ارتمى على بطنه ونظر إلى مارك بعينين واسعتين.

ثم صرخ:

- اعثر على الزر الأخضر يا مارك! اضغط عليه!

اندفع هواء الرياح والمحركات الدافعة حول جسد مارك. كانت البرج تحلّق للأعلى، على ارتفاع مائتي قدم من الأرض على الأقل الآن، متحركة إلى الأمام، متجهة نحو الأشجار. بوسعهم قتل مارك في ثوانٍ، إما بتمزيقه إرباً وإما بإلقائه من الحبل. تشبَّث مارك وهو يبحث باهتياج عن الزر داخل الجهاز.

ها هو ذا، على بُعد بضعة بوصات أسفل الزناد الذي يطلق الخطاف والحبل. كره أن يفلته ولو لثانية واحدة، لكنه ركز كل قوته في يده اليمنى، ضاغطاً أصابعه بإحكام أكثر، ثم ضغط بيساره. كان جسمه كله يرفرف زهاباً وإياباً في الهواء، مترنحاً ضد الرياح ومرتجفاً عند كل هزة للبرج. اقتربت قمم أشجار الصنوبر والبلوط بشدة، ولم يستطع التحكم في جسده بشكل كافٍ للضغط على الزر.

فجأة كان هناك أصوات قعقة وجلجلة وصرير معدن فوقه، لينظر إلى الأعلى. كان باب الكوَّة يُغلق.

الفصل السادس

صاح ألك فيه من الأعلى:

- أسرع!

كان مارك على وشك محاولة الوصول إلى الزر مرة أخرى عندما وصلوا إلى الأشجار. أحكم يده اليسرى على السلاح وأمسك به بأقصى ما يستطيع. انكمش متكورًا وأغلق عينيه بقوة. ضربت أغصان الصنوبر العالية جسده والبرج تسحبه إليها. انخرست الإبر في جلده وحركت النقاط الشائكة من أطراف الشجرة ثيابه وحكّت وجهه. لقد كانوا كالأيدي العظمية يحاولون تحريره، يسحبونه إلى موته. كل شبر من جسمه يبدو مجروحًا.

لكنه نجح، مع قوة اندفاع البرج والحبل الذي يشده من برائن الشجرة. ثم أرخى ساقيه، وركل بعنف والسفينة تدور، ليرسله الحبل طائرًا في قوس ضخم. كان باب الكوّة نصف مغلق، ومال ألك إلى الأمام ناحيته محاولاً سحب الحبل إلى أعلى، يكاد وجهه يتحول للون الأرجواني من الصراخ. وضاعت كلماته وسط كل هذا الضجيج.

كانت معدة مارك تزمجر، لكنه كان يعلم أن ليس لديه سوى هذه الفرصة. ترك الجهاز بيده اليسرى، وتحسّسه بأصابعه حتى وجد الزناد مرة أخرى، ووجّه إصبعه إلى مكان الزر الأخضر. أظهرت رؤيته المحيطية مزيدًا من الأشجار القادمة في طريقه، فالبرج تهبط إلى الأسفل الآن، حتى تضيق عليه فرص النجاة.

وجد الزر وضغط عليه، لكن أصابعه انزلقت. وصلت الأغصان إليه، وحاول مرة أخرى، ضمَّ الجهاز إلى جسده لتحكُّم أفضل، وضغط على الزر بقوة، ثم اندفع إلى الداخل وانطلق جسده للأعلى وهو يتأرجح ناحية الأشجار الكثيفة. ثم اخترقها مندفعًا ناحية الكوة الأعلى بينما تضرب الأغصان وجهه. انسحب الحبل إلى الجهاز مصدرًا صوتًا عاليًا طائرًا نحو ألك الذي مد يده. وصفع الباب بصوت معدني على بعد قدمين أو ثلاثة فقط من إغلاقه.

ترك مارك الجهاز قبل أن يصطدم بالزاوية الحادة لباب الكوة الذي ارتفع ببطء، قافزًا ليمسك بيد ألك ويمسك المعدن بالأخرى. ارتخت قبضته، لكن ألك أمسكه بقوة وجذبه إلى الأمام عبر الفجوة الضيقة. اتسعت الفجوة لجسده بالكاد، وكان على مارك أن يتملص راکلاً حتى يستطيع العبور، لكنه اجتازها في الوقت المناسب، على الرغم من أنه اضطر إلى تخليص باطن حذائه من برائن الكوة الآخذة في الانغلاق. أغلق الباب بصوت رعدي رددت صداه جدران البرج الداكنة.

كان الجو باردًا بالداخل، وعندما تلاشى الصدى، كان الشيء الوحيد الذي استطاع مارك سماعه هو صوت تنفسه الثقيل. كانت الظلمة حالكة، بالنسبة إلى عينيه التي لم تتكيف بعد مع الظلمة، بعدما كان تحت ضوء الشمس الباهر. وشعر بألك بالقرب منه يمتص الهواء ليلتقط أنفاسه. كل شبر من جسد مارك كان يؤلمه، وأحس بالدماء تتدفق من عدة أماكن. توقفت البرج عن الحركة، تهدر وهي تحوم في مكانها.

قال مارك وصدى صوته يتردد:

- لا أصدق أننا فعلنا ذلك للتو. ولكن لماذا لم يظهر جيش ينتظر هنا للتخلص منا ليرمونا من فوق السفينة؟ أو ليطلقوا النار علينا بتلك السهام؟

تنهد ألك بشدة وقال:

- لا أعلم. قد يكون لديهم طاقم قليل العدد، لكنني أعتقد أن هناك على الأقل شخصًا واحدًا ينتظرنا.

- ربما يوجه أحدهم مسدسات السهام هذه إلى رأسي الآن.

بصق ألك وقال:

- لا، أعتقد أن هؤلاء أشخاص تافهون أرسلوا للقيام بمهمة أكثر من قدر إمكانياتهم. ربما قضينا على طاقمهم بالكامل، باستثناء الطيار على الأقل.

غمغم مارك:

- أو ربما هناك عشرة رجال مسلحين ينتظروننا خارج هذه الغرفة.
أجابه ألك:

- حسنًا، هذا أو ذاك. هيا بنا.

تحرك الجندي إلى الأمام، ولم يكن بوسع مارك إلا أن يتتبع صوت تحركاته. بدا وكأنه يزحف.

- ولكن...

همَّ مارك بالحديث، ثم أدرك أن ليس لديه شيء ليقوله. ماذا كانوا سيفعلون؟ أيجلسون هناك ويلعبون الحجلة حتى يستقبلهم أحدهم بالكوكيز والحليب؟ هبط على يديه وركبتيه، ليثنيَّ جسده من آثار جروحه، وتبع صديقه. لمع مصدر ضوء خافت على بعد بضعة أقدام، وبدأت معالمه تتضح عندما اقتربوا منه. بدا كأنهم في غرفة تخزين ذات رفوف على طول الجدران، الأبواب محاطة بالسلاسل للحفاظ على كل شيء في مكانه. لكن نصف الرفوف على الأقل كانت فارغة.

كان مصدر الضوء لوحة متوهجة فوق باب معدني ذي مسامير تبطن حوافه.

قال ألك وهو يقف أخيرًا:

- أتساءل عما إذا كانوا قد سجنونا هنا.

مشى إلى الباب وجرب المقبض. لن يتزحزح بالتأكيد.

ارتاح مارك لوقوفه - حيث كانت الأرضية قاسية على ركبتيه - لكن عضلاته أنفتحت عندما انتفض واقفًا. لقد مر وقت منذ أن بذل ذلك القدر من المجهود، وكانت المرة الأولى التي تبرحه فيها مجموعة من الأشجار ضربًا.

سأل:

- ما الذي يحدث على أي حال؟ ما الذي يريده أي شخص من قرية لا قيمة لها؟ ويطلقون النار علينا بالسهام؟ أعني... ماذا كان ذلك؟
أجابه ألك وهو يشدُّ الباب بقوة ويهزُّ المقبض دون جدوى:
- ليتني كنت أعرف. لكن هؤلاء الناس قد سقطوا كالذباب عندما ضربوا بهذه السهام.
ثم استدار بعيداً عن الباب بنظرة محبطة، ثم وضع يديه على فخذه كسيدة عجوز.

كرر مارك بصوت خفيض:

- سقطوا كالذباب. كان دارنيل أحدهم. هل تعتقد أنه بخير؟
نظر ألك إليه نظرة فيما معناها: أنت أذكى من ذلك. وعلم مارك أنه مُحق.
سقط قلبه بين ضلوعه. منذ جاءت البرج والأحداث تتدافع بشكل جنوني، فلم يستجمع أفكاره إلا الآن: دارنيل ميت على الأغلب.

تساءل مارك:

- لماذا نحن هنا؟

قال ألك وهو يشير بإصبعه:

- لأن هذا ما تفعله عندما يأتي شخص إلى منزلك مهاجماً أهل بيتك، ليس بوسعك سوى مقاومتهم. لن أدع تلك الحفنة من مصاصي الدماء تفلت بما فعلوه.

فكر مارك في دارنيل، وفي كل هؤلاء الناس المصابين المشوشين، وأدرك أن ألك كان على حق.

- حسناً، أنا معك. فماذا نفعل إذا؟

- أولاً، يجب أن نفتح هذا الباب اللعين. ساعدني في البحث، انظر إن كنا نستطيع العثور على شيء نفتحه به.

تجول مارك حول الغرفة، على الرغم من أن الضوء كان شديد الخفوت،

وسأل:

- لماذا تحوم المركبة الآن على أي حال؟

- من المؤكد أنك تحب طرح أسئلة ليس لدي أي وسيلة للرد عليها. فقط أبقِ عينيك مفتوحتين وابحث!

- حسنًا، حسنًا.

في البداية لم يرَ مارك إلا الكثير من الخردة. قطع غيار وأدوات وصناديق مليئة بالمؤن، فيها كل شيء من الصابون إلى ورق الحمام، ثم رأى شيئًا معلقًا على الحائط عرف أن ألك سيحبه: مطرقة ثقيلة.

صاح مارك:

- ها هنا!

رفع الشيء ووزّنه بيديه.

- جميل وثقيل، مثالي لأن تخلع به الباب بين يديك العملاقتين.

- لم تعودا قويتين كما كانتا.

ابتسم الدب العجوز ولمع الضوء الخافت في عينيه وهو يلتقط اليد الخشبية للمطرقة. سار نحو الباب المغلق وبدأ في ضربه. لم يكن أمام الباب أدنى فرصة للصمود، لكن توقع مارك أن يستغرق الأمر دقيقة أو اثنتين من العمل حتى يتحطم. كان يأمل فقط ألا يجدا وراءهما جيشًا من المجرمين المتشحين بالأخضر.

كلانج، كلانج، كلانج. استمر ألك في القرع، واتسعت الفتحة.

جال مارك أكثر، أملًا أن يجد سلاحًا ليستخدمه عندما ينفتح الباب. كان لدى ألك مطرقة رمادية ضخمة ليضرب بها على الأقل. جذب شيء ما في الركن الأكثر ظلمة من الغرفة انتباه مارك، قسم مليء بالصناديق ذات الأغشية الصلبة ربما بطول قدمين وارتفاع وعمق قدم، يبدو كأنها صُنعت لحماية شيء مهم. وكان بعضها مفتوحًا وفارغًا، والبعض الآخر مغلق بإحكام.

هرع ناحيتها وأجهد عينيه ليراها، ولكن الظلام لم يسمح له بتمييز أي شيء. التقط واحدًا من تلك الصناديق المغلقة - كانت أخف مما تخيل - وعاد به إلى النور، ثم وضع الصندوق على الأرضية المعدنية. وأخيرًا ألقى نظرة جيدة عليه حين اتكأ.

كان هناك رمز تحذيري ملصق أعلاه، من النوع الذي يشير إلى أن محتوياته خطر بيولوجي. كُتِب أسفل الرمز:

فيروس VC321xb47

شديد العدوى

24 سهمًا، يوصى بالحدز الشديد في التعامل.

تمنى مارك فجأة ألا يكون قد لمس ذلك الشيء.

الفصل السابع

استوى مارك وتحرك بضعة أقدام للوراء. لم يصدق أنه حمل الصندوق. ربما كان ليفتحه إن لم يضعه ناحية الضوء قبلها. ربما كُسرت تلك السهام في أثناء رحلة طيران البرج، وربما تسرب الفيروس عبر شقوق الحاوية الصغيرة. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك صناديق مفتوحة على الرفوف، مع أنها بدت فارغة. مسح بيديه على سرواله، وابتعد أكثر.

كلانج. كلانج. كلانج.

توقف ألك، متنفسًا بثقل، وقال:

- ضربة أو اثنتان أخريان وسيفتح هذا الباب. علينا أن نكون مستعدين. أوجدت أي أسلحة؟

شعر مارك بالمرض، كما لو أن حشرات مجهرية قد قفزت من الصندوق إلى جلده، حافرة طريقها إلى دمه حتى وهو واقف هناك.

- لا، مجرد صندوق يحمل سهامًا ملأى بفيروس مميت. ربما يمكننا أن نلقي بعضها عليهم؟

كان يقصد المزاح، ولكن تلك الكلمات أصابته بالغم عندما خرجت من فمه.

كرر ألك بصوت مُتَشَكِّك:

- ماذا؟ فيروس؟

مشى ونظر إلى الأسفل، إلى العلبة على الأرض.

- بحق الـ... إذًا هذا ما كانوا يطلقونه علينا؟ مَنْ هؤلاء الناس؟

تساءل مارك في هلع وهو يسمع التوتر الصاعد في صوته ويخجل منه:

- ماذا لو كانوا ينتظرون على الجانب الآخر من ذلك الباب؟ في انتظار وضع السهام في أعناقنا؟ ماذا نفعل حينها؟

- اهدأ يا فتى. لقد كنا في موقف أكثر صعوبة من هذا. اعثر فقط على شيء ما، أي شيء، يمكن ليدك التقاطه لتضرب به رأس أحدهم إذا هجموا علينا. أتريد أن تدع هؤلاء الناس يفلتون من ضرب أصدقائنا بهذه السهام؟ نحن هنا الآن، فلا فرصة للتراجع.

العزيمة في صوت ألك جعلت مارك يشعر بتحسن ويثق بنفسه أكثر.

- حسنًا. سأبحث عن شيء.

- أسرع.

كان مارك قد رأى مفتاح ربط معلقًا على الحائط قرب المطرقة. ركض وأمسك به. كان يأمل أن ينكشف أمامه سلاح حقيقي، لكن على تلك القطعة من الحديد بطول قدم أن تصبح كافية.

كان ألك يضع المطرقة في يديه، مستعدًا لضربها على مقبض الباب المنكسر.

- أنت محق في أنهم قد يطلقون النار علينا بمجرد أن يفتح هذا الباب. دعنا لا نسرع بالهجوم كزوجين غبيين من الغوريلات. تعال إلى هناك وانتظر أوامري.

فعل مارك كما قيل له، ضاغطًا ظهره ناحية الحائط على الجانب الآخر من الباب، ممسكًا بالمفتاح بإحكام.

- أنا جاهز.

واندفع الخوف داخله.

- حسنًا...

رفع ألك المطرقة عاليًا، ثم هوى بها على المقبض. تطلب الأمر ضربتين إضافيتين لكي ينفصل المقبض تمامًا بصوت خبط عال. تأرجحت المطرقة

مرة أخرى، وانفتح الباب طائرًا للأمام ليصطدم بالجدار من الجانب الآخر. وعلى الفور تقريبًا شقَّت ثلاثة أسهم الهواء، سووش، سووش، والتصقت بالحائط البعيد. ثم سمع صوت تخبُّط تبعته خطوات تتحرك بعيدًا. شخص واحد فقط.

رفع ألك يده كأنه يعتقد أن مارك سيهرع بمطاردة الرجل، ثم اختلس نظرة من حافة إطار الباب.

- نحن في أمان الآن. لا بد أن سهام هذا الجرد قد نفذت، لأنه رمى مسدسه على الأرض. بدأتُ أعتقد أنه لا يوجد الكثير من الأشخاص في هذه البرج. هيا، لنمسك بهذا الحقير.

مال ألك إلى العراء لمسافة أبعد، ناظرًا ذهابًا وإيابًا لمرّة أخيرة. ثم انتقل إلى المنطقة الأبعد ذات الإضاءة الخافتة. تنفس مارك بعمق وتبعه إلى الردهة، راکلاً مسدس السهام باشمئزاز. وبينما تدحرج المسدس عبر الغرفة ليصطدم بالحائط، تذكّر دارنل والسهم يبرز من كتفه، وتمنى مارك لو كان في يديه أكثر من مفتاح.

أمسك ألك بالمطرقة بكلتا قبضتيه بزاوية مائلة وهو يتسلل عبر الرواق الضيق. كان الرواق مقوَّسًا بعض الشيء، كما لو أنه يتبع الحافة الخارجية الدائرية للمركبة. تباعدت لوحات متوهجة كالتي رأوها في غرفة الكوَّة بنحو عشرة أقدام كمصدر وحيد للإضاءة. عبرا بجانب أبواب عديدة، ولكن كلاً منها كان مقفلًا عندما حاول ألك فتحها.

حارب مارك للحفاظ على أعصابه في أثناء سيرهما، محاولًا الاستعداد إن هاجمه أي شيء. وكان على وشك أن يسأل ألك عن تخطيط البرج - تذكر أنه كان طيارًا في يوم من الأيام - عندما سمع بابًا ينفتح بعنف، ثم صوت خطوات أخرى.

صاح ألك:

- اذهب!

ترنح قلب مارك وعدا سريعًا، ملاحقًا ألك في الممر المقوَّس. لم يلمح مارك سوى ظل يعدو بعيدًا، لكنه بدا كأحد مرتدي البذلات الخضراء الذين

وأوهم سابقًا، دون خوذته. صاح الشخص بشيء لم يمكنهم فك شفرة كلامه بينما ردد صداه على جدران الردهة. لقد كان رجلًا بالتأكيد. على الأرجح هو من أطلق عليهم النار.

هدرت المحركات من حولهم، وبدأت البرج في التحرك، مندفعة إلى الأمام بقوة. فقد مارك توازنه واصطدم بجدار وارتدَّ ثم تعثر فوق ألك، الذي كان ممددًا على الأرض. وسار الاثنان على أقدامهما وأمسكا بأسلحتهما.

صاح ألك:

- مقصورة القيادة في الأعلى، أسرع!

لم ينتظر ردًا، ركض الرجل في الممر وتبعه مارك، ثم وصلا إلى منطقة مفتوحة فيها كراسي ومنضدة، بينما اختفى الرجل الذي كانا يطاردانه داخل كوة مستديرة تقود إلى مقصورة القيادة غالبًا. وبدأ يغلق الباب، لكن ألك رمى المطرقة في الوقت المناسب. فاصطدمت بالحائط المجاور للكوة وسقطت على الأرض، مانعة الباب من الانغلاق. لم يتوقف مارك، بل ركض متخطيًا ألك ووصل إلى قمرة القيادة أولًا، ومال إلى الداخل دون أن يسمح لنفسه بالتوقف للتفكير في الأمر.

لمح سريعًا مقعدين للطيارين، نوافذ فوق لوحات عريضة مليئة بالأجهزة والمفاتيح والشاشات التي تومض بالمعلومات. وكان أحد الكراسي تشغله امرأة تضغط على الأزرار بعنف، بينما كانت البرج تندفع إلى الأمام، اختفت الأشجار تحتهم بسرعة أعلى. بالكاد كان مارك يستوعب كل ما حوله عندما عرقله أحدهم من جهة اليمين، ليصطدم الاثنان بالأرض بعنف.

غابت أنفاس مارك بينما حاول مهاجمه تثبيتته أرضًا، ثم ضربت مطرقة ألك الرجل في كتفه ليطيير بعيدًا. وقع على الأرض وهو يئن من الألم، وجاهد مارك للوقوف وعانى ليتمص الهواء إلى رئتيه. أمسك ألك بالرجل من قميصه الأخضر وقرَّبَه من وجهه.

صرخ الجندي السابق والرذاز يتطاير من فمه:

- ما الذي يحدث هنا؟

استمرت الطائرة بالتحكم في المركبة متجاهلة المشهد الفوضوي خلفها.
خطا مارك نحوها غير متأكد مما يفترض عليه عمله، ثم ثبت قدميه ووضع
في صوته كل ما يملك من صرامة.

- أوقفني هذا الشيء الآن. أرجعيه وخذينا إلى موطننا.

تصرفت وكأنها لم تسمعه.

صاح ألك في الرجل:

- تكلم!

قال الرجل بأنين مثير للشفقة:

- نحن لا شيء! لقد أرسلنا فقط للقيام بعملهم القدر.

كرر ألك:

- أرسلتم؟ من أرسلكم؟

- لا أستطيع إخبارك.

استمع مارك لما حدث في الغرفة، وانزعج لتجاهل الطائرة لتوجيهاته.

- قلت لك أوقفني هذا الشيء! الآن!

شعر بالسخف على الرغم من إمساكه لمفتاحه.

أجابت السيدة بلا إشارة لعاطفة في صوتها:

- أنا فقط أتبع الأوامر يا بني.

كان مارك يبحث عن رد حينما لفت صوت ألك وهو يلکم الرجل على

الأرض انتباهه.

كرر ألك:

- من أرسلك؟ ماذا كان في تلك السهام التي أطلقت علينا؟ نوع من

الفيروسات؟

قال الرجل وهو يئن:

- لا أعلم، أرجوك، أرجوك لا تؤذني.

أولى مارك انتباهه كاملاً للرجل ذي البذلة الخضراء الآن، الذي تلون وجهه فجأة بلون رمادي، كما لو كان ممسوساً.

قال بشكل شبه آلي:

- قم بذلك. أسقطوها.

قال ألك:

- ماذا؟ ما هذا؟!

أدارت الطائرة رأسها إلى وجه مارك، الذي نظر إلى الخلف محتاراً. كان لها نفس الأعين الخاوية التي تبدو ميتة، مثل الرجل ذي البذلة الخضراء.

- اتبعوا الأوامر.

مدت يدها لتشدّ مقبضاً لأقصى مسافة ممكنة. وترنحت البرج بأكملها وهوت نحو الأرض، وامتلات نوافذ القمرة فجأة بالخضرة.

طار مارك من الأرض واصطدم بلوحات التحكم. تحطم شيء ضخم وملأ عواء المحركات أذنيه، كان هناك تصادم مدوّ أعقبه انفجار. توقفت البرج فجأة وطار شيء صلب عبر الغرفة ليضرب مارك في رأسه.

أحس بالألم وأغلق عينيه قبل أن يحجب سريان الدم رؤيته. ثم تسرب وعيه ببطء وهو يسمع ألك يناديه باسمه داخل نفق مظلم لا نهاية له.

نفق... فكّر كم كان ذلك مناسباً قبل أن يفقد وعيه تماماً. على كل حال، هذا هو المكان الذي بدأ فيه كل شيء.

الفصل الثامن

أمال مارك رأسه إلى الخلف على مقعده في مترو الأنفاق وهو يسرع. يغمض عينيه، يبتسم. كانت المدرسة حملًا ثقيلًا في ذلك اليوم، لكنها انتهت. انتهت لمدة أسبوعين. والآن يمكنه أن يسترخي. يمكنه أن يلعب الفرتيبوكس ويتناول كميات هائلة من الطعام. يخرج مع ترينا ويتحدث إليها ويضايقها. وربما يودّع أبويه ويختطفها ويهرب.

يفتح عينيه.

إنها تجلس بجانبه، متجاهلة إياه تمامًا، ليس لديها أي فكرة أنه يحلم بها، أو أنه حتى يحبها بجنون. كانوا أصدقاء لفترة طويلة، بفضل الظروف أكثر من أي شيء. عندما تعيش بجوار طفل، ذلك الطفل هو صديقك وفقًا لقواعد الكون. ذكرًا كان أو أنثى أو كائنًا فضائيًا، لا يهم. لكن كيف عرف أنها ستتحول إلى هذا الشيء الجميل بهذا الجسد المثير وتلك العينين الباهرتين؟ المشكلة الوحيدة في ذلك بالطبع أن كل شخص آخر في المدرسة يحبها أيضًا. وترينا تُحب أن تُحب، وهذا واضح.

يقول:

- يا...

تعبر عربات المترو السريعة الأنفاق تحت مدينة نيويورك هادئة كالهمس، حركتها مريحة، وهذا ما يجعله راغبًا في إغلاق عينيه مرة أخرى.

- ما الذي تفكر فيه؟

تلقي عيناها بعينيه، ثم يضيء وجهها بابتسامة.

- لا شيء على الإطلاق. هذا ما سأفعله لمدة أسبوعين. لن أفكر، وإذا بدأت في التفكير، فإنني سأفكر ملياً في عدم التفكير إلى أن أتوقف عن التفكير.

- واو. يبدو ذلك صعباً.

- لا، لا، هو ممتع فقط لا غير. لا يعرف كيف يفعل ذلك إلا العباقرة النابغين. هذه هي إحدى اللحظات التي تجتاح مارك فيها الرغبة السخيفة لقول شيء عن حبها، وأن يطلب مواعدها بحق، بأن يمد يده ليضمّ يدها. وبدلاً من ذلك، تخرج الكلمات الغبية المعتادة.

- يا أحكم الحكماء، ربما يمكنكم أن تعلموني طريقة التفكير هذه، ألا أفكر.

تقطب وجهها قليلاً قائلة:

- يا لك من أحمق!

نعم، لقد ملكها الآن بالتأكيد. يشعر برغبة في الأئين، ربما بلكم نفسه في وجهه.

تقول لتلين من وقع الضربة:

- لكنني أستلطفُ الحمقى.

يشعر بالراحة مجدداً.

- إذا... ما هي خطتك؟ إلى أين أنتم ذاهبون؟ أستبقون في المنزل أم ماذا؟

- قد نذهب إلى بيت جدتي لبضعة أيام، لكننا سنكون في المنزل معظم أيام العطلة. من المفترض أن أخرج مع داني في وقت ما، لكن لا شيء مؤكد. ماذا عنك؟

هبطت معنوياته بضع درجات. هناك الكثير من التقلبات مع هذه الفتاة.

- اممم، نعم. أعني، لا، نحن فقط... لا شيء. سأكون مسترخياً أتناول رقائق البطاطس وأتجشأ كثيراً. سأشاهد أختي الصغيرة مراراً وهي تُدلل بالهدايا.

ماديسون مدلة بالفعل.

- ربما يمكننا أن نتسكع إذا.

يعلو بميزان كلماته مرة أخرى قائلاً:

- سيكون ذلك رائعاً. ماذا عن كل يوم؟

إنها أكثر العبارات جرأة فيما قاله لها.

- حسناً. وربما يمكننا أن...

ثم تنظر حولها بحذر مبالغ فيه، وتعود للنظر إليه قائلة:

- نختلس قبلة في قبو منزلك.

لثانية طويلة، يعتقد أنها جادة ويتوقف قلبه تماماً، تتصاعد القشعريرة

على جلده كالجنود، ويحترق صدره بالمشاعر التي تجيش فيه.

ولكن بعد ذلك تبدأ بالضحك كالمخابيل، دون سوء نية، وربما قد لاحظ

إشارة للغزل الحقيقي في مكان ما، ولكنه في الغالب يستطيع أن يقول إنها

تراهم كأصدقاء عمر لا أكثر، وأن فكرة التقبيل في قبو منزله سخيفة جداً.

ويقرر مارك رسمياً التخلي عن أفكاره لفترة من الوقت.

قال:

- أنتِ مضحكة جداً. إنني أضحك من الداخل.

توقفت عن القهقهة وأشاحت بيدها لتَهْوِي على وجهها.

- كنت لأفعل ذلك حقاً، كما تعلم.

خرجت الكلمة الأخيرة بالكاد من فمها عندما انطلقت الأضواء.

يفقد المترو كل طاقته ويبدأ في التباطؤ، يكاد مارك يقع من مقعده

إلى حضن ترينا. في أي وقت آخر لربما يكون هذا جيداً، لكنه الآن خائف.

فقد سمع قصصاً عن أشياء كهذه حدثت في الأيام الخوالي، لكن لم يسبق

في حياته أن انقطع التيار تحت الأرض. هم في ظلام تام مطلق. بدأ الناس

يصرخون. العقل ليس مجهزاً ليغرق في ظلام كهذا دون سابق إنذار، ذلك

شيء مربع. ليكسر الظلام أخيراً بعض التوهج من هواتف المعصم.

يمسك ترينا بيده ويضغط. تسأل ببساطة:

- ماذا بحق السماء؟

يشعر بالاطمئنان لأنها لا تبدو خائفة جدًا، ليعيده ذلك إلى رشده. وعلى الرغم من أن هذا لم يحدث من قبل، فمن المؤكد أن مترو الأنفاق لا بد من أن يتعطل في مرحلة ما.

- أعطال، على ما أعتقد.

يسحب هاتفه الكفّي -ليس غنيًا بما فيه الكفاية ليمتلك هاتف معصم فخماً كهذا- لكن من الغريب أنه لا شبكة هناك. وضع الهاتف في جيبه مجددًا.

اشتعلت مصابيح الطوارئ الصفراء الناعمة، تلك الشرائط المنتشرة على سطح القطار، ضوءها خافت ولكنها أفضل من العمى الذي كان قبلها. الناس واقفون من حوله، ينظرون إلى أعلى وأسفل القطار، يهمسون بغضب بعضهم لبعض. يبدو الهمس أنه ما يفترض بك القيام به في حالة كهذه.

تقول ترينا (بهمس طبعًا):

- على الأقل لسنا في عجلة من أمرنا.

غادر مارك ذلك الشعور الأولي بالهلع. كل ما يريد أن يفعله الآن هو أن يسألها ما الذي تعنيه عندما قالت: «كنت لأفعل ذلك حقًا، كما تعلم»، ولكن تلك اللحظة قد قُتلت إلى الأبد. التوقيت اللعين!

يهتز القطار قليلًا بشكل أقرب للارتعاش كذبذبة بسيطة لكنها مقلقة، ليعاود الناس الصراخ والحركة. يتبادل مارك وترينا نظرة مليئة بالفضول مع شرارة من الخوف.

يقتحم رجلان أبواب الخروج ويعملان على فصلها، تنزلق الأبواب مفتوحة أخيرًا، ويقفز الرجلان إلى الرصيف الممتد بطول النفق، يتبعهما بقية الركاب كمجموعة من الفئران تفر من حريق، يدفعون بعضهم بعضًا وهم يسبّون حتى خرج الجميع. في غضون دقيقتين أو ثلاث، كان مارك وترينا وحدهما في عربة المترو، والأضواء الشاحبة تتألق فوقهما.

تقول ترينا بهمس دون سبب:

- لا أعلم إن كان هذا ما يجب علينا فعله حقًا. أنا متأكدة من أن هذا الشيء سوف يعود للعمل قريبًا.

يقول مارك:

- نعم.

ويستمر القطار في الزلزلة قليلاً، وبدأ ذلك يقلقه أكثر.

- لا أعلم. في الواقع، هناك شيء ما ليس على ما يرام.

- هل تعتقد أن علينا الخروج؟

يفكر في الأمر لثانية، ثم يقول:

- نعم. إذا جلسنا هنا قد أصاب بالجنون.

- حسنًا. ربما أنت محق.

يقف مارك وتحذو ترينا حذوه. يمشيان إلى الأبواب المفتوحة، ثم يتسلقان إلى الرصيف. إنه ضيق ودون حواجز، مما يجعل الأمر يبدو شديد الخطورة إن تحركت القطارات من جديد. اشتعلت أضواء الطوارئ في النفق أيضًا، ولكنها بالكاد تفعل أي شيء لكسر الظلام شبه الملموس في مكان بهذا العمق تحت الأرض.

تقول ترينا مشيرة إلى يسارهم:

- لقد سلكوا هذا الطريق.

وشيء ما في لهجتها يجعل مارك يعتقد أنها تعني أن عليهما الذهاب في الاتجاه المعاكس، ليوافقها الرأي.

يقول وهو يهز رأسه موافقًا:

- إذن... إلى اليمين.

- نعم. لا أريد أن أكون بالقرب من أي من هؤلاء الناس. لا أستطيع حتى

أن أقول السبب.

- يبدو كحشد من الغوغاء.

- هيا بنا.

تمسكه من ذراعه بينما تستهل السير على الحافة الضيقة. كلاهما يمران بيديهما على طول الجدار، يكادان يميلان إليه ليتأكدوا من عدم سقوطهما على القضبان. الحائط يهتز، لكن ليس بقوة اهتزاز القطار. أيًا كان سبب انقطاع

الكهرباء، فلربما كان على وشك الانتهاء. ربما كان مجرد زلزال بسيط وكل شيء سيصبح على ما يرام.

سارا لعشر دقائق دون حديث، عندما سمعا الصراخ هناك. لا، ليس مجرد صراخ، ما هو أكثر من الصراخ. رعب خالص، كأناس يُذبحون. تتوقف ترينا، تلتفت للنظر إلى الورا إلى مارك. وتختفي كل الشكوك والآمال.

حدث شيء فظيع.

أنبأت غريزة مارك بالدوران والركض في الاتجاه المعاكس، لكنه خجل من نفسه عندما فتحت ترينا فمها وأظهرت مدى شجاعتها.

- نحن بحاجة إلى الذهاب إلى هناك، لنرى ما يجري، لنرى إن كنا نستطيع المساعدة.

كيف يمكنه أن يرفض ذلك؟ يركضان بسرعة وحذر حتى يصلا إلى الرصيف العريض للمحطة الفرعية. ثم يتوقفان. المشهد أمامهما أكثر ترويعًا لعقل مارك من أن يستوعبه. لكنه يعرف أن حياته لن تعود كما كانت أبدًا.

الجثث متناثرة على الأرض عارية محترقة. صرخات وصيحات الألم تخترق طبلي أذنيه ويتردد صداها بين الجدران. يعرج الناس بأذرع ممدودة وثياب مشتعلة ووجوههم نصف ذائبة مثل الشمع. الدماء في كل مكان، وموجة حر مستحيلة الاحتمال تتسرب عبر الهواء، كما لو كانوا داخل فرن.

التفت ترينا وتشبثت بيده، بنظرة رعب على وجهها يعلم أنها ستُحفر في ثنايا عقله إلى الأبد. ثم تجره مرة أخرى، راكضين إلى حيث أتيا.

يفكر في والديه وأخته الصغيرة طوال هذا الوقت.

في عقله يراهم يحترقون في مكان ما، ويرى ماديسون تصرخ... فينكسر قلبه.

الفصل التاسع

- مارك!

زالت الرؤيا، لكن ذكرى النفق لا تزال تظلم عقله وكأنَّ وحلاً يسيل فوقه.

- مارك! استيقظ!

كان ذلك صوت ألك، لا شك في ذلك، يصيح فيه. لماذا؟ ماذا حدث؟

- اصح، اللعنة!

فتح مارك عينيه، وطرف في مواجهة الشمس المشرقة التي تشق الأغصان العالية فوقه، ثم ظهر وجه ألك ليحجب الضوء، ليستطيع الرؤية بوضوح أكثر.

قال الدب المسن بتنهيدة طويلة:

- أخيراً! بدأتُ أرتعب يا فتى.

كان ذلك عندما اندلع الألم في جرح رأس مارك، كان الألم أبطأ منه في الاستيقاظ لا غير. كان يتصاعد داخل جمجمته ويسيطر على دماغه. تنهد ووضع يديه على جبهته، ثم مسَّ بقعة الدم الجاف.

«آه» هو كل ما استطاع قوله قبل أن يئن مرة أخرى.

- نعم، لقد أصبتَ بشدة عندما تحطمت المركبة في الهبوط. أنت محظوظ لأنك على قيد الحياة. من حسن حظك أن يكون لديك ملاك حارس مثلي لينقذ حياتك.

ظن مارك أن ذلك قد يقتله، لكن كان عليه أن يفعل ذلك، وجلس بينما استعدَّ للمعاناة. طرف عينيه ليزيل البقع في رؤيته، وانتظر خمود الألم في رأسه وجسده، ثم نظر حوله.

كانا يجلسان في حقل محاط بالأشجار. تشق الجذور المسننة طريقها عبر أوراق شجر الصنوبر وباقي الأوراق الساقطة. ووقع حطام البرج على بعد مئة قدم تقريباً بين شجرتي بلوط عملاقتين كما لو كانت زهرة معدنية عملاقة تنمو هناك. كانت تحترق ببطء بدخان كثيف من حولها على الرغم من انعدام النيران، ملتوية ومنثنية على نفسها.

سأل مارك، بذهن لا يزال مشوشاً:

- ماذا حدث؟

- ألا تتذكر؟

- لا شيء بعد أيّاً كان ما ضربني في رأسي.

رفع ألك يديه عاليًا في الهواء.

- لم يحدث الكثير. لقد أصبنا ثم سحبت مؤخرتك إلى هنا. ثم جلست هنا وشاهدتك تتقلّب كأنك تحلم بكابوس. أهي الذكريات مرة أخرى؟

كل ما كان باستطاعة مارك فعله هو الإيماء موافقاً. لم يُرد التفكير في الأمر. قال ألك وهو يغير الموضوع، وقدّر مارك أنه لم يضغط عليه ليتحدث:

- فتشت في البرج بقدر ما أستطيع، لكن دخان المحركات كان هائلاً. بمجرد أن أستطيع المشي هناك دون أن يقضى عليّ، سأبحث أكثر. سأكتشف من هؤلاء الأشخاص، ولماذا فعلوا ما فعلوه، حتى لو كان ذلك آخر ما سأفعله.

أجاب مارك:

- حسناً.

ثم صدمته فكرة، تبعثها موجة من الذعر.

- ماذا عن الفيروسات التي رأيناها؟ ماذا لو كانت الحاويات والسهام قد انكسرت وانتشرت في كل مكان الآن؟

أمسك ألك يده وربت على صدر مارك.

- أعلم، أعلم ذلك. لا تقلق. كان علي المرور بغرفة الكوّة تلك حتى أستطيع الخروج، ولقد رأيت الصناديق التي لا تزال مغلقة بإحكام وأمنة.

- حسنًا. كيف يعمل الفيروس؟ أعني... ما احتماليات أننا قد أصبنا به؟ هل نستطيع أن نعرف إن حدث ذلك؟

لم يحب قط تلك الحالة من انعدام اليقين.

- أي نوع من الفيروسات تظنه على أي حال؟

ضحك ألك ضحكة صغيرة، وقال:

- يا بني، هذه الكثير من الأسئلة الجيدة التي لا أملك إجابات لها. علينا فقط أن نسأل خبراءنا عندما نعود. ربما سمعت لانا بهذه السلالة من قبل. ولكن تخميني هو أن ليس عليك أن تقلق إلا إذا أصبت بحالة برد سيئة. تذكر، لقد أطاح بالآخرين فورًا وأنت لا تزال واقفًا.

مرت الكلمات المكتوبة على الصندوق في رأس مارك وحاول الاسترخاء.

«شديد العدوى». قال بحذر:

- سأبقي ذلك في ذهني. إلى أي مدى تعتقد أننا طرنا بعيدًا عن المستوطنة؟

- لا أعلم. قد تكون العودة مجهودًا لا بأس به، لكن الأمور ليست بهذا السوء.

استلقى مارك على الأرض وأغمض عينيه ووضع ذراعه فوقهما.

- أعطني بضع دقائق فحسب. ثم أعتقد أننا يجب أن نبحث في السفينة.

ومن يدري ماذا قد نجد.

- لك هذا.

بعد نصف ساعة، عاد مارك إلى داخل البرج يركل الأنقاض، لكنه الآن كان

يسير على الحائط بدلًا من الأرضية الملتهبة.

كان ميل البرج على جانبها مُربكًا، حيث تلاعب بذهنه وبرأسه الذي يخفق

بالصداع وأزعج معدته الضعيفة أصلًا، لكنه كان مصممًا كالك على إيجاد

شيء يدل على هوية أصحاب البرج. من الواضح أنهم لم يعودوا آمنين في منازلهم الجبلية الصغيرة.

أكثر نتيجة منتظرة كانت من أنظمة الكمبيوتر، لكن ألك حاول في هذا الطريق دون جدوى؛ كانت كلها مغلقة وميتة، على الرغم من أن الاحتمالات كانت أنه وألك سيجدان هاتفًا محمولًا أو جهازًا لوحيًا وسط الحطام، وإذا حالفهما الحظ فلن يكون مكسورًا. مرَّ زمن طويل منذ أن رأى مارك تكنولوجيا كهذه. بعد أن ضربهم الوهج الشمسي، فلم يتبقَّ لهم سوى ما نجا من الاحتراق مما كانوا يملكونه، ولم تستمر البطاريات لفترة طويلة. ولكن إذا كان لديك برج، فمن المحتمل أن تكون لديك بطاريات أيضًا.

برج. كان بداخل برج. أدرك الآن فقط كم تغير عالمه فيما يزيد قليلًا على عام. في يوم من الأيام، كانت رؤية برج مثيرة كروية شجرة. وبالأمس فقط كان يتوقع أنه لن يرى إحداها مجددًا. الآن هنا كان يبحث في واحدة ساهم في تدميرها، باحثًا عن الأسرار. كان الأمر مثيرًا على الرغم من أن كل ما رآه حتى الآن قمامة وملابس وحطام السفينة والمزيد من القمامة.

ثم تغير حظه. جهاز لوحي يعمل بكفاءة. كان مفتوحًا، حيث جذبت انتباه مارك شاشته الساطعة. كانت محشورة بين مرتبة وقعر سرير في إحدى الكبائن الصغيرة. أطفأه فور ما أخرجه، فإن نفدت بطارية هذا اللعين، فلا سبيل لإعادة شحنها.

وجد ألك في كابينه مختلفة متكئًا على صندوق شخصي، يسبُّ ويلعن وهو يحاول فتحه.

أعلن مارك بفخر وهو يرفع الجهاز اللوحي ليراه الرجل:

- انظر إلى ما حصلت عليه. ماذا عنك؟

استقام ألك، وأضاءت عيناه للاكتشاف.

- لم أجد شيئًا لعينًا، وأنا على وشك الكفِّ عن المحاولة. لنذهب وننظر إلى هذا.

قال مارك:

- إنني قلق بشأن نفاد البطارية.

- حسنًا، ذلك سبب أدعى لفحصه الآن، ألا تظن ذلك؟

- لنقم بذلك في الخارج إذًا. لقد سئمت من هذا الكوم من الخردة.

اجتمع مارك وألك ناظرين إلى الجهاز اللوحي معًا، جالسين تحت ظل شجرة فيما كانت الشمس تشق طريقها عبر السماء. أقسم مارك أن الوقت قد تباطأ عندما كان ذلك الشيء في الأعلى، يضرب عليهما بأشعته خارقة القوة. كان عليه أن يستمر في مسح العرق من يديه بينما كان يسيطر على وظائف الشاشة في الجهاز اللوحي.

بدا كأبي شيء عدا أن يكون جهازًا لوحيًا. ألعاب وكتب وبرامج إخبارية قديمة فيما قبل الوهج الشمسي. وهناك دفتر يوميات يمكن أن يوفر طناً من المعلومات المثيرة للاهتمام إذا كان قد حُدث مؤخرًا. لكن لم يكن هناك الكثير من الأشياء المتعلقة بالعمل على الجهاز.

حتى عثرا أخيرًا على برنامج الخرائط. من الواضح أنه لم يكن يعمل عبر أنظمة تحديد المواقع القديمة بالأقمار الصناعية، فقد دُمّر الأخيرون جميعًا في مذبحه الوهج الشمسي. ولكن بدا الأمر وكأنه مربوط بجهاز تتبع على متن البرج، ربما كان يعمل بتقنية الرادار العتيقة أو غيرها من تقنيات الموجات القصيرة. وكان هناك سجل لكل رحلة قامت بها السفينة المدمرة.

قال ألك، مشيرًا إلى نقطة على الخريطة:

- انظر.

كل خط يتتبع رحلات برج عادت إليه في نهاية المطاف.

- من الواضح أن هذا هو مقرهم أو قاعدتهم أو أيًا ما كان اسمه. وطبقًا للإحداثيات وما أعرفه عن هذه التلال التي نسكنها، فلا يمكن أن تبعد أكثر من خمسين أو ستين ميلًا.

اقترح مارك:

- ربما هي قاعدة عسكرية قديمة.

فكر ألك في الأمر وقال:

- ربما يكون مخبأ. وجود شيء كهذا في الجبال منطقي. ونحن ذاهبان إلى هناك عاجلاً وليس آجلاً يا فتى.

- الآن؟

علم مارك أن دماغه كان لا يزال مرتبكًا من جراء الإصابة في أثناء تحطم البرج، لكن من المؤكد أن العجوز لم يكن يريد المشي طوال هذا الطريق قبل العودة إلى المستوطنة.

- كلا، ليس الآن. نحن بحاجة إلى العودة إلى المنزل وإصلاح آثار ما حدث هناك. ومعرفة إن كان دارنيل والآخرون بخير. شعر مارك بنغز في قلبه عند ذكر دارنيل.

- هل تعرف ما رأيناه في ذلك البرج؟ صناديق السهام؟ لا يمكن لهؤلاء الأشخاص أن يتكبدوا كل تلك المتاعب لنصب كمين لإصابتنا بالإنفلونزا. أنت محق. أكره ذلك، لكنك محق يا فتى. لا أتوقع الكثير من الأخبار الجيدة عند عودتنا. ولكن علينا أن نعود إلى هناك على أي حال. لذا هيا بنا.

وقف ألك وحذا مارك حذوه، ودسّ الجهاز اللوحي في جيب سرواله الخلفي. كان يفضل العودة إلى القرية على البحث عن ملجأ بلا شك. انطلقا، وكان مارك لا يزال يشعر بالدوخة وألم الرأس. ولكن كلما تقدما، وكلما تسارع نبضه، كان يشعر بالتحسّن. أشجار وشمس وشجيرات وجذور وسناجب وحشرات وأفاع. كان الهواء الدافئ النقي -برائحته التي تشبه الحساء والخبز المحروق- يملأ رئتيه.

لقد أخذتهما البرج لمسافة أبعد مما ظنا عن مسكنهما، وانتهى بهما الأمر إلى التخيم في الغابة لليلتين، يستريحان بما يكفي ليشعرا بتجدد طاقتهما. واصطاد ألك بسكينه طريدة صغيرة كانت هي طعامهما الوحيد. وأخيرًا اقتربا من المستوطنة في وقت متأخر من بعد ظهر اليوم الثالث من هجوم البرج. كان مارك والجندي العجوز على بعد ميل من القرية حينما هبّت عليهما رائحة الموت، كموجة جديدة من حرّ لا يطاق.

الفصل العاشر

كانت الشمس على بعد ساعات قليلة من الغروب عندما وصلا إلى قاعدة التل حيث الأكواخ النائبة.

كان مارك قد مزق قطعة قماش واسعة من أسفل قميصه ليلفها حول أنفه وفمه. ضغط بيده عليها وهما يصعدان آخر تل قبل وصولهما إلى القرية. كانت الرائحة شنيعة لدرجة أنه أحسَّ بها على لسانه -رائحة رطوبة عفنة نتنة- وحتى معدته، كما لو أنه ابتلع شيئاً يتحلَّل. خطأ خطوة تلو الأخرى ليقاوم رغبته الشديدة في التقيؤ، لا يطيق صبراً أن يرى ما هي الفضائح التي وقعت في أعقاب الهجوم. دارنل.

لم يكن لدى مارك أي توقعات، فقد تقبَّل بقلب مثقل احتمالية موت صديقه. ولكن ماذا عن ترينا ولانا ومستي والعجوم؟ أهم أحياء؟ أو مرضى بفيروس مجنون؟ توقف عندما مدَّ لك يده ولمس صدره.

قال الرجل المسن بصوت مكتوم من وراء عصابته القماشية:

- حسناً، استمع لي. نحتاج إلى تقويم بعض الأمور قبل أن نصعد إلى هناك. لا يمكننا السماح لعواطفنا بالتحكم في كل شيء. وأياً كان ما سنراه، فإن أولويتنا القصوى لا بد أن تكون إنقاذ أكبر عدد ممكن من الناس.

أوماً مارك برأسه ثم تحرّك ليستأنف المشي، لكن ألك أوقفه. تحدث ألك بصرامة شديدة، بنظرة ذكّرت مارك بمدرس منزعج:

- مارك، أحتاج إلى أن أعرف أننا نفهم بعضنا جيداً هنا. إن بدأنا فور وصولنا في معانقة الناس والبكاء ومحاولة عمل أشياء لا معنى لها مع أناس لا أمل في مساعدتهم نظرًا إلى اضطرابنا، فسوف يؤدي ذلك عددًا أكبر من الناس على المدى الطويل. أتفهم؟ علينا أن نفكر على المدى البعيد. سيبدو ذلك أنانيًا، لكن علينا أن نحمي أنفسنا أولاً. هل فهمتني؟ كي ننفذ أكبر عدد من الناس علينا إدراك أننا لا نستطيع مساعدة أي أحد ونحن أموات.

نظر مارك إليه في عينيه ورأى فيهما العزم والتصميم. علم أن ألك كان محقًا. باعتبار الجهاز اللوحي والخريطة وكل ما يعرفانه عن الناس في البرج، كان واضحًا أن هناك خطأً أكبر مما يعرفانها.

قال ألك وهو يفرقع أصابعه ليلفت انتباه الفتى:

- مارك؟ تحدث إليّ يا صديقي.

سأله مارك:

- ماذا تعني؟ إذا بدا على الناس المرض، إن كانت تلك السهام تصيبهم بالمرض حقًا، أأبتعد عنهم؟

تراجع ألك خطوة إلى الوراء، وارتسم على وجهه تعبير لم يفهمه:

- عندما تقولها بهذا الشكل، فلا يبدو الأمر إنسانيًا لهذا الحد. لكنك مُحق، لا يمكننا المخاطرة بأن نمرض يا مارك. نحن لا نعرف ما سنجده هناك ولا ما سنتعامل معه. ما أقوله أننا بحاجة إلى أن نكون مستعدين فقط لا غير، وإذا انتابنا أي شك بخصوص شخص ما...

قال مارك ببرود أملًا في أن يجرح شعور ألك:

- نتركهم لتأكلهم الحيوانات.

هز الجندي السابق رأسه وقال:

- نحن لا نعرف ما يجب علينا توقعه يا فتى. لنذهب إلى هناك ولنر ما سنراه. اعثر على أصدقائنا، لكن لا تكن غيبًا، هذا كل ما أقوله. لا تقترب

من أحد، ولا تلمس أحدًا. أبقى القماش ملفوفًا حول رأسك الصغير الجميل. هل تفهم؟

فهمه مارك. وكان من المنطقي الحفاظ على مسافة بينهما وبين الناس الذين أصيبوا بالسهام على أقل تقدير.

«فائق العدوى»... مرت الكلمات في رأسه مرة أخرى وهو يعلم أن ألك كان على حق.

- فهمتك، أعدك بأنني لن أكون غيبًا. سأسير على خطاك.

بدا التعاطف على وجه ألك، وهو ما لم يره مارك كثيرًا. لمعت عيناه بطيبة حقيقية وهو يقول:

- أعلم أننا قد عانينا الأمرين يا فتى. لكن ذلك يجعلنا أقوى، أليس كذلك؟ وسنفعل ما بوسعنا لنواجه تحديًا آخر.

نظر إلى الطريق نحو القرية وأكمل:

- لنأمل أن أصدقاءنا بخير.

كرر مارك:

- لنأمل.

وشدد القناع القماشي حول وجهه. أوماً ألك إليه بصرامة، ليعود جندياً مرة أخرى. وبدأ يصعد إلى أعلى التلة. استجمع مارك شتات نفسه، وأقسم أن يضع عواطفه جانبًا في الوقت الحالي، ثم تبعه. وصلا إلى قمة التل، ليتكشّف لهما مصدر الرائحة المرعبة بوضوح.

كل هذه الجثث... كان هناك بناء خشبي كبير بسيط في ضواحي القرية، بُني لتوفير غطاء من العواصف الممطرة، وعندما شيدوا مباني أكثر صلابة، أصبح غرضه التخزين المؤقت للأشياء، كان به ثلاثة جدران وواجهة مفتوحة. وبُطن سقفه المصنوع من القش بطبقات من الطين لإبقاء الداخل جافًا قدر الإمكان. كان الجميع يسمون هذا المبنى «المائل»، لأنه على الرغم من صلابته، بدا وكأنه يميل مع انحدار الجبل.

اتخذ شخص ما قرارًا بوضع الموتى داخل المائل.

شعر مارك بالفزع، ولم يفترض أن يشعر بذلك، فقد رأى العديد من القتلى خلال العام الماضي أكثر مما يمكن أن يشهده مائة حانوتي طيلة حياته، لكن الأمر ظلّ صادمًا. كان هناك على الأقل عشرون جثة، مرصوصين جنبًا إلى جنب، يملؤون الأرض بأكملها. الدم يغطي وجوه معظمهم، حول الأنف والفم والعينين والأذنين. وبالحكم من لون بشرتهم ورائحتهم، فقد مات جميعهم منذ يوم أو يومين. كشف بنظرة سريعة أن دارنيل لم يكن ضمن تلك المجموعة، لكن مارك لم يجرؤ على السماح لنفسه بالأمل. ضغط القماش بإحكام على أنفه وفمه وأجبر نفسه على النظر بعيدًا عن المذبحة. يستحيل عليه أن يتناول الطعام في أي وقت قريب.

لا يبدو أن ألك قد تأثر بنفس القدر. كان لا يزال يحدق إلى الجثث بنظرة أقرب للإحباط منها للاشمئزاز. ربما أراد الدخول وفحص الجثث ومحاولة معرفة ما حدث، لكنه عرف كم سيكون ذلك غيبًا.

قال مارك:

- لندخل المدينة ونعثر على أصدقائنا.

أجابه ألك:

- حسنًا.

كان المكان مدينة أشباح، لا شيء فيها سوى الغبار والخشب الجاف والهواء الساخن.

ولم يكن ممكنًا رؤية شخص واحد في المسارات أو في الأزقة، لكن مارك كان يلمح بصيصًا من الأعين تختلس النظر من خلال النوافذ والشقوق في الهياكل العشوائية للمباني. لم يكن يعرف كل شخص في معسكرهم، لكنه كان متأكدًا من أن شخصًا ما قد تعرف عليه الآن.

صرخ ألك مفزعًا إياه:

- يا قوم! أنا ألك، ليخرج أحدكم ليخبرنا بما حدث هنا منذ غادرننا.

أجابه صوت مكتوم من مكان ما في الأفق:

- كان الجميع بالداخل منذ الصباح التالي لمجيء تلك البرج. معظم من ساعدوا المصابين مرضوا وماتوا أيضًا. استغرقهم المرض وقتًا أطول قليلًا.

أجاب ألك صائحًا ليسمعه الجميع:

- تلك كانت السهام. قد يكون فيروسًا. لقد سعدنا على متن تلك البرج، ووقعت على مسافة يومين من هنا. لقد وجدنا علبة من السهام التي أطلقوها علينا، ويُحتمل أن تكون قد نقلت العدوى إلى المصابين بشكل ما.

كان الناس يغمغمون الآن، والهمسات تعلو من ملاجئهم، لكن لم يجب أحد ألك.

التفت إلى مارك وقال:

- لنفرض أنهم كانوا أذكى بما يكفي ليكنوا في منازلهم. إن كان ذلك أحد أنواع الفيروسات، فلربما هذا ما منعه من الانتشار كالنار في الهشيم. من يدري؟ إذا كان الجميع بالداخل ولم يكن هناك مرضى آخرون، فهناك احتمالية أن هذا الفيروس قد مات في المائل.

نظر مارك إليه بتشكُّك:

- آمل أنك على حق.

قاطعت ألك خطوات قبل أن يستطيع الرد، والتفت كلاهما إلى مركز القرية في الوقت المناسب ليريا ترينا تنعطف نحوهما. كانت قدرة مشوبة بالعرق ينضح وجهها بالهلع، لكن عينيها لمعتا عند رؤية مارك، وعلم أن عينيها قد أضاءتا أيضًا. بدت معافاة، مما بعث الراحة في نفسه. كانت تركض نحوه بلا أي نية للتباطؤ حتى أوقفها ألك.

سار بينها وبين مارك رافعًا كلتا يديه، مما جعل ترينا تنزلق على الأرض لتتوقف.

قال ألك:

- حسنًا يا أطفال، لنترَو قبل أن نعانق بعضنا بعضًا. الحذر مطلوب دائمًا.

توقع مارك من ترينا أن تجادل قليلاً، لكنها أومأت برأسها آخذة أنفاساً عميقة:

- حسنًا، كنت فقط... أنا سعيدة جدًا لرؤيتكما هنا، لكن أسرعاً، أريد أن أريكما شيئاً، هيا!

لوحث بذراعيها نحوهما ثم استدارت وركضت عائدة إلى حيث كانت. تبعها مارك وألك دون تردد، وانطلقا عبر الحارة الرئيسية للمدينة. سمع مارك الشهقات والهمسات، ورأى الأصابع تشير إلى المكان المغلق الذي مروا بجانبه. وبعد عدة دقائق، توقفت ترينا أخيراً أمام كوخ صغير سدّ مدخله بثلاثة ألواح خشبية مدقوقة على الباب من الخارج.

أحدهم كان مسجوناً.

وكان ذلك الشخص يصرخ.

الفصل الحادي عشر

بالكاد بدت الصرخات آدمية. قفزت ترينا للخلف خطوتين عندما وصلت إلى الكوخ المسدود بالألواح، ثم استدارت لمواجهة مارك وألك. انسابت الدموع من عينيها، وبينما هي واقفة هناك تلتقط أنفاسها بعمق، فكّر مارك في أنه لم ير شخصاً حزيناً إلى هذا الحد، حتى بعد كل هراء نهاية العالم الذي عاشه. قالت بصوت أعلى من صرخات السجين:

- أعلم أنه أمر فظيع.

كان باستطاعة مارك أن يعرف أن هذا رجل أو فتى، ولكن لم تكن لديه أدنى فكرة عما إذا كان شخصاً يعرفه. كانت الأصوات مخيفة.

- لكنه أجبرنا على ذلك، قال إنه سيقطع شرايين معصميه إذا لم نفعل ذلك. ولقد ازداد الأمر سوءاً منذ ذلك الحين. لا نعلم لماذا لم يمت مثل الآخرين، ولكن لانا حرصت منذ البداية على توخي الحذر. كانت قلقلة من احتمالية العدوى، وفرضت عليه الحجر الصحي فور أن بدأ المزيد من الناس يمرضون. حدث كل ذلك سريعاً.

كان مارك مذهولاً. فتح فمه ليسأل سؤالاً، ثم أغلقه؛ كان يعرف الإجابة. قالها ألك بالنيابة عنه:

- هذا دارنيل بالداخل، أليس كذلك؟

أومأت ترينا برأسها، فانهمرت موجة جديدة من الدموع على وجهها. لم يكن مارك يريد شيئاً آخر غير معانقتها واحتضانها لبقية النهار والليل. ولكن كل ما كان لديه الآن هو الكلام.

- لا بأس يا ترينا، لا بأس. كلاكما فعلتما الصواب، فكما قالت لانا، كان دارنل يعلم أنهم ربما قد أصابوه بعدوى ما. علينا جميعًا أن نكون حذرين إلى أن نعرف أن هذا الشيء قد توقف عن الانتشار.

واندلعت صرخات جديدة من الكوخ، متسربة عبر الشقوق. بدا كأن دارنل يمزق حنجرته، ولم يرد مارك سوى تغطية أذنيه.

- رأسي!

استدار مارك بحدة محددًا إلى الكوخ. كانت تلك هي المرة الأولى التي يستخدم فيها دارنل الكلمات. لم يتمالك مارك نفسه، فأسرع إلى نافذة مغطاة بالألواح وسطها فجوة عرضها نحو بوصتين.

صاح ألك:

مكتبة
t.me/soramnqraa

- مارك! عد إلى هنا!

أجابه مارك:

- لا تقلق، لن ألمس أي شيء.

- لن أكون سعيدًا بأي حال من الأحوال إن أصبتَ بمرض مريع.

حاول مارك أن يطمئنَه بنظراته وقال:

- أريد فقط أن أرى صديقي.

وضغط القماش بإحكام على أنفه ورفع حاجبيه بشكل درامي نحو ألك.

زمجر الرجل وأشاح بنظره. ولكن ترينا كانت تحديق إليه، وبدا جليًا أنها ممزقة بين إيقاف مارك والانضمام إليه.

قال لها قبل وصولها لقرار:

- ابقِي عندك.

كان صوته مكتومًا من وراء القناع، لكنها سمعته بوضوح كاف. أو مأت برأسها قليلًا، ثم أنزلت نظراتها ناحية الأرض.

واجه مارك الفجوة بين اللوحين في النافذة. توقف الصراخ في الداخل، لكنه كان بوسعه سماع دارنل وهو يتأوه بصوت خافت الآن، ويئن بنفس الكلمتين كل بضع ثوانٍ.

«رأسي! رأسي! رأسي!»

خطا مارك خطوة ثانية إلى الأمام، ثم أخرى. كان الشق على بعد بضع بوصات من وجهه الآن، فقبض على شريط القماش خلف عنقه، متأكدًا أن فمه وأنفه مغطيان بالكامل، ثم انحنى للأمام ونظر إلى الداخل.

كانت حزم أشعة الشمس المتلاشية تتساقط على الأرض الترابية، لكن الظلام كان الغالب بالداخل. رأى قدمي دارنيل داخل بقعة ضوء، مضمومين بإحكام إلى جسده، لكن وجهه كان مخفيًا. لقد دفن رأسه بين ذراعيه كما يبدو. استمر دارنيل في النشيج والتمتمة، يرتعش من رأسه إلى أخمص قدميه كما لو كان عالقًا في عاصفة ثلجية بالخارج.

سأل مارك:

- دارنيل؟ مرحبًا، أنا مارك. أعلم أنك تمرُّ بفترة عصيبة. أنا... أنا آسف حقًا... مهلًا، لقد تعاملنا مع من فعل هذا بك. لقد حطّمنا البرج الخاصة بهم.

لم يستجب صديقه، فقط استلقى هناك، نصفه في الظل، يرتجف ويئن ويتمتم بهذه الكلمة.

«رأسي! رأسي!»

هوت نفس مارك إلى الظلمات، وشعر بخواء دواخله. لقد شهد الكثير من الرعب والموت، لكن النظر إلى صديقه يعاني وحده بهذا الشكل كاد أن يقضي عليه، وبخاصة لأن كل ذلك عبث لا داعي له، لماذا يفعل شخص ما هذا بالآخرين بعد كل الفضائح التي مرَّ بها العالم؟ ألم تكن الأمور سيئة بما فيه الكفاية؟

وقع عليه غضب مفاجئ. لكَم مارك خشب الكوخ الخشن، ملطخًا مفاصل أصابعه بالدماء، وتمنى أن يدفع شخص ما ثمن كل هذا في يوم من الأيام.

ناداه مارك مرة أخرى، كان عليه أن يقول شيئًا، أن يحسّن الأوضاع:

- دارنيل؟ ربما... ربما أنت أقوى من الآخرين، ولهذا السبب لم تمت. اصمد وتماسك يا رجل! وانتظر حتى تُشفى. سوف...

شعر بأن كل ذلك كلام فارغ، وكأنه يكذب على صاحبه.

- على أي حال، أنا والرقيب وترينا ولانا وأيًا من كان، سنصلح الأمور بطريقة ما. ما عليك سوى...

تصلب جسم دارنيل فجأة، ورجلاه ترفسان في الهواء، وذراعاها متصلبتان على جانبيه. أطلق صرخة أخرى أسوأ من ذي قبل من حنجرته الممزقة، بدت

كهدير حيوان غاضب. قفز مارك من جديد في دهشة، ولكنه سرعان ما مال إلى الداخل مرة أخرى، وعينه قريبة قدر الإمكان من الفتحة دون لمسها. كان دارنيل قد تدرج إلى منتصف الأرضية، ووجهه واضح للجميع الآن تحت خيط من أشعة الشمس وهو يرتعش ويرتجف.

غطى الدم جبهته وخديه وذقنه ورقبته وصبغ شعره. كانت الدماء تسيل من عينيه وأذنيه وتقطر من شفثيه. وأخيرًا سيطر الفتى على ذراعيه وضغطهما على جانبي رأسه، متلويًا على هذا الوضع وكأنه يحاول أن ينتزع ذلك الشيء من عنقه. واستمرت صرخاته بالكلمة الوحيدة التي بدأ أنه يعرفها.

«رأسي! رأسي! رأسي!»

همس مارك:

- دارنيل.

عالمًا أنه لا فائدة من الحديث مع صديقه الآن. وعلى الرغم من كم شعوره بالذنب والأسى، عرف مارك أيضًا أنه لا يمكنه الدخول للمساعدة. سيكون ذلك ضربًا من الغباء.

صرخ دارنيل في عواء طويل شرس جعل مارك يتراجع مرة أخرى:

- يا إلهي!

لم يكن يعلم إن كان بإمكانه تحمل النظر بعد الآن.

تصاعد صوت الحركة وتخبط الأقدام بالداخل، ثم علا صوت على الباب، ثم آخر وآخر.

ثم سمعوا صوت اصطدام هائل.

أغلق مارك عينيه؛ كان يعلم ماهية ذلك الصوت الرهيب. وفجأة ظهرت ترينا، تشده بين ذراعيها وتحتضنه بشدة فيما كانت تهتز بالبكاء. احتج ألك بشكل غير مقنع. لقد فات الأوان الآن.

تصاعدت بعض أصوات الاصطدامات الإضافية، ثم صرخة أخيرة طويلة ثاقبة انتهت بصوت اصطدام رطب وغرغرة. بعد ذلك، سمع مارك دارنيل وهو يسقط على الأرض وهو يلفظ آخر أنفاسه.

كان خجلًا من نفسه، ولكن كل ما شعر به مارك في تلك اللحظة الهادئة هو الارتياح لأن المحنة انتهت أخيرًا، وأن ترينا لم تكن مكانه.

الفصل الثاني عشر

لم يظن مارك في ألك اللطف بأي شكل من الأشكال. ولكن عندما سار الجندي ليفصل مارك عن ترينا، فقد فعل ذلك بنظرة دافئة على وجهه. ثم تكلم:

- أعلم أننا عانينا كثيرًا معًا.

ثم أرخى ألك عينيه نحو الكوخ الذي كان فيه داريل وتابع:

- ربما كان ما سمعناه هو أسوأ أجزاء رحلتنا.

وتوقف الرجل للحظة قبل أن يكمل:

- لا يمكننا الاستسلام الآن. كنا نسعى للحياة منذ أول يوم.

أوماً مارك برأسه ونظر إلى ترينا.

مسحت دمعة من عينيها ونظرت ببرود إلى ألك وقالت:

- لقد سئمت من البقاء على قيد الحياة. على الأقل داريل قد استراح من هذا العالم.

لم تكن تبدو غاضبة بهذا الشكل في كل السنوات التي عرفها فيها مارك.

قال:

- توقفي عن هذا الحديث، أعلم أنك لا تقصدين ذلك حقًا.

انتقلت أنظارها إليه، ليلين حديثها، وتابعت:

- ألا نهاية لذلك؟ ننجو لشهور من لفح الشمس على هذا الكوكب، ونجد مكانًا نبني فيه المأوى ونحصل فيه على الطعام. قبل بضعة أيام كنا

نضحك! ثم يأتي الرجال داخل البرج ليصيبونا بالسهام ويموت الناس؟
أهذه مزحة؟ هل يضحك علينا أحد ما في الأعالي، ويعبث بنا وكأن كل
ذلك لعبة؟

تحشرج صوتها وعادت للبكاء مغطية وجهها بيديها وهي تجلس على
الأرض وساقاها متقاطعتان تحتها، واهترت كتفاها بنحيب صامت.

نظر مارك إلى ألك، الذي ضيق عينيه ناحيته كما لو كان يقول، إنها
صديقتك، قل شيئاً.

قال مارك بهدوء:

- ترينا؟

ثم سار ليركع خلفها، ثم مد يده وضغط على كتفيها، وأكمل:

- أفهمك، لم نكن نظن أن الأمور ستسوء أكثر. أنا آسف.

كان أذكى من أن يجعل الأمور تبدو أقل رعباً مما كانت عليه حقاً، كانت
تلك حيلة لا معنى لها، وقد وعدا بعضهما بالتوقف عنها منذ زمن طويل.

- ولكنني أعدك بأننا سنبقى معاً وسط كل هذا، وسنفعل كل ما في وسعنا
حتى لا تصيبنا العدوى التي قتلت دارنل والآخرين. ولكن إن كنا سنفعل
ذلك...

ثم مسح على ظهرها ونظر إلى ألك لبعض المساعدة.

قال الرجل:

- فعلينا أن نكون يقظين. يجب أن نكون حذرين وأذكياء وعديمي الرحمة
إذا تطلبت الأمور ذلك.

عرف مارك أن لمس ترينا حماقة، لكنه لم يهتم. إن ماتت ترينا، فإنه لا
يعرف حقاً إذا كان بإمكانه مواصلة الحياة.

أنزلت ترينا يديها عن وجهها ونظرت إلى ألك قائلة:

- مارك، قف وابتعد عني.

- ترينا!

- ابتعد، الآن. اذهب وقف جانب ألك حتى أتمكن من رؤية كليكما.

نَفَذَ مارك طلبها، وعاد للوقوف بجانب الرجل، على بُعد عشرة أقدام تقريبًا، والتفت ليرى أي أثر لترينا الباكية العاجزة غير الراضة في الاستمرار، ليجد أن كل أثر لها قد اختفى، ليُستبدل به الفتاة قوية العزم التي اعتاد مارك رؤيتها. قامت واقفة وطوت ذراعيها.

- لقد توخيت الحذر بشدة منذ أن صعدتما على متن تلك البرج. البذلات التي كان يرتديها هؤلاء الأوغاد والسهام وسرعة انهيار ومرض المصابين بتلك السهام... حتى قبل أن نخبرنا لانا بأي شيء، كان واضحًا أن شيئًا ما كان يحدث. دارنيل الشخص الوحيد الذي تفاعلت معه، لكنه بقي على مسافة. كان هو من اختار التحصن في ذلك المكان، وهو من أجبرني على إغلاقه بهذا الشكل.

توقفت لتلتقط أنفاسها ونظرت إليهما وأكملت:

- ما أقصده أنني لا أعتقد أنني مريضة، وبخاصة أن المرض قد انتشر بسرعة في جميع المصابين.

همَّ ألك بالحديث:

- يمكنني رؤية ذلك، ولكن...

ولكن ترينا قاطعته.

قالت بنظرة حادة:

- لم أنتهِ من حديثي بعد. أعلم أننا بحاجة إلى توخي الحذر. قد أكون مريضة، وأعلم أننا قد تلامسنا، لكن دعونا نحاول ألا نفعل ذلك ثانية حتى نتأكد تمامًا. ويتعين على ثلاثتنا أن نصنع أقنعة جديدة وأن نغسل أيدينا ووجوهنا كالمجانين.

أعجب مارك توليها لزام الأمور.

- أتفق مع كل ذلك.

وأمن ألك على حديثها:

- بالتأكيد. والآن، أين الآخرون؟ لانا ومستي والعُجوم؟

أشارت ترينا في اتجاهات مختلفة:

- كل منهم يتحصن في مكان ما، محافظين على مسافاتهم، على سبيل الأمان إلى أن تكفَّ الأعراض عن الظهور على أي منهم. ربما لبضعة أيام أخرى.

بدا التحصُّن ليوم أو اثنين أسوأ فكرة يمكن لمارك تخيلها.

- سأجن إن فعلت ذلك. لقد وجدنا جهازًا لويحيًا عليه خريطة توضح المكان الذي أتت منه البرج. دعنا نجمع الإمدادات ونتحرك من هنا، لربما يمكننا تعلم شيء ما.

أدلى ألك بدلوه:

- أوافق. يجب أن نستفيد من هذا المكان أقصى استفادة.

سأل مارك:

- انتظر، وماذا عن دارنيل؟

عرف ما سيقولونه، لكن مجرد السؤال كان يشعره ببعض التحسن:

- أينبغي أن ندفنه؟

قالت أعين ترينا وألك كل ما يمكن قوله. لا يمكنهم المخاطرة بالاقتراب من جسده.

قال ألك لترينا:

- خذينا إلى لانا والآخرين، ثم نرحل.

وبينما كان مارك يبحث في البلدة عن أصدقائه، كان قلقًا بشأن الناس الذين سيحاولون الانضمام إليهم. ولكن الخوف كان عميقًا، ولم يجرؤ أحد على الخروج من بيته. كانت القرية هادئة بشكل مخيف، لكنه شعر بالأعين تلاحقه عبر الأزقة والممرات. لم يستغرب كلما فكر في الأمر، فلقد عاقب العالم الجميع بما فيه الكفاية، فلماذا يجازفون بالمزيد من المعاناة؟

أخذوا مستي من الطابق الثاني لكوخ خشبي على مشارف البلدة على الجانب الآخر من القرية من لينر وجثتها. ولم تكن ترينا متأكدة من مكان لانا. وجدوها بعد نحو ساعة من البحث، نائمة خلف بعض الشجيرات جانب النهر. انزعجت من أنهم وجدوها نائمة، لكنها أرهقت نفسها، فقد تولت المسؤولية بمجرد أن صعد مارك وألك على متن البرج واختفيا في الغابة،

حيث عزلت الناس وكوّمت الجثث في مكان واحد - قالت إنهم قد أكدوا على ارتداء القفازات والأقنعة- وقامت بالمساعدة في توصيل الطعام من منزل لآخر. لم يكن أحد في المستوطنة يعرف بالضبط ما حدث، لكن لانا أصرت منذ البداية على ضرورة توخي الحيطة والحذر في حال احتكاكهم بالعدوى.

وأخبرتهم فيما كانوا يستعدون لمغادرة الجدول والعودة إلى القرية:

- لست مريضة. حدث كل شيء بسرعة شديدة، ومن مرضوا قد ماتوا بعدها. إن كنت قد أصبت، كانت الأعراض ستظهر عليّ الآن.

سألها مارك:

- بأي سرعة؟ ما مدى سرعة انتشاره؟

- الكل كانوا أمواتاً في غضون اثنتي عشرة ساعة ما عدا دارنيل. استيقظوا لتظهر عليهم الأعراض خلال ساعتين أو ثلاث. أعتقد حقاً أن من لا يزال على قيد الحياة بلا أعراض في الوقت الحالي، فهو سليم.

نظر مارك إلى مجموعتهم، العلجوم الذي يتمللم بعصبية، ومستي التي تنتظر إلى الأرض، وألك ولانا اللذان يحدقان بإمعان إلى بعضهما فيما بدا أنه محادثة صامتة، وترينا التي تنتظر إلى مارك. قالت عيناها كل شيء، كانا سيتعايشان مع الأحداث تماماً كما تعايشا مع كل ما سبق.

عادوا إلى الكوخ بعد ساعة، يملؤون حقائب الظهر بأكبر كمية ممكنة من الطعام والمؤن، محافظين على مسافات بينهم في أثناء العمل. بدا الحذر كجزء من طباعهم الآن. غسل مارك يديه ثلاث مرات على الأقل خلال هرج التعبة.

كانوا قد انتهوا لتوهم، كل منهم يحمل حقيبة محشوة على ظهره، لتتن لمستي. التفت مارك ليتفق معها - كانت الحقائب ثقيلة- ولكن معدته تقلصت عندما رأى وجهها.

كانت شاحبة تتكئ على طاولة بكلتا يديها. صُفق مارك، حيث إنها كانت على ما يرام في آخر مرة نظر إليها فيها، لكن ساقها استسلمت لتنهار على ركة واحدة، ويدها تكادان تلمسان جانبي وجهها وكأنها خائفة مما ستلمسه.

همست:

- رأسي يؤلمني.

الفصل الثالث عشر

صرخت لانا:

- اخرجوا جميعًا من هنا! اخرجوا! الآن!
كان مارك صامتًا. كل شيء فيه أراد أن يفعل عكس ما قيل له، أراد أن يساعد صديقه.

- اخرجوا. ثم يمكننا أن نتكلم!
أصرت لانا على ذلك، ثم أشارت إلى الباب.
قالت مستي بضعف:

- اذهب، افعل ما تقول.

تبادل مارك وترينا النظرات، لكنه تردد لحظة واحدة فقط قبل أن يخرج من الباب. وكان ألك في أعقابه، ثم لانا.

التفت مارك ليغادر، ثم لاحظ أن العُلجوم لم يتحرك.

- هيا... هيا يا رجل. لنذهب إلى هناك ونتحدث عن هذا. أخبريه يا مستي.
قالت:

- إنه محق يا عُلجومي.

وضعت حقيبتها على الأرض وجلست بجانبه. لم يصدق مارك سرعة تحولها من وافر الصحة إلى قمة المرض، كانت أضعف من أن تقف.

- اذهبوا واسمحوا لي أن أفهم ما يحدث، ربما أكلت شيئًا غريبًا.

لكن مارك أمكنه ملاحظة أنها لم تصدق ذلك.

قال العُلجوم، صارخًا في مارك:

- لا يمكننا الاستمرار في التخلي عن الناس.

ردت مستي:

- من يهتم بما تفعلونه إن قُتِلتم؟! ما شعوركم إذا انعكس الوضع؟

ستريدونني أن أغادر. انطلقوا، الآن!

بدا أن ذلك يستنزف مقدارًا كبيرًا من طاقتها، فقد خمدت وكادت تقع على الأرض.

قال مارك:

- هيا، لن نتخلى عنها. نحن نذهبون إلى الخارج للحديث.

خرج العُلجوم من الكوخ، مثقل الأنفاس طوال الطريق.

- كل هذا غير عادل، غير عادل!

نظر مارك إلى مستي، لكنها كانت تحدق إلى الأرض، تأخذ أنفاسًا طويلة وعميقة.

- آسف.

كان كل ما يمكنه قوله، ثم انضم إلى الآخرين.

قرروا أن يمهلوها ساعة واحدة ليروا ما سيحدث، إن كانت ستتحسن أم ستسوء حالتها. أو تظل على نفس حالتها.

كانت ساعة غير محتملة. لم يتمكن مارك من الجلوس ساكنًا. تحرك خارج الكوخ قلقًا لشتى الأسباب. فكرة أن فيروسًا ما ربما يشق طريقه في جسده... كانت لا تطاق، وترينا أيضًا، كان يريد أن يعرف، الآن، كان الأمر أكثر من طاقة احتماله، لدرجة أنه وجد نفسه ينسى أن مستي قد لا تكون على ما يرام وأنها ستموت قريبًا.

قالت لانا قرب نهاية الوقت:

- أعتقد إننا بحاجة إلى تعديل توقعاتنا. لم تتحسن مستي أو تسوء حالتها، ما زالت مستلقية على الأرض في الكوخ، تتنفس بانتظام. لا تتحرك على الإطلاق. لا تتكلم.

سأل مارك ممتناً لقطع الصمت:

- ماذا تقصدين؟

- يثبت ما حدث لدارنل ومستي أن أيًا ما أصابهما لا يؤثر في الحال بالضرورة.

تحدث إليك بصوت عالٍ:

- أعتقد أنه ينبغي لنا أن نستغل الوقت المتاح لدينا. علينا أن نتحرك إلى ذلك المكان على الخريطة. ويتعين علينا أن نفعل ذلك في أقرب وقت ممكن (ثم خفض صوته وأضاف) أنا آسف، ولكن علينا أن نخرج من هنا، وأي مكان أفضل لنا الذهاب إليه من المكان الذي نتعلم فيه ما يحدث؟ أيًا ما كان داخل تلك السهام التي تسببت في هذا... يجب أن نذهب إلى المكان الذي أتت منه السهام. ربما هناك شيء ما، دواء ما يمكنه علاج هذا المرض. من يدري؟

بدا ما قاله باردًا وقاسيًا بعض الشيء، لكن لم يتمكن مارك من الاختلاف معه. شعر أنه يجب عليه الابتعاد عن هنا.

قالت ترينا:

- لا يمكننا ترك مستي.

ولكن حتى تصريحها لم يقنعها هي شخصيًا.

رد ألك:

- ليس لدينا خيار.

قامت لانا من مجلسها أمام الحائط نافضة سروالها، ثم غمغمت:

- ليس علينا تحمل هذا الذنب. لنسأل مستي، فهي تستحق ذلك منا، وسنفعل ما تقررته.

رفع مارك حاجبيه ونظر حوله إلى الآخرين، الذين كانوا يفعلون الشيء نفسه.

وافقت لانا على ذلك وسارت إلى باب الكوخ المفتوح. وقرعت الإطار دون أن تدخل وتحدثت بصوت عالٍ:

- يا عُجوم؟ كيف تسير الأمور لديك؟

كان مارك جاثماً على الأرض حيث يمكنه أن يرى ما بداخل الكوخ. كانت مستي على ظهرها، ولكنها استدارت ببطء لتمعن فيها.

قالت بضعف:

- عليكم أن تذهبوا يا رفاق، ثمة خطب خطير داخل رأسي، وكأنَّ هناك حشرات داخله تأكل عقلي.

ثم أخذت عدة أنفاس عميقة، وكأنَّ ما قالتها قد استنزفت قواها.

سألته لانا:

- ولكن يا عزيزتي، كيف يمكننا أن نترك هنا؟

- لا تجعليني أتكلم أكثر من ذلك. فقط اذهبي.

أخذت نفساً عميقاً آخر. كان بإمكان مارك رؤية الألم في عينيها.

التفتت لانا نحو الآخرين.

- تقول مستي إن علينا أن نذهب.

مارك كان يعرف أنهم قد أصبحوا أصعب، كان ذلك ضرورياً لينجوا مما حدث منذ أن ضرب الوهج الشمسي الأرض. لكن تلك كانت أول مرة يضطرون

فيها إلى ترك شخص لا يزال على قيد الحياة. سواء كان القرار لمستي أم لا، فكَرَّ بأن الذنب سيرتفع في دواخله على أي حال.

شدَّ من عزمه عندما نظر إلى ترينا، ومع ذلك، ترك لألك المهمة القذرة.

كان الجندي السابق قد وقف على قدميه ورمى حقيبة ظهره على كتفيه.

- أفضل طريقة لتكريم مستي الآن هي أن نتحرك ونتعلم شيئاً يمكنه مساعدتنا.

أوماً مارك وتبعه ممسكاً بأريطة حقيبة ظهره. ترددت ترينا، ثم صعدت إلى المدخل، وواجهت مستي.

بدأت بالحديث:

- مستي...

ولكن لم تخرج منها المزيد من الكلمات.

صرخت الفتاة، معيدة ترينا إلى الوراء:

- ارحلوا! انهبوا قبل أن تقفز الأشياء من دماغي وتلدغكم، فينتهي كل شيء. هيا! انهبوا!

نهضت لتستقر على كوعها وصرخت بضراوة لدرجة جعلت مارك يظن أنها قد تؤذي نفسها. ربما أدركت أنها على وشك مواجهة الفظائع التي مر بها دارنيل.

قالت ترينا بحزن:

- حسنًا... حسنًا.

كان العُلجوم أقرب صديق لمستي، ولم ينطق بكلمة. وقف يحدق إلى الأرض والدموع تملأ عينيه. لكن كما استعد مارك والآخرون للرحيل، لم يحرك العُلجوم ساكنًا. ليسأله ألك أخيرًا عما كان يفعله.

قال العُلجوم:

- لن أرحل.

بمجرد أن قال ذلك، أدرك مارك أنه كان يتوقع ذلك. لا مفاجأة على الإطلاق. كما أنه يعرف أنه لن يكون هناك ما سيغير من رأيه. سيودعون اثنين من أصدقائهم الآن.

جادله ألك، وكذلك لانا. لم تهتم ترينا بالأمر، فمن الواضح أنها توصلت إلى نفس الاستنتاج مثل مارك. وكما توقع مارك، فإن العُلجوم لم يتزحزح.

- إنها أعز صديقة لي، لن أتركها.

- لكنها تريدك أن ترحل. إنها لا تريد منك البقاء هنا وربما الموت معها. إنها تريدك أن تعيش.

كُرَّر:

- لن أتركها.

وألقى نظرة باردة على لانا. لم تقل مستي شيئاً، إمّا أنها لم تسمع وإما أنها غير قادرة على الإجابة.

قالت لانا دون محاولة لإخفاء انزعاجها:

- حسناً. الحق بنا إذا غيرت رأيك.

أراد مارك المغادرة، فقد أصبح الوضع لا يطاق. ألقى نظرة أخيرة على مستي عبر المدخل قبل أن يتحرك. كانت متكورة على نفسها، تتحدث بصوت غريب بنبرة منخفضة بما لا يكفي لاكتشاف ما كانت تقوله. ولكن بينما كانوا يبتعدون، كان متيقناً من أن الفتاة كانت تغني.

قال في نفسه: لقد ذهب عقلها. لقد جُنَّت بلا شك.

الفصل الرابع عشر

قطعوا نحو ثلاثة أميال لا غير قبل أن يمنعهم الظلام من المضي قدماً. كان مارك مستعداً للتوقف بشدة، منهكاً من اليوم المجنون. عَلِمَ أَلِكُ أن ليس بوسعهم الابتعاد كثيراً، لكن البقاء في تلك القرية لم يُعَدْ خياراً. في النهاية كانوا قد خرجوا من كل ذلك، إلى الأشجار الكثيفة وهواء الغابة النقي، مما ساهم في تفريغ بعض التوتر والانفعالات التي انتابتهم في الساعات القليلة الماضية.

لم يقل أحد شيئاً وهم يقيمون معسكرًا بسيطاً ويأكلون وجبة طعام معبأة من مصانع آشِقْل. أصرت لانا على ابتعادهم بعضهم عن بعض، لذا استلقى مارك على جانبه، على بعد عدة أقدام من ترينا، حيث حملقا بعضهما ببعض، يتمنيان لو تمكنا من التحمل، على الأقل. كاد مارك أن يهجم عليها نحو مئة مرة لكنه تراجع. كان يعلم أنها لن تسمح له على أي حال. لم يقولوا الكثير، فقط نظر كل منهما إلى الآخر.

وكان مارك متأكدًا من أنها تفكر في نفس الأشياء التي يفكر فيها. كيف انهار عالمها مرة أخرى. كيف فقدوا ثلاثة أصدقاءٍ ممَّن نجوا من رحلة الرعب التي قاموا بها، من الدمار الذي كان في مدينة نيويورك إلى جبال الأبلاتش. وكانت بالطبع تتساءل عن الفيروس. ليس هناك العديد من الأفكار السعيدة. تجاهل أَلِكُ الجميع، ودرس الجهاز اللوحي الذي استخرجوه من البرج. كان قد رسم نسخة تقريبية من الخريطة التي وجدوها بقلم رصاص على

بعض الأوراق، لكنه أراد معرفة ما إذا كان يستطيع اكتشاف أي شيء آخر مفيد. أخذَ يخرج البوصلة ويدون الملاحظات، ولانا إلى جانبه تساعد.

أدرك مارك أن أجفانه تثقل. ابتسمت ترينا إليه، فابتسم من جديد. لا يهم إن كان مثيرًا للشفقة، على الأقل كانت تبسم. نام وتدفقت ذكرياته سريعًا، غير سامحة له بالنسيان أبدًا.

أحدهم يتبعهما.

لم تمر سوى بضع ساعات منذ حدوث ذلك في المدينة فوقهم. ليس لدى مارك أدنى فكرة عمَّا حدث، لكنه افترض أنها كانت قنبلة من صنع إرهابيين أو انفجارًا من تسرب الغاز. شيء ما كان يحترق.

الحرارة لا تطاق، وكذلك الصراخ. فرَّ مارك وترينا عبر الأنفاق تحت المترو، ليجدا أفرعًا مهجورة يدخلان في أعماقها. لكن الناس في كل مكان، معظمهم فقدوا عقولهم من فرط الرعب. العديد من الأمور السيئة تحدث في كل مكان من سرقة وتحرُّش وما هو أسوأ، وكأنَّ الأشخاص الوحيدين الذين نجوا من الكارثة فوقهم هم من عتيدي الإجرام.

وجدت ترينا صندوق وجبات فورية، تركها شخص ما وسط الفوضى، يحمله مارك الآن. تولَّت غريزة البقاء القيادة لدى كليهما. ولكن من الواضح أن الآخرين يفعلون نفس الشيء، كل شخص راكض ينظران إليه يبدو أنه يعرف أن مارك وترينا لديهما شيء يريدونه، وربما ليس الطعام فقط.

مهما كثرت انعطافات المتاهة القذرة بممراتها الملتهبة، لكنهما لم يستطيعا الهرب من الرجل الذي يتبعهما. رجل كبير وسريع أصبح كظلهما. ولكن كلما نظر مارك إليه، يبدو أنه يختفي في ركن ما.

ركضا في رواق طويل مليء بالماء حتى كاحلهما، ناثرين الماء في كل خطوة يخطوانها. يوفر هاتف مارك الخلوي الضوء الوحيد، ويرتعب من لحظة نفاد الطاقة منه. فكرة الوجود في هذا المكان، وحيدًا ودون معرفة إلى أين يذهبان، وسط كل هذا الظلام، هي فكرة تخيفه. تتوقف ترينا فجأة وتمسك بذراع مارك، تسحبه عبر فتحة إلى اليمين لم يرها. إنهما في غرفة صغيرة، تبدو كخزانة قديمة عندما كان هذا الجزء من الأنفاق لا يزال مستخدمًا في أيام مترو الأنفاق القديمة.

تقول بهمسة قاسية وهي تجذبه إلى أعماق الغرفة وتقف خلفه:

- أوقفه!

يغلق مارك هاتفه، يغرقان في الظلام الذي كان يقلق بشأنه. فغريزته الأولى هي أن يخاف ويصرخ ويهيم بلا هدى. لكنها لم تكن سوى لحظة مختصرة من الجنون وستمُر. يهدئ تنفسه وهو ممتن لشعوره بلمسة يد ترينا على ظهره.

تهمس في أذنه من الخلف:

- لا توجد طريقة تمكّنه من رؤيتنا هنا. ولا يمكنه أن يمضي بلا صوت وسط تلك المياه. دعنا ننتظره.

يوميء برأسه، ثم يتذكر أنها لا تستطيع رؤيته، ليقول بهدوء:

- حسنًا، ولكن إذا وجد طريقه إلى هنا بشكل ما، فلن نهرب. سنجتمع عليه ونضربه.

- حسنًا. سنقاتل.

تضغط ترينا على ذراعيه وتميل نحوه. على الرغم من سخافة الشعور بشيء كهذا في لحظة كتلك، وفي ظروف كهذه، قلبه يرفرف من أعلى إلى أسفل، وجلده بالكامل يقشعُر. لو علمت هذه الفتاة كم يحبها. وجزء منه يشعر بالذنب، ففي داخله هو ممتن لأي مأساة وقعت، لأنها أجبرتاهما على التقارب بعضهما من بعض.

يسمع صوت خطوتين في الماء، ثم خطوات قليلة أخرى، من الواضح أنها خطوات في مياه النفق الصغير خارج الغرفة التي يقبعان فيها. ثم يتعالى صوت الخطوات الثابتة فيما يقترب مطاردهما، أو من يفترض أنه مطاردهما، فيضغط مارك على ترينا والجدار خلفها، متمنيًا أن يختفيا بطريقة ما داخل الحائط.

ينير الضوء على يمين مارك، ليصبح من فرط المفاجأة. توقفت خطوات الأقدام الوشيكة. يضيّق مارك عينيه -فقد تكيفت عيناه واعتادت الظلام- ليحاول رؤية مصدر الضوء. يتحرك الضوء في أنحاء الغرفة، ثم يستقر على عين مارك، ويعميه، لينظر إلى الأسفل. يجب أن يكون شخصًا يحمل مصباحًا.

تسأل ترينا:

- من أنت؟

إنها تهمس، لكن صوتها يبدو كالنفير من فرط توتر مارك.

يتحرك المصباح اليدوي مرة أخرى، ويزحف شخص ما من حفرة في الحائط وينهض واقفًا. بالكاد يستطيع مارك أن يتبين أي تفاصيل، ولكن يبدو أنه رجل. رجل قذر، أشعث ذو ملابس متهالكة. ظهر رجل ثانٍ خلفه، ثم آخر. وجميعهم يبدوون متشابهين، قذرين ويائسين وخطرين. ثلاثة منهم.

يقول الغريب الأول:

- أعتقد أننا من سيطرح الأسئلة. كنا هنا أمامكما، ولا نحب الزوار كثيرًا.

لماذا يركض الناس هنا مثل القطط على أي حال؟ ماذا حدث؟ أنتما لا

تبدوان من النوع الذي يلجأ للأمثالنا.

يرتعب مارك من أعماقه. لم يحدث له أي شيء من هذا القبيل ولو عن

بعد. يجاهد ليتفوه بالكلام، شاعرًا بأنه يحتاج إلى الإجابة، لكن تسبقه ترينا.

- انظروا وفكروا، لن نكون هنا إلا إذا حدث شيء فظيع هناك، في المدينة.

يجد مارك صوته:

- ألم تلاحظون درجة حرارة الجو؟ نعتقد أنها قنبلة، انفجار غاز، شيء

من هذا القبيل.

يهز الرجل كتفيه قائلاً:

- هل تعتقد أننا نهتم؟ كل ما يهمني هو وجبتي التالية، و... ربما ذلك

الشيء اللطيف الذي وقع في برائتنا اليوم. مفاجأة صغيرة لي

وللفتيان.

يرمق الرجل الآن ترينا من الأعلى للأسفل.

يقول مارك:

- لن تلمسها.

تملؤه النظرة في عين الرجل بالشجاعة التي لم يستطع إيجادها قبل

دقائق قليلة.

- لدينا بعض الطعام... يمكنكم أن تأخذوه إن تركتمونا وشأننا.

تنفجر ترينا:

- لن نعطيه طعامنا!

فيلتفت مارك إلى مواجتها ويهمس:

- أفضل من أن يذبحونا.

يسمعان صوت نقر، ثم نقرة أخرى. وعندما نظر إلى الرجال ثانية، رأى النور منعكسًا على أنصال مطاويهم الفضية.

يقول أحد الرجال:

- يجب أن تتعلموا شيئًا بشأننا. نحن لا نجري الكثير من المفاوضات في هذه المنطقة. سنأخذ الطعام وأي شيء آخر نريده.

يبدؤون بالتقدم إلى الأمام، ليظهر شخص فجأة من اليسار، قادمًا عبر المدخل من الخارج. يلتقط مارك بالكاد أنفاسه وهو يشاهد عاصفة سريعة من الفوضى تحدث أمام عينيه. أجساد تدور في الهواء وأذرع وسكاكين تُرمى جانبًا ولكمات وأنين، كأنَّ أحد الأبطال الخارقين قد دخل إلى الغرفة، مستخدمًا سرعته وقوته ليُلجِّق بالمتطفلين الثلاثة هزيمة منكرة. في أقل من دقيقة، أصبح جميعهم ممددين على الأرض، ملتفين حول أنفسهم، يئنون ويلعنون. سقط المصباح على الأرض، ليسطع نوره على حذاء رجل شديد الضخامة.

الشخص الذي كان يتبعهم، يقول بصوت عميق مبتهج:

- يمكنكم أن تشكروني لاحقًا. اسمي ألك، وأعتقد أن لدينا مشكلة أكبر بكثير من هؤلاء الخاسرين.

الفصل الخامس عشر

استيقظ مارك وهو يعاني ألمًا عميقًا في جانبه. أدرك من شعوره بأنه كان نائمًا على صخرة لساعات. نظر إلى ضوء السماء المتسرب عبر الأغصان بالأعلى، وتذكر الحلم من ماضيه كما لو كان فيلمًا شاهده.

لقد أنقذهم ألك في ذلك اليوم، وفي أيام أخرى لا تُحصى منذ ذلك الحين. لكن مارك علم أنه قد رد جميله في أكثر من مناسبة. كانت حياتهما مرتبطة كصخور وأرضية الجبل الذي ينامان عليه.

أما الآخرون فقد استيقظوا في غضون نصف ساعة. صنع ألك فطورًا سريعًا ببعض البيض الذي طهاه في الكوخ. عليهم الصيد قريبًا. وسرَّ مارك بأنه ليس عليه أن يكون خبيرًا بذلك، على الرغم من أنه أدى دوره. وفيما هما يجلسان ويأكلان، ما زالا هادئين نسبيًا، يبذلان قصارى جهدهما لتجنب لمس أحدهما الآخر أو لمس الأشياء التي لمسها الآخر. وعبس مارك، فقد أعياه أن هناك من أفسد عليهم كل شيء، فقط حينما كانت الأمور تكاد تبدو طبيعية.

سأل ألك بعد انتهائهم من الأكل:

- أنحن مستعدون للمسير؟

أجاب مارك:

- نعم.

وأومات ترينا ولانا برأسيهما.

قال ألك:

- هذا الجهاز اللوحي هبة من السماء. مع تلك الخريطة والبوصلة، أنا متأكد بشدة أننا سنصل إلى هناك، بسرعة ودقة. ومن يدري ما سنجد! ثم اتجهوا نحو الخارج، عبر الأشجار نصف المحروقة والأدغال حديثة النبوت.

مشوا طوال اليوم، هابطين من جبل وصاعدين لآخر. واصل مارك التساؤل عما إذا كانوا قد مروا بمخيم آخر أو قرية أخرى، حيث كانت هناك شائعات عن وجود مستوطنات في جميع أنحاء منطقة الأبلاش. وكان المكان الوحيد الملائم فيما بعد الوهج الشمسي وارتفاع منسوب مياه البحر والدمار الهائل الذي لحق بكل البلدان والمدن والنباتات. أمل مارك في عودة كل شيء إلى طبيعته يوماً ما، ربما حتى في أثناء حياته.

توقفوا لفترة ما بعد الظهر عند جدول صغير، عندما فرقت ترينا أصابعها لتلفت انتباهه، وعندما نظر إليها، أومأت برأسها نحو الغابة، ثم نهضت وأعلنت أنها يجب أن تستخدم الحمام. وبعد أن غادرت، انتظر مارك لدقيقتين طويلتين، ثم قال إنه يحتاج إلى فعل الأمر نفسه.

التقيا على بعد مائة ياردة من شجرة البلوط الكبيرة. بدت رائحة الهواء منعشة أكثر من أي وقت مضى، رطبة ومليئة بالحياة.

سألها:

- كيف حالك؟

وقفا على بعد خمسة أقدام، متبعين الأوامر على الرغم من أنه لم يكن هناك أحد ليشاهدهما.

أجابت:

- لقد سئمت من كل هذا. انظر إلينا، لقد تعانقنا بالكاد منذ أن هاجمت البرج القرية. كلانا يبدو بخير ويشعر بذلك، لذلك يبدو من السخف أن نبقى منفصلين.

ملأته كلماتها راحة. على الرغم من معرفته بأن الظروف لا يمكن أن تكون أسوأ من ذلك، فقد كان سعيداً لسماع أنها لا تزال ترغب في قربه.

ابتسم مارك وقال:

- لذا... لندع هراء الحجر الصحي جانبًا.

بدا الكلام سخيًّا جدًّا عندما قاله. مشت إليه، ووضعت ذراعيها بينهما وقبَّلتَه، وقالت:

- حتى لو أبقيناها سرًّا من لانا كي نتفادي ثورتها. كما قلت، أعتقد أن هذه اللعبة غير ذات فائدة على أي حال. ليس لدينا أي أعراض، لذا نأمل أننا قد نجونا.

لم يكن باستطاعة مارك أن يتحدث حتى إن أراد. انحنى وقبَّلتها، وهذه المرة كانت القبلة أطول كثيرًا.

كانا متشابكي الأيدي حتى اقتربا من المعسكر، ثم انفصلا. بناء على المشاعر التي جاش بها مارك في هذه اللحظة، لم يعرف إلى متى سيستطيع التظاهر، لكنه في الوقت الحالي لا يريد التعامل مع غضب لانا أو ألك. أعلن ألك حين عودتهما:

- أعتقد أنه يمكننا أن نصل بعد غد. ربما ليس قبل غروب الشمس، ولكن يمكننا الوصول إلى هناك. سنستريح ثم نحاول معرفة ما سنفعله في الصباح التالي.

قال مارك بحماس وهو يعيد تعبئة أغراضه:

- يبدو ذلك جيدًا.

كان لا يزال يطفو من السعادة بعض الشيء، كان مرتاحًا من كل هذا الهراء، على الأقل مؤقتًا.

قال ألك:

- لنقطع الثرثرة بالحراك.

لم يكن الكلام منطقيًّا بالنسبة إلى مارك، لكنه هز رأسه ونظر إلى ترينا. كانت على وجهها ابتسامة، وتمنى أن ينام الاثنان الآخران في وقت مبكر الليلة.

كان عليهما أن يقاوما الرغبة في الإمساك بأيدي بعضهما ثانية وهما ينطلقان وراء الدب الأشيب العجوز ولانا.

في تلك الليلة، كان المخيم مظلمًا وهادئًا، باستثناء صوت شخير ألك والتنهيدات الناعمة لأنفاس ترينا على صدر مارك. لقد انتظرا حتى خرج ألك ولانا، ثم انضم جسداهما وتعانقا.

نظر مارك إلى أغصان الأشجار، فوجد فتحة تكشف عن نجوم لامعة في الأعلى. علّمته والدته مواقع النجوم منذ صغره، ونقل هو المعلومات القيمة إلى أخته الصغرى ماديسون. كان الجزء المفضل لديه هو قصص تكوين المجموعات النجمية، وأحبّ مشاركتها، وبخاصة أنه من النادر جدًا أن ترى السماء المرصعة بالنجوم عندما تعيش في مدينة ضخمة مثل نيويورك. كل رحلة إلى البلاد كانت حدثًا مميّزًا. يقضون ساعات في الإشارة إلى الأساطير المختلفة التي تتلأأ فوقهم.

رصد أورايون، كان الحزام النجمي أكثر سطوعًا مما رآه من قبل. أورايون كانت تلك هي المجموعة النجمية المفضلة لماديسون، لأنه كان من السهل جدًا العثور عليها، وكان وراءها قصة رائعة... الصياد وسيفه وكلابه جميعهم يحاربون الثور الشيطاني. كان مارك يزخرف الحكاية أكثر في كل مرة يحكيها. ألمته الفكرة كثيرًا ونَدّت عيناه بالدموع. لقد افتقد ماديسون بشدة. ورغبَ الجزء المظلم من عقله في نسيانها من فرط الألم.

سمع صوت كسر الأغصان في الغابة. تبخرت أفكاره عن أخته الصغيرة وهو يندفع منتصبًا، دافعًا ترينا عن صدره قبل أن يفكر فيما يفعله. تمتمت بشيء ثم انقلبت على جانبها وعادت إلى نومها العميق، بينما دوى صوت انكسار أغصان جديد من داخل الغابة.

وضع يده على كتفها وهو يركع، ثم فحص المنطقة المحيطة بها. كان رؤية أي شيء في وسط الأشجار مستحيلًا، حتى مع ضوء القمر والنجوم. ولكن سمعه ازداد حدة بشكل ملحوظ منذ أن أصبحت الطاقة والأنوار الصناعية شيئًا من ماضيه. هدأ وركز وأنصت، وعلم أنه قد يكون غزالًا أو سنجابًا أو أي شيء آخر. لكنه لم ينجُ من عام ما بعد الوهج الشمسي بوضع الافتراضات.

كان هناك المزيد من أصوات تهشُّمُ عُصينات وتكسُّر الأغصان. كائن ثقيل يمشي على قدمين حتمًا.

كان على وشك أن يصرخ باسم ألك عندما ظهر ظل أمامه يخرج من وراء شجرة. ثم سمع صوت عود ثقاب يُضاء ليتوهَّج بالحياة، ويكشف عن الرجل الممسك به: العُلجوم.

قال مارك بارتياح وكأن غيمة انزاحت من فوق صدره:

- ماذا؟! عُلجوم! اللعنة يا رجل، كدت تخيفني حتى الموت.

سقطت أصابعه على ركبتيه وقرَّب عود الثقاب المضيء إلى وجهه. بدا كئيبيًا، كانت عيناه رطبتين مضطربتين.

سأل مارك، أملًا ألا يكون صديقه متعبًا:

- هل أنت بخير؟

فأجاب:

- لست كذلك.

وارتجف وجهه كأنه على وشك البكاء.

- لست كذلك يا مارك. لست بخير على الإطلاق. هناك أشياء تعيش داخل جمجمتي.

الفصل السادس عشر

هز مارك ترينا موقظًا إياها، وهرع واقفًا، ساحبًا إياها معه. كان العُلجوم مريضًا بلا شك، وكان واقفًا على بُعد بضعة أقدام من معسكرهم. لم يعرفوا أي شيء عن هذا المرض، لكن ذلك جعله أكثر رعبًا. بدت ترينا مشوشة، لكن مارك لم يهدأ وهو يكاد يجرُّها إلى الجانب الآخر من فحم نيرانهم الميت الذي أشعلوه في بداية هذه الليلة.

صرخ:

- ألك! لانا! استيقظا!

وكأن الاثنين لا يزالان جنودًا، فقد وقفا على أقدامهما في ثلاث ثوانٍ. ولكن لم يلاحظ أي منهما الزائر بعد.

لم يضيع مارك الوقت في الشرح قائلًا:

- عُلجوم. أنا سعيد أنك أتيت، إنك بأمان. ولكن ... هل تشعر بالغيثان؟

سأل العُلجوم، وهو لا يزال على ركبتيه. كان وجهه مجرد ظل:

- لماذا؟ لماذا تركتني هكذا بعد كل ما عانيناه؟

كان قلب مارك ينهار. لم يكن للسؤال جواب جيد.

- حاولت أن أجعلك تأتي معنا.

تصرف العُلجوم كما لو أنه لم يسمع، وقال:

- لدي أشياء داخل جمجمتي. أحتاج إلى مساعدة لإخراجهم من هناك.

قبل أن يأكلوا دماغي ويبدووا في التوجه إلى قلبي.

كان يترنح، وصوته يبدو وكأنه يصدر من كلب مجروح أكثر من كونه يصدر من إنسان.

تساءلت لانا:

- ما هي الأعراض التي تشعر بها؟ وماذا حدث لمستي؟

راقب مارك بينما رفع العُلجوم يديه وضغطهما على جانبي رأسه. حتى خياله كان مخيفاً في هذه الوضعية.

كررها ببطء، عمداً، بصوت مليء بالغضب:

- هناك.. هناك.. هناك.. في رأسي. من بين كل الناس على هذا الكوكب المهجور، اعتقدت أن أصدقائي منذ أكثر من عام سيكونون مستعدين لمساعدتي على إخراجهم.

ثم نهض وبدأ يصرخ:

- أخرجوا هذه الأشياء من رأسي!

قال ألك والتهديد واضح في صوته:

- اهدأ يا عُلجوم.

لا يريد مارك أن يتفاقم الوضع إلى ما سيندمون عليه جميعاً.

- عُلجوم، استمع لي. سنساعدك قدر استطاعتنا، لكننا نريدك أن تجلس وتتوقف عن الصراخ، فالصراخ لن يساعد.

لم يستجب العُلجوم، لكن شكله بدا جامداً. رأى مارك أن قبضتيه كانتا متشنجتين.

- عُلجوم؟ نحتاجك أن تجلس، ثم أخبرنا بكل ما حدث منذ أن غادرنا القرية.

لم يتحرك الرجل. ألحَّ عليه مارك:

- هيا. نحن نريد المساعدة. اجلس واسترخِ فحسب.

بعد بضع ثوانٍ أطاع العُلجوم، انهار متكومًا على الأرض، واستلقى مكانه وكأنه قد أُطلق عليه النار. زفرَ بضع أنات بينما كان يبذل من وضعه، متأرجحًا جيئةً وذهابًا وهو مستلقٍ على جانبه.

أخذ مارك نفسًا عميقًا، شاعرًا بأن الوضع قد عاد تحت السيطرة نوعًا. أدرك أنه وترينا واقفان بجانب بعضهما بعضًا، لكن لا يبدو أن ألك ولانا قد لاحظا ذلك حتى الآن. خطا مارك خطوات قليلة إلى الأمام، إلى جانب حفرة النار، وجلس.

سمع ألك يغمغم خلفه، بصوت لم يكن عاليًا بما يكفي ليرسمه العُلجوم لحسن الحظ:

- ذلك الطفل المسكين.

في بعض الأحيان يقول الرجل العجوز ما يفكر فيه بالضبط. ولحسن الحظ، انتصرت غرائز لانا في التمريض وأخذت زمام الحديث. قالت:

- حسنًا يا عُلجوم، يبدو أنك تشعر بألم شديد. أنا آسفة جدًا لذلك. لكن إذا أردنا أن نساعدك، علينا أن نعرف بعض الأشياء. هل تشعر أنك على ما يرام بما يكفي للحديث؟

استمر العُلجوم في الأنين والتأرجح، لكنه أجاب:

- سأبذل قصارى جهدي يا رفاق. لا أعلم كم من الوقت ستسمح لي الأشياء في رأسي بفعل ذلك. من الأفضل أن تسرعوا. أجابت لانا:

- جيد، جيد. لنبدأ من بعد ما تركناك في القرية. ماذا فعلت؟

قال العُلجوم بصوت متعب:

- جلست عند الباب وتحدثت إلى مستي. ماذا سأفعل غير ذلك؟ إنها أعز صديقاتي، أعز صديقة لي على الإطلاق. لا أهتم بأي شيء آخر. فكيف لأحد أن يتخلى عن أعز صديق له؟

- حسنًا. أفهم ذلك. أنا سعيد لأنه كان لديها شخص بصحبتها.

- كانت بحاجة إليّ. كان بإمكانني أن أعرف متى ساءت حالتها، فدخلت وأمسكتها. حملتها على صدري وعانقتها وقبّلت جبهتها، مثل الطفل، وكأنها طفلي. لم أشعر قط بمثل هذه السعادة البالغة إلا عندما أمسكها، وأنا أراقبها تموت ببطء بين ذراعي.

احتسى مارك في مقعده، مصدومًا من كلام العُلجوم، وأعرب عن أمله في أن تكون لانا قادرة على معرفة ما يجري.

سألت لانا:

- كيف ماتت؟ هل كانت تشعر بألم شديد مثل دارنل؟

- نعم. نعم يا لانا. كانت تشعر بالألم مبرحة. أخذت تصرخ حتى تركت الأشياء رأسها وزحفت في جسدي. ثم أنهينا معاناتها.

بدت الغابة صامتة كالموت بعد التعليق الأخير، وتجمدت أنفاس مارك داخل رئتيه. شعر بألك يتحرك خلفه، لكن لانا أخرسته.

كرّرت:

- أنهينا؟ بصيغة الجمع؟ ماذا تقصد يا عُلجوم؟ وما الذي تحدث عنه عندما تقول إن الأشياء قد زحفت داخل رأسك؟

اعتصر صديقهم رأسه قائلاً:

- كيف يمكنك أن تكوني غيبية إلى هذا الحد؟ كم مرة عليّ أن أخبرك؟ أنهينا معاناتها! أنا والأشياء داخل رأسي! لا أعرف ما هي! هل تسمعيني؟ أنا... لا أعرف... ما هم! أيتها الغبية! أيتها الطفلة الغبية!

أفلت من فمه عواء غير إنساني عظيم الصخب، يعلو حدته وارتفاعه. قفز مارك واقفًا وخطا خطوتين إلى الخلف. وبدا وكأن الأشجار اهتزت بصوت العُلجوم الرهيب، وأن كل مخلوق على بعد ميل قد فرّ إلى بر الأمان. كان هناك فقط ذلك الصوت المروع.

صرخت لانا فيه، لكن كلماتها ذابت في صراخه:

- عُلجوم!

كان العُلجوم يمسح رأسه جيئةً وزهابًا بيديه وهو يستمر في الصراخ. نظر مارك إلى أصدقائه على الرغم من أنه لم يكن قادرًا على رؤية وجوههم. لم تكن لديه أدنى فكرة عما يجب فعله، ولم تعرف لانا أيضًا على ما يبدو. بالكاد سمع ألك يقول:

- هذا يكفي!

بينما تقدم الرجل متجاوزًا مارك، مصطدماً به في طريقه. تعثر مارك، ثم استعاد توازنه، متسائلًا عما خطط له الجندي السابق.

مشى ألك مباشرة ناحية العُلجوم، ثم أمسك به من قميصه ورفع ليقف على قدميه، وجره إلى أعماق الغابة. لم تتوقف الصرخات، فقط أصبحت أكثر تقطعًا وهو يلتقط أنفاسه محاولًا التملُّص للخلاص. وسرعان ما اختفيا بين ظلال الأشجار، لكن مارك سمع صوت جرٍّ جسد العُلجوم على الأرض. وتلاشى صوت صراخه بينما كانا يبتعدان أكثر.

سألت لانا بحدة:

- إلام يسعى هذا الرجل؟

صاح مارك من بعدها:

- ألك! ألك!

لم يكن هناك رد، فقط صرخات العُلجوم المستمرة. ثم توقفت فجأة. انقطعت وكأن ألك قد رماه في غرفة عازلة للصوت وأغلق بابها بقوة.

همست ترينا خلف مارك:

- ما...

وسرعان ما كانت هنالك خطوات تتحرك نحوهم بسرعة ثابتة. ولمرة أخرى دُعر مارك، معتقدًا أن العُلجوم قد استطاع الهرب وأذى ألك، وحين جنونه تمامًا، وعاد متعطشًا للدماء ليتخلص من الآخرين، ولكن بعد ذلك ظهر ألك من بين ظلام الأشجار الكثيب، ووجهه مختفٍ في الظل. لم يكن باستطاعة مارك إلا أن يتخيل الحزن الذي لا بد وأنه طُبع في ملامحه.

قال الرجل المسن:

- لم أستطع المخاطرة بأن يفعل شيئاً مجنوناً.

كان صوته مهتزاً إلى حد مدهش:

- لم أستطع... ليس إذا كان هذا له علاقة بالفيروس. أريد أن أغسل نفسي في الجدول.

بسط يديه أمامه، ناظرًا إليهم لوهلة، ثم توجه نحو الغدير المجاور. ظن مارك أنه سمع ألك ينشق قبل أن يعود للاختفاء بين الأشجار.

الفصل السابع عشر

بعد كل ذلك، كان من المفترض أن يعودوا للنوم. كان الفجر لا يزال بعيدًا بساعات.

لم يقل أحد كلمة بعد ما فعله ألك -أيًا كان ما فعله- بالعُلجوم. ظن مارك أنه قد ينفجر، كان شديد الارتباك بشأن ما حدث منذ نصف ساعة تقريبًا. أراد أن يتحدث، لكن ترينا ابتعدت عنه عندما واجهها، فتوارت إلى الأرض وتكوّرت داخل بطانيتهما وهي تكتم نحيبها. انكسر لذلك قلب مارك، فلقد أمضيا عدة أشهر دون دموع، والآن يحدث كل ذلك مرة أخرى.

كانت ترينا لغزًا بالنسبة إليه. منذ البداية كانت أقوى وأصلب وأكثر شجاعة مما كان عليه. أخرجته ذلك في البداية وأخجله، لكنه أحبها كثيرًا لدرجة أنه تخطى الأمر، ومع ذلك، فقد أبانت مشاعرها بوضوح ولم تحف على الإطلاق من أن تطلق لها العنان للبكاء.

مارست لانا عملها بصمت، وفي النهاية كانت ترقد قرب شجرة على أطراف مخيمهم الصغير. حاول مارك أن يسترخي، لكنه كان مستيقظًا. عاد ألك أخيرًا. لم يجد أحدهم ما يقوله، وكانت أصوات الغابة تعود ببطء لوعي مارك، أصوات الحشرات وصوت النسيم الناعم عبر الأشجار. ولكن أفكاره لا تزال تدور في رأسه بعناد.

ماذا حدث للتو؟ ماذا فعل ألك بالعُلجوم؟ هل حدث حقًا ما تخيله مارك؟ هل كان ذلك مؤلمًا؟ كيف بحق السماء يمكن أن تسوء الأمور إلى هذا الحد؟

تمتع بقليل من الراحة في نومه بلا أحلام على الأقل بعد أن سقط نائمًا في النهاية.

قالت لانا في الصباح التالي فيما كانوا يجلسون جميعًا، كالموتى الأحياء، حول نار تطقطق:

- السهام هي مصدر هذا الفيروس. أعتقد أن هناك خطأ ما في ذلك. كان تصريحًا غريبًا. نظر مارك إليها. كان يحدق إلى السنة اللهب، شاردًا في أحداث الليلة السابقة، حتى تحدثت، ليعود فجأة إلى الحاضر.

- أعتقد أن هناك مشكلة بهذا الفيروس.

عبرَ ألك عن أفكاره بصراحة:

- أعتقد أن هناك مشكلة في معظم الفيروسات.

رمقته لانا بنظرة حادة:

- أنت تعرف ما أعنيه. ألا ترون؟

سأل مارك:

- ماذا نرى؟

سألت ترينا:

- هل يبدو أنه يؤثر على الناس بأشكال مختلفة؟

أجابت لانا، مشيرة إليها بما هو أشبه بالفخر:

- بالضبط. مات الناس الذين ضربتهم تلك السهام في غضون ساعات،

ثم استغرق دارنيل والأشخاص الذين ساعدوا من أطلقت عليهم تلك

السهام يومين ليموتوا، وكانت أعراضه الرئيسية الضغط الشديد في

جماجمهم، لقد تصرفوا وكأن رؤوسهم كانت تُسحق. ثم هناك مستي،

التي لم تظهر عليها أعراض لعدة أيام.

تذكر مارك اللحظة التي تركوها فيها جيدًا، وهمهم:

- نعم. كانت تغني آخر مرة رأيناها فيها، متكورة حول نفسها على

الأرض. قالت إن رأسها يؤلمها.

أوضحت لانا:

- كان هناك شيء مختلف لديها. لم تكن مستي هناك عندما مرض دارنيل لأول مرة، ولم تمت بنفس السرعة التي مات بها الآخرون، لكنها بدأت تتصرف بغرابة سريعًا. بدت مستي بخير حتى بدأ رأسها يؤلمها. ولكن كان هناك خطب ما بكل منهما، هنا...

ثم ضربت على صدغها عدة مرات.

وأضاف ألك:

- ورأينا جميعًا العُلجوم الليلية الماضية. من يدري متى أصيب به، إذا كان قد حصل عليه طوال فترة بقاءه مع مستي، أو أنه لم يحصل عليه إلا من وجوده معها في أثناء موتها، لكنه كان مجنونًا كالمصابين بجنون البقر.

نَبَّهته ترينا:

- أظهر بعض الاحترام.

توقع مارك أن يرد ألك أو يدافع عن نفسه، لكنه بدا متخشعًا من جراء التوبيخ، قائلًا:

- أنا آسف يا ترينا. حقًا آسف. لكن لانا وأنا نحاول تقييم وضعنا بأفضل ما يمكننا، لنفهم ما يجري. ومن الواضح أن العُلجوم لم يكن في حالته الطبيعية ليلة أمس.

لم تتراجع ترينا:

- فقتلته.

قال ألك بفتور:

- هذا ليس عدلًا. إذا ماتت ميستي بسرعة بعد أن ظهرت أعراضها، فمن الإنصاف أن نقول إن العُلجوم كان سيموت أيضًا. لقد كان تهديدًا لنا جميعًا، ولكنه كان أيضًا صديقًا. ما فعلته كان رحمة به، على أمل أن يمهلنا ذلك يومًا أو يومين آخرين.

قالت لانا بلا تردد:

- إلا إن كنت قد التقطت العدوى منه.

- كنتُ حذرًا، وانتزعت ثيابي فورًا.

قال مارك:

- يبدو أنه لا فائدة.

كان يغوص أكثر فأكثر في الاكتئاب مع كل ثانية.

- ربما أصبنا جميعًا، وأن سرعة قتله لنا تعتمد على أجهزتنا المناعية.
هبط ألك على ركبتيه، وقال:

- لقد تشبثنا عن وجهة نظر لانا. هناك شيء غير منطقي في هذا الفيروس، فهو متضارب. لستُ عالمًا، لكن هل يمكن أن هذا الفيروس قد تحوّر أو ما شابه؟ هل تتغير صفاته مع انتقاله من شخص لآخر؟
أومأت لانا برأسها قائلة:

- يتحوّر أو يتكيّف أو يقوّي من نفسه... من يدري؟ ويبدو أن الأمر يستغرق وقتًا أطول لقتلك في أثناء انتشاره، مما يعني في الواقع -على عكس ما نفترض- أن الفيروس ينتشر بشكل أكثر فعالية. أنت ومارك لم تكونا هناك، لكن كان يجب أن تريا كيف مات أولى الضحايا. ليس مثل مستي على الإطلاق. كان الأمر دمويًا ووحشيًا ومخيفًا لمدة ساعة أو ساعتين، لكنه انتهى بعد ذلك، فقد تشنّجوا ونزفوا، مما ساعد على انتشاره لحاضنات بشرية أكثر.

كان مارك مسرورًا أنه لم يشهد ذلك، ولكن بالنظر إلى ما رآه في نهاية المطاف، قد يكون هؤلاء الأشخاص محظوظين لأنه حدث بسرعة، ويقدر كبير من الوضوح. تذكر مارك صوت الصبي وهو يضرب جمجمته في الباب.

همهمت ترينا:

- له علاقة برؤوسهم.

نظر الجميع إليها. ما قالته لتوّها كان بدهيًا، لكنه شديد الأهمية.

قال مارك:

- بالتأكيد كان له علاقة برؤوسهم. لقد عانوا جميعًا آلمًا هائلة، وفقدان العقل. كان دارنيل يهلوس... بجنون تام، ثم مستي والعُلجوم...

طرحت ترينا سؤالاً:

- ربما رموا الناس بسهام مختلفة. كيف نعرف أن كل شيء بدأ على نحو مماثل؟

هز مارك رأسه وقال:

- مررتُ بالصناديق التي كانت تحملها البرج. بدا أنها جميعاً تحمل رقم التعريف نفسه.

وقف ألك وقال:

- حسناً، إذا كان هذا الأمر قد تغير، وإذا كان أحد منا قد أُصيب، فلنأمل أن يمنحنا ذلك أسبوعاً أو أسبوعين قبل أن نفقد عقولنا. هيا. لنتحرك.

همست ترينا وهي تقف على قدميها:

- رائع.

خلال بضع دقائق، كانوا يواصلون المسير مرة أخرى.

وفي وقت ما من منتصف الظهيرة، لاحت مستوطنة أخرى على مرمى البصر. كانت بعيدة عن المسار الذي رسمه ألك على خريطته المؤقتة، لكن مارك لاحظ العديد من المباني الخشبية عبر الأشجار، مبانٍ ضخمة، وابتهج لاحتمال رؤية مجموعات كبيرة من الناس مرة أخرى.

سألت لانا:

- هل يجب أن نذهب إلى هناك؟

وبدا أن ألك يوازن الفوائد والسلبيات قبل أن يجيبها:

- هممم. لا أعرف. أنا تواق إلى مواصلة التحرك واتباع خريطتنا. نحن لا نعرف شيئاً عن هؤلاء الأشخاص.

- ولكن ربما ينبغي لنا أن نفعل ذلك. قد يعرفون في الواقع شيئاً عن

المخبأ، المقر، أيّاً كان ما نسميه المكان الذي أتت منه البرج.

نظر ألك إليه، واضعاً نصب عينيه بكل وضوح جميع خياراتهم.

قالت ترينا:

- أعتقد أنه ينبغي لنا أن نلقي نظرة عليها. على الأقل يمكننا تحذيرهم مما حدث لنا.

قال ألك:

- حسنًا. ساعة واحدة.

كانت الرائحة تضربهم عندما تحول اتجاه الريح، فيما كانوا يقتربون من الأبنية الأولى، أكواخ صغيرة مصنوعة من جذوع ولها سقوف من القش.

كانت نفس الرائحة التي اخترقت حواس مارك وألك عندما اقتربا من قريتهما بعد مطاردتهما للبرج ثم عودتهما. رائحة اللحم المتعفن.

صاح ألك:

- آه! يكفي ذلك، سنعود أدرابنا الآن.

حتى وهو يقول ذلك، أصبح مصدر الرائحة واضحًا. وعلى مسافة أبعد في مسارهم، كانت العديد من الجثث مكدسة بعضها فوق بعض، ثم ظهر قوام شخص. كانت فتاة صغيرة تسير نحوهم من جهة الأموات. لا بد أنها كانت في الخامسة أو السادسة من عمرها، بشعر داكن مصقول وملابس قذرة.

قال مارك:

- يا رفاق.

وعندما نظر الآخرون إليه، أوما برأسه نحو الفتاة المقتربة. توقفت على بعد عشرين قدمًا منهم. كان وجهها قذرًا وتعبير وجهها حزين، ولم تقل شيئًا، فقط نظرت إليهم بأعين جوفاء. علقت رائحة العفن في الهواء.

قالت ترينا:

- مرحبًا! هل أنت بخير يا عزيزتي؟ أين والداك؟ أين الآخرون من قريتك؟

لم تكن بحاجة إلى إنهاء جملتها... مجموعة من الجثث تتحدث عن نفسها.

أجابت الفتاة بصوت هادئ وأشارت إلى الغابة خلف مارك والآخريين:

- لقد ركضوا جميعًا إلى الغابة. لقد هربوا جميعًا.

الفصل الثامن عشر

لم يكن مارك يعرف ما الذي جعله يرتعش من كلامها، لكنه قد فعل، ولم يستطع مقاومة رغبة النظر إلى حيث كانت تحديق. لم يكن هناك أي شيء في الخلف سوى الأشجار والأدغال وأشعة الشمس التي تنتثر على الأرض.

استدار ليواجه الفتاة مرة أخرى. مشت ترينا نحوها، مما جعل ألك يحتج.

قال:

- لا يمكنك القيام بذلك.

ولكن حتى تحذيره الحاسم لم يكن له أي قوة. التخلي عن البالغين القادرين على إعالة أنفسهم، أو إنهاء معاناة مراهق قارب على سن الرشد، كما فعل ألك مع العُلجوم، كل ذلك كانت له مبرراته. لكن تلك كانت طفلة، وهذا قد غير كل شيء.

- حاولوا على الأقل ألا تلمسوها، من أجلنا جميعًا.

ارتدت الفتاة وأخذت خطوات قليلة إلى الوراء عندما اقتربت منها ترينا.

قالت ترينا وهي تتوقف:

- لا بأس (وهبطت على ركبة واحدة). نحن ودودون، أعدك. أتينا من قرية مثلكم تمامًا، حيث كان لديهم الكثير من الأطفال. هل لديك أصدقاء هنا؟

أومأت الفتاة برأسها، ثم بدا أنها تتذكر شيئًا. هزت رأسها نفيًا بحزن.

- هل رحلوا الآن؟

أومات برأسها.

نظرت ترينا إلى مارك من جديد والأسى في عينيها، ثم أعادت انتباهها إلى الفتاة.

سألت ترينا:

- ما اسمك؟ اسمي ترينا. هل يمكنك أن تخبريني باسمك؟

وبعد وقفة طويلة، قالت الفتاة:

- ديدي.

- ديدي، هاه؟ أحب هذا الاسم. إنه لطيف حقًا.

- أخي اسمه ريكي.

بدت الجملة طفولية بشدة، ولسبب ما استدعت ذكريات ماديون التي كانت حاضرة في ذهن مارك. كان قلبه يختنق. تمنى أن تكون هذه الفتاة أخته الصغيرة. حاول جاهدًا أن يمنع أفكاره من السير في الطريق الأكثر ظلامًا كما هو الحال دائمًا. تخيل ما قد حدث لها عندما اشتعلت الشمس.

سألت ترينا:

- أين ريكي؟

هزت ديدي كتفيها:

- لا أعلم. ذهب مع الآخرين، إلى الغابة.

- مع أمك وأبيك؟

هزت الفتاة رأسها نفيًا.

- لا... لا. أصابتهما الأسهم من السماء. كلاهما. ماتا بشكل بغيض.

تجمعت الدموع في عينيها حتى انسكبت لتغسل خديها المتسخين.

قالت ترينا:

- أنا آسفة لسماع ذلك يا عزيزتي.

صوتها مليء بصدق عميق. تأكد مارك أنه لم يعجب بها بقدر ما أعجب بها في ذلك الوقت.

- بعض أصدقائنا... تأذوا من نفس القوم... بشكل بغيض، كما قلت. أنا
أسفة جدًا.

كانت ديدي تبكي، لكنها كانت أيضًا تتأرجح جيئة وذهابًا على عقبيها،
الأمر الذي ذكّر مارك مرة أخرى بماديسون. أجابت برقة شديدة لا يدرك مارك
حتى متى يمكنه احتمالها:

- لا بأس، أعلم أنه لم يكن خطأك، لقد كان خطأ الرجال السيئين، الذين
يرتدون البذلات الخضراء المضحكة.

تذكر مارك النظر إلى نفس الأشخاص في ذلك اليوم - أو أصدقاء نفس
الناس - على متن البرج. من كان يعرف كم عدد راكبي البرج هناك، يحلقون
مع مسدسات الصعق المليئة بما لا يدركون كنهه. ولكن لماذا؟ لماذا؟

استمرت ترينا في استجوابها، بقدر ما استطاعت، لمزيد من المعلومات:

- لماذا غادر الآخرون؟ لماذا لم تذهبي معهم؟

أمسكت ديدي بذراعها اليمنى، وكوّرت يدها على شكل قبضة. رفعت كُمّها
المهترئ لتكشف عن جرح دائري بالقرب من كتفها، جرح سطحي لكنه بدا
مهملاً. لم تقل أي شيء، فقط أمسكت الذراع مباشرة للجميع ليتفحصوها.

أخذ مارك نفسًا سريعًا، وهو يقول:

- يبدو أنها أصيبت بسهم!

قالت ترينا وهي تلقي نظرة إلى مارك:

- أسفة أنك جرحت. ولكن... أتعرفين لماذا غادروا؟ أين ذهبوا؟ لماذا لم
تذهبي معهم؟

أخرجت الفتاة ذراعها من جديد، مشيرة إلى الجرح. تبادل مارك نظرة مع
ألك ولانا، متأكدًا أنهما فهما المغزى بقدر ما فهمه هو. لماذا كانت هذه الفتاة
بخير إذا أُطْلِقَت النار عليها؟

قالت ترينا:

- أنا أسفة حقًا لأنهم آنوك. يبدو أنك فتاة محظوظة. ألا تريدين الإجابة
عن أي أسئلة أخرى؟ إن لم تريدي فلا بأس.

كانت ديدي تنتابها مشاعر الإحباط مشيرة إلى جرحها مرة أخرى قائلة:

- لهذا السبب! لهذا تركوني هنا! إنهم سيئون، مثل الرجال الخضر.

- أنا أسفة حقًا يا عزيزتي.

لم يعد بإمكان مارك السكوت:

- سأخبركم بما حدث. ربما ظنوا أن السهم قد أصابها بالعدوى ورحلوا دونها.

لكن كلامه لم يبدُ منطقيًا؛ كيف يمكن لأي شخص فعل ذلك؟ بطفلة صغيرة؟

سألتها ترينا:

- هل هذا ما حدث؟ أتركوك لأنهم ظنوا أنك قد تكونين مريضة؟ مثل الآخرين؟

أومأت ديدي برأسها ودموعها الجديدة تنهمر على خديها.

وقفت ترينا واستدارت لمواجهة ألك.

رفع الجندي يده قائلاً:

- لست بحاجة إلى الكلام. قد أبدو وكأنني مُضغت وبُصقت من قبل أكبر حيوانات الغابة، لكنني لستُ عديم الإحساس. سنأخذ الفتاة معنا.

أومأت ترينا برأسها وابتسمت للمرة الأولى في ذلك اليوم حقًا.

أوضحت لانا:

- ربما هي مصابة بالفعل. ربما يكون الفيروس سيأخذ وقتًا أطول لتظهر أعراضه عليها.

قال ألك وهو يعدل من أربطة حقيبته:

- كل الاحتمالات سيئة.

قالت ترينا:

- سوف نكون حذرين معها. نحتاج فقط إلى إبقاء أيدينا نظيفة وبعيدة عن أنوفنا وأفواهنا. سنرتدي أقنعة قدر الإمكان، لكنني لن أترك هذا

الشيء الجميل بعيدًا عن عيني حتى لو...

لم تنه حديثها، وكان مارك سعيدًا بذلك.

قال ألك:

- إنها فم آخر علينا إطعامه، لكنني أعتقد أنها لن تأكل كثيرًا.

ابتسم ليظهر أنه يمزح.

- جزء مني يريد نهب هذا المكان بحثًا عن المؤن والطعام، ولكن أيًا كان ما أصابهم، فهو على الأرجح يقبع في كل شبر قدر من هذا المكان. لنخرج من هنا.

أومأت ترينا إلى ديدي أن تتبعهم، والمدهش أنها فعلت ذلك دون أدنى اعتراض. عاد ألك إلى الطريق الذي جاؤوا منه، على المسار الذي رسمه بعناية. وحاول مارك في أثناء سيرهم ألا يفكر في أنهم ذاهبون إلى المكان الذي أشارت إليه ديدي سابقًا.

لم يروا أي شخص -حي أو ميت- خلال الساعات القليلة التالية، وكاد مارك ينسى الأشخاص الذين تركوا ديدي خلفهم. بقيت الفتاة هادئة خلال الرحلة، لا تشتكي أبدًا من حفاظهم على وتيرة سريعة، صعودًا ونزولًا في التضاريس الصخرية ثم صعودًا ونزولًا مجددًا. وبقيت ترينا بجانبها، مرتدية قماشًا على وجهها.

تناولت ديدي عشاءها بشره، ربما كانت تلك أول وجبة لائقة تتناولها منذ فترة، ثم سارعوا إلى الصعود لمدة ساعة أو ساعتين قبل إقامة المعسكر. وأعلن ألك أنه وفقًا لحساباته، لم يكن أمامهم سوى يوم كامل للسفر.

شاهد مارك ترينا مع ديدي، حيث اعتنت كثيرًا بالفتاة الصغيرة، أعدت لها مكانًا للنوم وساعدتها على الاغتسال في المجرى، وأخذت تحكي لها قصة بينما يحل الظلام في الوادي المغطى بالأشجار.

شاهد مارك ذلك، وتمنى أن تعود الحياة جيدة وآمنة يومًا. عندما تنتهي الفطاعات ويصبح الملل المشكلة الأسوأ بالنسبة إليهم. عندما تركض وتضحك فتاة مثل ديدي كما يُفترض للأطفال أن يفعلوا.

واستقر بجوار ترينا والفتاة الصغيرة، مفكرًا في الماضي. خلد إلى النوم، فقط لتأتي الذكريات السوداء وتمحو آماله الحمقاء.

الفصل التاسع عشر

يستغرق مارك عشر دقائق فقط أو نحو ذلك ليدرك أن ألك هو من ينبغي له اتباع خطاه حتى يعودوا لمنزلهم آمنين سالمين، فهو لم يكتف بنزع سلاح ثلاثة رجال وإفقادهم الوعي في أقل من ثلاثين ثانية، بل إنه أيضًا جندي سابق لا يضيع أي وقت في تولي المسؤولية ويريهم كيفية التصرف.

يقول الرجل الأكبر سنًا فيما يمرون عبر مياه الممر خارج غرفة التخزين التي واجهوا فيها المجرمين المسلحين:

- يمكنكم أحيانًا أن تصدقوا الشائعات والثرثرة. في معظم الأحيان، تلك محاولات أحد البله لإبهار امرأة أو اثنتين. ولكن بمجرد أن تقول أغلبية الشائعات نفس الشيء، فمن الأفضل أن تنتبه وتتيقظ. غالبًا ما تتساءلان عمدًا أحاول قوله.

ينظر مارك إلى ترينا، فهو بالكاد يرى وجهها في الوهج الخافت من المصباح اليدوي الذي يمسكه ألك أمامهما. تلقي إليه بنظرة معناها: مَنْ هذا الرجل؟ إنها تحمل صندوق الطعام الذي وجدته سابقًا، إنه مثل صمام أمان لها أو شيء من هذا القبيل، لن تسمح لأي شخص آخر بلمسه. ليس بعد.

يجيب مارك أخيرًا:

- نعم، نحن نتساءل.

ويتوقف ألك ويلتف بسرعة كأفعى تستعد للهجوم. في البداية يعتقد مارك أن إجابته كانت خاطئة أو ساخرة، وقد يفقد الرجل أعصابه، ولكن بدلًا من ذلك يرفع الرجل العجوز القوي إصبعه.

- لدينا ساعة واحدة على الأكثر للخروج من أنفاق الفئران هذه. هل تسمعانني؟ ساعة واحدة.

استدار للخلف وبدأ في المسير مرة أخرى.

يسأل مارك وهما يسرعان للحاق به:

- انتظر، ماذا؟ ماذا تقصد؟ لماذا؟ أليست فكرة سيئة أن نذهب إلى الـ... لا أعرف!

- الوهج الشمسي.

يقول الكلمتين كما لو أنه لا يحتاج إلى أن يقول أي شيء آخر، وكأن الآخرين عليهم أن يعرفوا ما يخطر بباله. تكرر ترينا:

- الوهج الشمسي؟ أهذا ما تعتقد أنه حدث؟

- بالتأكيد يا عزيزتي. بالتأكيد.

تتضاعف مشاعر مارك السيئة حول هذا الموضوع. إن لم يكن حادثاً منعزلاً، إذا كان حدثاً عالمياً حقاً كالوهج الشمسي، فإن الأمل الضئيل الذي كان يحمله لأسرته قد ولى.

- كيف علمت؟

يجيب ألك دون أن تهتز منه شعرة، ملاحظاً الارتجاف في صوت مارك:

- لأن العديد من الناس في شتى الأماكن وصفوا الأمر ذاته قبل أن أبتعد عن التجمعات. ومن المفترض أن وكالات الأنباء حذرت منها قبل حدوثها مباشرة. إنه الوهج الشمسي بالتأكيد. حرٌّ مُفرط وإشعاع، ضربة مزدوجة. اعتقد العالم أنه مدرب ومستعد لشيء كهذا، وكان العالم مخطئاً في رأيي المتواضع.

يصمت الثلاثة، ويستمر ألك في الحركة، ويتابعه مارك وترينا. ينعطفون في الزوايا، ويدخلون أنفاقاً مختلفة، ويتفادون الناس عند اقترابهم منهم. وطيلة هذا الوقت، يغوص قلب مارك أكثر وأكثر إلى الظلمات. لا يعرف كيف يتعامل مع شيء كهذا، يفرض تصديق أن عائلته قد رحلت، ويقسم لنفسه أنه

لن يرتاح حتى يجدهم آمنين. وأخيرًا يتوقف ألك وسط ممر طويل يشبه إلى حد بعيد جميع الممرات الأخرى.

يقول:

- لدي بعض الأصدقاء الآخرين هنا، تركتهم يذهبون للبحث عن الطعام، وليستقصوا بعض الحقائق. لقد عملت مع لانا لسنوات طويلة. كنا مقاولين لوزارة الدفاع. إنها جنديّة سابقة مثلي، ممرضة في الجيش. والآخرون تائهون انضموا إلينا. لقد وصلنا لحمولتنا القصوى بكما، لا يمكننا اصطحاب أي شخص آخر، وإلا لن نصل أبدًا.

يسأل مارك:

- نصل إلى أين؟

يجيب ألك:

- إلى العالم بالأعلى.

آخر ما توقع مارك سماعه.

- رجوعًا إلى المدينة، مهما كان ذلك شاقًا. ما دما قد بقينا في الداخل لفترة، فسنكون بخير. ولكن علينا أن نصعد إلى هناك قبل أن تغمر المياه هذا المكان وتقتلنا جميعًا.

استيقظ مارك وانقلب على جنبه، وعيناه مفتوحتان تمامًا، تنفسه ثقيل. لم يحلم حتى بالجزء السيئ. لم يرد تذكر أي منه. لم يكن يريد أن يعيش أحداث ذلك اليوم ثانية.

فكّر: أرجوك، أرجوك! لا، ليس الليلة، لا أستطيع.

لم يكن يعرف حتى مع من كان يتحدث. هل كان يتحدث إلى دماغه؟ ربما أصابته العدوى من العُلجوم وبدأ في الهذيان.

رقد على ظهره وحقق إلى الأغصان والنجوم أعلاه. لم تكن هناك أدنى لمحة من زحف الفجر إلى السماء. كان الظلام الدامس لا غير. أراد أن يأتي الصباح، أراد أن يُعتَق من الأحلام لبضع ساعات على الأقل. ربما يستطيع إبقاء نفسه مستيقظًا بطريقة ما. جلس، نظر حوله. لكنه لم يتمكن من رؤية الكثير، فقط حدود الأشجار وأجساد أصدقائه الممددين حوله على الأرض.

فكر في إيقاظ ترينا، إنها تفهم أنه يحتاج إلى صحبة، لن يكون عليه حتى أن يخبرها عن حلمه، لكنها بدت هادئة في تلك اللحظة، تتنفس ببطء. تخلى عن الفكرة وهو يتأوه بخفوت، عالمًا أنه يشعر بالذنب لحرمانها من ساعات نوم ثمينة. لم يكن لديهم فقط مسيرة طويلة في اليوم التالي، بل أيضًا كان عليها عبء إضافي هو رعاية الطفلة الصغيرة ديدي.

عاد مارك للرقود وأخذ يتقلب حتى وصل لوضعية مريحة. لم يرد أن يحلم. المياه الهائجة وصرخات الغارقين. الخوف المحموم الذي لا يطاق المرافق للهروب من كل ذلك. حتى وهو مستيقظ كان يرى تلك الغرفة أسفل مدينة نيويورك حيث التقوا لأول مرة بلانا والآخرين. وجه ألك المتغضن وهو يشرح لهم أنه بعد النجاة من وهج شمسي كهذا، فإن الخطر الأكبر والأقرب الآن هو موجة التسونامي. ولا بد أن الوهج الشمسي كان مدمرًا، ليسبب أضرارًا فادحة حول العالم وليطلق نيران الجحيم ذاتها، مما يعني الذوبان السريع للقمم الجليدية القطبية، وهذا يعني ارتفاع مستويات سطح البحر بمعدل ينذر بالخطر ويبعث على الرعب. مما يعني أن جزيرة مانهاتن ستكون على عمق عشرة أقدام تحت الماء في غضون بضع ساعات. شرح لهم كل هذا بينما اجتمعوا في غرفة بعيدة تحت الأرض، حيث يغمر الماء ويُغرق كل شيء في طريقه.

في الوقت الحاضر، عذبت هذه الأفكار مارك لساعة أخرى على الأقل، وكان يعرف أنه إذا حلم فستزداد سوءًا. كان خائفًا من الخوف ذاته. غفا على الرغم من مقاومته، وحلَّ عليه النوم كأموج متلاطمة باردة.

الفصل العشرون

مبنى لنكولن، أحد أطول وأحدث وأروع المباني في نيويورك. إحدى الشركات القليلة التي لديها إمكانية وصول مباشرة إلى شبكة مترو الأنفاق. هذا هو المكان الذي يصرُّ ألك على أنهم بحاجة إلى الذهاب إليه. يقول إن لديه خريطة كاملة محفوظة على هاتفه، لكنه قلق من قدرتهم على الوصول في الوقت المناسب. كان مارك قادرًا على الرؤية، حتى في الضوء الخافت قبل خروجهم، لدى ألك شكوك عظيمة، ممَّا يتناقض مع ما يبدو على شخصيته الصلبة. ظن مارك أن الرجل يمكن أن يُحبَس مع عشرات الأسود الجائعة بلا تعبير على وجهه سوى ابتسامة ماكرة وهو يقرر أيًّا منهم سيقتل أولًا.

قال مارك لنفسه: مبنى لنكولن. اذهب إلى هناك، وبعدها ستجد عائلتك.

يجري جميعهم في أحد الأنفاق التي تبدو بلا نهاية أسفل المدينة. ألك في المقدمة، ثم المرأة التي قال إنه كان لديه شرف العمل معها لسنوات عديدة: لانا. التالي هو فتى في عمر مارك يدعى دارنيل، ثم فتاة اسمها مستي -مراهقة أخرى، لكنها أكبر سنًا، ربما ثمانية عشر عامًا- ثم رجل أكبر من مارك أيضًا، ولكنه قصير منتفخ العضلات. مستي تناديه باسم «العُلجوم»، ويبدو أنه يفضّل هذا الاسم. ووراءهم مارك وترينا، مع فتى يدعى باكستر في المؤخرة. باكستر أصغر منهم جميعًا، ثلاثة عشر عامًا ربما، لكن مارك لاحظ أنه فتى قوي المراس. قال مصرًّا على البقاء في الخلف إنه يريد حماية الجميع من الهجمات المفاجئة.

في أثناء ركضهم، يأمل مارك أن يكون لديه ما يكفي من الوقت ليصادق الطفل.

تقول ترينا بهدوء إلى جانبه:

- أمل أنه يعرف ما يفعله.

يركضون جنبًا إلى جنب ويجد مارك نفسه يفكر بسخافة أنه سيكون لطيفًا لو كانوا على شاطئ، حيث تغيب الشمس وراء المياه. ويحمد الرب أن ترينا لا تستطيع قراءة أفكاره.

ويصر مارك قائلاً:

- إنه يعرف.

هو أيضًا لا يريد أن تعرف أنه يقارب على الارتعاد خوفًا مما قد يحدث في أي لحظة، مما يجعل الركض صعبًا. سبعة عشر عامًا من الحياة تقريبًا، ولم يكن يعلم قط كم هو جبان.

تقول ترينا وكأن ذلك أشد ما تفوهت به:

- تسونامي. نحن في منتصف أنفاق مترو مدينة نيويورك، ويفترض أن

يكون هذا هو مصدر قلقنا الأكبر. تسونامي؟

يجيب مارك:

- نحن تحت الأرض، ومدينتنا مجاورة للمحيط، إن كنت قد نسيت... ما الذي

سيحدث؟ تنساب المياه إلى الأسفل. كما تعرفين، الجاذبية وما إلى ذلك.

يمكنه أن يشعر بأنها ترمقه بنظرة بغیضة، ويعلم أنه يستحق ذلك. لا بد أنه قد فقد السيطرة على أعصابه حتى يتفوه بهراء كهذا. والآن يحاول تخليص نفسه بالطريقة الوحيدة التي يعرفها... الصدق.

يغمغم وهو يتنفس بصعوبة لإرهاقه من فرط العدو:

- آسف. أنا فقط خائف لدرجة الجنون. أنا آسف حقًا.

- لا بأس. لم أقصد ذلك كسؤال. أنا فقط... لا أعرف. أقول إن كل هذا لا

يُعقل على ما أعتقد. وهج شمسي وتسونامي. قبل بضع ساعات لم تكن

تلك الكلمات موجودة حتى في قاموسي، ولا أي شيء قريب منها.

- وضع مقرف.

هذا أفضل ما استطاع مارك أن يفكر فيه. هو لا يريد التحدث عن ذلك بعد الآن، فكلما فعلوا ذلك أكثر، ضاقت أحشائه أكثر بالذعر والقلق.

يتباطأ ألك عندما يصل إلى نهاية النفق الأخير. يتوقف ويلتفت لمواجهتهم. يتنفس الجميع بشدة وجسم مارك بأكمله غارق في العرق.
يقول ألك:

- يجب أن نمر بأحد الأقسام الفرعية الأحدث الآن. لا بد من وجود أشخاص هناك، ومن يدري في أي حالة سيكونون فيها. في بعض الأحيان يصبح الناس خطرين عندما يعتقدون أن العالم على وشك الانتهاء.

والآن بعد أن بدأت مجموعتهم الصغيرة في تهدئة تنفسهم قليلاً، يستطيع مارك سماع الأصوات الخافتة القادمة من خلف قائدهم. همهمة الجمهور، يتحدث الناس ويضجّون، بالإضافة إلى بعض الأصوات الصادمة... صرخات بعيدة تبكي وتعول. الانعزال في غرفة التخزين الصغيرة التي كانا فيها لا يبدو بهذا السوء الآن.

تلتقط لانا خيط المحادثة:

- نحن بحاجة فقط إلى المرور. امشوا سريعاً، لكن لا تظهروا وكأنكم تعرفون إلى أين أنتم ذاهبون. لا يمكننا حمل أي شيء... أفرغوا جيوبكم واتركوا ما تحملونه وإلا سنتعرض للهجوم. علينا فقط أن نأمل في إيجاد ما يفيد داخل مبنى لنكولن.

وكان عدد قليل منهم يحمل حقائب من الطعام الذي عثروا عليه سابقاً. يرمونها على الأرض، ويبدو أن هذا الفعل يمتص بعضاً من حياة ترينا.

يقول ألك وهو ينظر إلى هاتفه:

- سندخل من خلال هذا الباب، فالبطارية قريبة من إنهاء شحنها على الأغلب، ثم اقفزوا على القضبان. إذا بقيتاً بعيداً عن رواق المحطة فلربما يقلل ذلك من رؤيتنا لأعداد كبيرة من الناس. مباشرة لنصف ميل، ثم يمكننا أن ندخل من أبواب سلالم مبنى لنكولن. هذا الشيء ارتفاعه تسعون دوراً، إنه فرصتنا الوحيدة.

يلقي مارك نظرة سريعة حوله ويرى أن الآخرين متوترون. يقفز العُلجوم صعودًا وهبوطًا، مما يليق على كُنَيْتِه بشكل ساخر.

يقول ألك:

- لنذهب. ابقوا قريبين من بعضكم... في كل مكان. ليدافع كل منكم عن الآخر حتى الموت.

تئن ترينا عند سماع ذلك، ويتمنى مارك حقًا أن الرجل لم يقل ذلك. تصرخ لانا، سواء كان ذلك من فرط الإحباط أو لتحميسهم، ربما لن يعرف مارك أبدًا:

- هيا، هيا، هيا!

يفتح ألك الباب ويجتازه، ويتبعه الآخرون، لتمر موجة من الحرارة من فوقهم. يشعر مارك كما لو كان الأكسجين يحترق في صدره، ويحارب لالتقاط أنفاسه حتى يعتادها.

يدخل النفق الأكبر في أعقاب ترينا. إنها على حافة ضيقة على ارتفاع بضعة أقدام فوق قضبان القطارات. قفز ألك ولانا إلى الأسفل بالفعل، وهما يمدان أذرعهما لمساعدة الآخرين. يأخذون بأيدي بعضهم واحدًا تلو الآخر ثم يقفزون عن الحافة، يهبطون بصوت عالٍ وبألم في سيقانهم. ينظر مارك إلى الأعلى، يتسرب الضوء من السلالم التي تؤدي نهايتها إلى العالم المدمر فوقهم. يتفحص الأشخاص الذين يتسكعون على بسطة الدرج في الناحية الأخرى من مكان وقوفه، وجميعهم يثبتون أنظارهم على الوافدين الجدد.

ما يراه مارك هناك يكاد يوقِف قلبه عن الخفقان.

المكان مزدحم. ما لا يقل عن نصف الحشد قد جُرح بطريقة ما، جروح وحروق رهيبة. هناك أناس راقدون على الأرض يصرخون. أطفال من جميع الأعمار، الكثير منهم يتألم أيضًا، وذلك أكثر ما مزَّق قلب مارك. يتقاتل رجلان بوحشية في بقعة ما، يضرب كل منهما الآخر ويخدشان وينبشان بعضهما. لا أحد يتحرك حتى لفصلهما. هناك سيدة ملقاة على حافة بسطة السلم استُبدل بوجهها بشرتها الذائبة ودماؤها. يشعر مارك كما لو أنه استرق النظر إلى الجحيم.

يأمر ألك حالما أصبح الجميع على القضبان:

- تحرّكوا.

يطيعون أمره، ويبقون قريبين قدر الإمكان. ترينا على يسار مارك، والولد الذي يدعى باكستر على يمينه. يبدو الطفل مرعوبًا ويريد مارك أن يقول شيئًا يحسّن من حالته، لكنه لا يجد كلامًا. سيكون كلامًا فارغًا على أي حال. ألك ولانا أمام مارك تمامًا، لغة جسدهما تتحدى أي شخص غبي بما يكفي ليوажهما. كانوا في منتصف رواق المحطة عندما اندفع رجلان وسيدة إلى الأسفل على القضبان ووقفوا مباشرة في طريقهم، وأجبروهم على التوقف. الغرباء قدرون لكنهم يبدوون غير مؤذنين، جسديًا على أي حال. أعينهم مسكونة بالأهوال التي رأوها.

تسأل المرأة:

- إلى أين تعتقدون أنكم ذاهبون؟

يضيف أحد أصدقائها:

- نعم. تبدون ذوي أهمية... أتعلمون بشأن ملجأ لا نعرفه؟

يقترّب الرجل الآخر من ألك قائلاً:

- لست متأكدًا إن كنت قد لاحظت ذلك أم لا، لكن الشمس قررت أن تتجشأ في وجوهنا جميعًا. الناس قد ماتوا يا سيدي، الكثير من الناس. ولا يعجبني اعتقادك بأنك تستطيع السير هنا مدعيًا أن كل شيء على ما يرام.

ينهض قليل من الآخرين من مرقدهم، ويجتمعون وراء الغرباء الثلاثة حاجبين طريقهم.

يصرخ أحدهم:

- لنز إن كان لديهم طعام.

فيرجع ألك ويلكم الرجل الواقف أمامه، لينبثق الدم من أنفه وينهار على الأرض. فوجئوا بذلك لدرجة أنهم توقفوا عن الحركة لثانية، ثم توجه العديد من الناس للهجوم على مجموعة مارك وهم يصرخون ويصيحون.

وتبع ذلك فوضى. قبضات تطير وأقدام تُركل وأصابع تقبض الشعر وتشدّه. لُكِمَ مارك في وجهه وهو يرى رجلًا يشدُّ ترينا بقوة. ينفجر الغضب

داخل مارك ويرد الضربات لكل من لكمه، مطوحًا بذراعيه بعنف حتى التقيا بشخصين من حوله. ثم يدفع الرجل بعيدًا ليرى رجلًا يعتلي ترينا، يصارعها على الأرض، ويحاول تثبيتها وهي تحاول مقاتلته بضراوة.

يطير مارك، ويلقي بثقله على الرجل. يسقطان من فوق ترينا ليتدحرجا على الأرض. يلکم الرجل مارك ويردُ مارك اللكمات وهو بالكاد يشعر بإصاباته. ثم يشتبكان ويتلويان وتخفق أذرعهما وهما يركلان بعضهما. يفلت مارك ويزحف بعيدًا، ويتحقق ليرى إن كانت ترينا بخير. تقوم وتركض نحو مهاجمها راكلة إياه في وجهه، وتقع على ظهرها. يذهب الغريب ناحيتها، لكن مارك يهاجمه مرة أخرى، ليغطس بكتفه في أمعائه. يتقيأ الرجل ويتكور حول نفسه بينما يقف مارك على قدميه، ويمسك بيد ترينا. ينسحب كلاهما من الحشد، ثم ينظران إلى ما يحدث مع الآخرين.

ما زال الجميع يقاتلون، لكن على الأقل لم ينضم أي شخص آخر من بسطة السلم بالأعلى. يرى مارك العُلجوم يضرب رجلًا، وألك ولانا يقاتلان رجلًا وامرأة قبالة مستي وباكستر. يهرب شخصان آخران من مجموعتهما. ربما يكون الأمر قد شارف على نهايته.

عندما حدث ما حدث، بدأ كصوت قرقرة منخفضة في البداية لكنها أخذت في الارتفاع. يرتجف النفق قليلًا، وتتوقف جميع المعارك على الفور. يقف الناس على أقدامهم، وينظرون حولهم. يحذو مارك حذوهم محاولًا العثور على مصدر الضوضاء. لا يزال ممسكًا بيد ترينا.

تصرخ:

- ما هذا؟

يهز مارك رأسه، ويواصل النظر حول النفق. تهتز الأرض تحت قدميه بينما يعلو صوت القرقرة متحولًا إلى هدير صريح. تتحول عيناه إلى رواق محطة المترو بينما تندلع الصرخات... صرخات تُعدُّ ولا تحصى وتحركات هلعة سريعة. هناك جدار رهيب من الماء القدر يتدفق على الدرج العريض.

الفصل الحادي والعشرون

استيقظ مارك. لا بصراخ ولا بهتاف، ولم يهّب قاعدًا أو يشهق أو أي تصرف «درامي» من هذا النوع. لقد فتح عينيه للتو، وأدرك على الفور أنهما رطبتان بالدموع، وأن وجهه مبتل. كانت الشمس قد أشرقت، ملقية بضوئها على الأشجار، وجدار الماء.

لن ينسى أبدًا ما رآه وهو يهرع نازلًا على تلك السلالم كوحوش البرية، ولا رعب مشاهدته وهو يجرف الناس في الأسفل.

- هل أنت بخير؟

سألته ترينا.

مسح وجهه بسرعة والتفت نحوها، أملًا ألا تعرف أنه كان يبكي في أثناء نومه، لكن نظرة واحدة لها قتلت ذلك الأمل. بدت كأم قلقة.

غمغم:

- مرحبًا (كان يشعر بالحر الشديد). صباح الخير. كيف الأحوال؟

- مارك، أنا لست حمقاء. أخبرني، ما خطبك؟

نظر إليها، محاولًا أن يلقي نظرة فيما معناها أنه لا يريد الحديث عن ذلك، ثم رأى ديدي تتكئ على شجرة على بعد بضعة أقدام، تقشر اللحاء من غصن. لم يكن وجهها سعيدًا، لكن على الأقل اختفت تلك النظرة المفعمة بالكآبة المطلقة. كانت تلك بداية.

- مارك؟

عاد إلى ترينا.

- كنت أحلم بكابوس.

- عن ماذا؟

- تعرفين عن ماذا.

عبست وقالت:

- ولكن أي جزء منه؟ قد يكون من المفيد أن نتحدث عن هذا الأمر.

- لا أعتقد.

تنهد مارك، ثم أدرك أنه لم يكن لطيفاً. كانت تحاول فقط أن تساعد على أن يشعر بتحسن.

- كان ذلك قبل أن يسرع الماء في ذلك المجرى. عندما قاتلنا هؤلاء المجرمين الهاوين. استيقظت تماماً مع بداية الجزء السيئ.

الجزء السيئ. وكأن كل ما قبل ذلك كان نزهة في الحديقة مع الجدة. سقطت أنظار ترينا إلى الأرض.

- أتمنى لو كان بوسعك ألا تحلم بهذه الأحلام. لقد نجونا، وهذا كل ما يهم. فأنت تحتاج إلى أن تترك الماضي وراءك.

ظهرت على وجهها علامات الأسف وهي تكمل:

- أعني أن القول أسهل من الفعل. أعتقد أنني فقط أتمنى أن تتجاوز أحداث الماضي. هذا كل شيء.

- أعلم، أعلم ذلك. وأنا أيضاً.

مد يده وربّت على ركبته، مما بدا تصرفاً غيبياً في موقف كهذا، لكن ألك ولانا كانا عائدتين من جلب الماء العذب من الجدول.

سألت ترينا، ملقية بنظرة على ديدي:

- كيف حالها؟

- أعتقد أن الأمور تسير على ما يرام حقًا. لم تنفتح كثيرًا حتى الآن، لكنها على الأقل تبدو مرتاحة في حضوري. لا أستطيع أن أتخيل الرعب الذي كانت تعانيه تلك المسكينة بعدما تركوها وراءهم.

أثار الأمر الغضب مرة أخرى داخل مارك:

- كيف أمكنهم ذلك؟ أعني... أي نوع من الأوغاد...

أومأت ترينا برأسها قائلة:

- نعم. لا أعرف. ما تتطلبه الأوقات العصيبة وما إلى ذلك.

- نعم، ولكن سنهنا لا تزيد على السنوات الأربع!

كان كلامه مزيجًا من الهمس والصراخ. لم يرد أن تسمعه ديدي، لكنه لم يستطع السيطرة على نفسه. أغضبه الأمر بشدة.

قالت ترينا برقة:

- أعلم، أعلم.

ثم سارت لانا نحوهم، وأظهرت عيناها أنها تفهمت شعوره.

- من الأفضل أن نمضي في طريقنا. سنتصرف.

أخذ اليوم يطول.

في البداية كان مارك متخوفًا من الناس في قرية ديدي، ولا يزال قلقًا بشأن الاتجاه الذي أشارت إليه عندما سألوها عن وجهتهم. إذا كانت الفتاة على حق، فهذا يعني أنهم كانوا هنا في مكان ما، يفعلون ما يفعلونه. ولم يكن لديه سبب حقيقي ليخاف منهم، فقد كانوا مجرد أشخاص كغيرهم. يهربون من هجوم أو مرض. كان هناك شيء مشؤوم بشأن الطريقة التي تحدثت بها ديدي عنهم، وكان يستطيع أن يرى بوضوح أنها تشير إلى جرحها بنظرة اتهام. كل هذه الأمور كانت تكدره.

وبعد ساعات قليلة من عدم رؤية أي أثر لهم، تكيف مع مشقة المشي والمشي ثم المزيد من المشي. عبر الغابة، وعبر الجداول المائية وعبر الأدغال. متسائلين إذا كان هنالك أي فائدة من الذهاب إلى ذلك المكان الذي يسعون إليه.

توقفوا لبعض الراحة في منتصف الظهر. كانوا يأكلون ألواح الجرانولا ويشربون الماء من نهر مجاور. فكر مارك باستمرار في كيفية توفير شيء واحد لديهم دائمًا، الكثير من مصادر المياه. على الأقل كان ذلك موجودًا.
قال ألك وهو يأكل:

- نحن نقرب. قد يلزمنا توشي المزيد من الحذر؛ يمكن أن يكون لديهم حراس يحيطون بالمكان. أراهن أن هناك العديد من الناس ممن يرغبون في اللجوء لمخبأ جيد أو أيًا ما كان مقرهم الجديد. أراهن أن المكان كان مكتظًا بالطعام لحالات الطوارئ.
همست لانا:

- من المؤكد أن لدينا حالة طارئة. أيًا كان هؤلاء الناس، فمن الأفضل أن يكون لديهم بعض التفسيرات الجيدة.

أخذ ألك قضة أخرى ودفعها إلى جانب فمه:

- تلك هي الروح المطلوبة.

سألته ترينا:

- ألا يعلمون آداب السلوك في الجيش؟ كما تعلم، يمكنك أن تقضم بعد انتهائك من الكلام بنفس سهولة أن تفعل ذلك قبل بداية حديثك.

مضغ ألك اللوح وقال:

- أهذا صحيح؟

ضحك كالنقيق مُطلقًا قطعًا صغيرة من الجرانولا من فمه، مما جعله يزرأ بصوت أعلى. سعل وتمالك نفسه، ثم ضحك من جديد.

كان من النادر رؤية ألك وهو يتصرف هكذا، لم يكن مارك يعرف كيف يستجيب في البداية، لكنه استوعب الأمر وضحك، على الرغم من أنه نسي ما كان مضحكًا في المقام الأول. كانت الابتسامة ترتسم على وجه ترينا، وكانت يدي الصغيرة تقهقه من قلبها، فأتلج صوتها قلب مارك وأزاح اكتتابه.

قالت لانا دون تعبير على وجهها:

- بالشكل الذي تتصرفون به، يبدو وكأنَّ أحدًا قد شرط.

لينطلق الجميع في نوبة أكبر من القهقهة استمرت لعدة دقائق، لتعود إلى الظهور في كل مرة تخفت فيها عندما يصدر ألك صوت فساء. ضحك مارك حتى ألمه وجهه وحاول قدر الإمكان أن يتوقف عن الابتسام، مما أضحكه بشدة.

وأخيرًا استقر الوضع، منتهيًا بتنهيدة عميقة من الجندي السابق، ثم وقف وقال:

- أشعر أنني أستطيع الجري عشرين ميلًا. لنتحرك.

وفي أثناء مغادرتهم، بدا لمارك أن حلم الليلة السابقة قد عاد ذكرى بعيدة مرة أخرى.

الفصل الثاني والعشرون

كان ألك ولانا أكثر حذرًا خلال الجزء التالي من رحلتنا، إذ توقفا كل خمس عشرة دقيقة أو نحو ذلك للإنصات، باحثين عن العلامات المميزة للحراس أو الفخاخ، ملتصقين أكثر بغطاء الأشجار قدر إمكانهما.

قبل نحو ساعتين من الغروب الكامل، توقف ألك واحتشد الجميع حوله. في مرحلة ما بدا الأمر وكأن البالغين قد قرروا التوقف عن القلق بشأن التباعد بعضهم عن بعض. في حقل صغير محاط بالكامل بأشجار البلوط السميكة وأشجار الصنوبر الشاهقة -الأقدم مما لم يدمره الوهج الشمسي بشكل كامل- تقف على جذور جافة هشة. في الحقل وإد صغير بين تلتين متوسطتين. كان مارك لا يزال في حالة مزاجية جيدة، فضولي بشأن ما خطط له الرجل الأكبر سنًا.

قال ألك:

- حاولت الترشيح في عمل ذلك قدر الإمكان، ولكن حان الوقت للنظر إلى الجهاز اللوحي والتأكد من أن خريطتي المرتجلة لا تزال دقيقة. أتمنى أن يكون عقلي المسن لم يخذلنا.

أضافت لانا:

- نعم. دعونا نأمل أننا لسنا في كندا أو المكسيك الآن.

- مضحك جدًّا.

شغل ألك الجهاز وفتح برنامج الخرائط، ليجد القسم الذي وثق فيه رحلات البرج، جميع الخطوط تتقاطع في نقطة واحدة. واسترجع بوصلته

أيضاً. بينما بقي الجميع هادئين يراقبون، أمضى دقيقة أو ما يقارب ذلك في دراسة الجهاز اللوحي، يحرك إصبعه هنا وهناك، مقارناً إياها بما نسخه بخط يده، يتوقف كل فترة ليغلق عينيه ويفكر. ظن مارك أنه ربما كان يعيد تتبع طريقهم في ذهنه، محاولاً مضاهاته بما كان يقرؤه على الخرائط. وفي النهاية نهض ودار دائرة كاملة ينظر إلى الشمس، ثم يتفقد بوصلته.

ابتسم ودمدم:

- نعم، نعم، نعم.

ثم جثم إلى الأسفل ودرس الخرائط لدقيقة أخرى، وأدخل بعض التغييرات الصغيرة على النسخة الورقية. كان مارك يفقد صبره، وكان قلقاً بشكل رئيسي من أن الرجل قد استنتج أنهم قد تاهوا، ولكن كلماته التالية وضعت لذلك حداً.

- أوه، أنا محترف حقاً. جدياً، بعد كل هذه السنوات، كنت أعتقد أنني سأتوقف عن إدهاش نفسي. ولكن هأنذا، ما زلت أفعل ذلك.

تأوهت لانا:

- يا أخي!

ضغط ألك على الخريطة إلى يسار مركز مسارات البرج على شاشة الجهاز اللوحي، وقال:

- نحن نقف هنا. إلا إذا كنت قد أُصبتُ بهذا الفيروس وهو يأكل دماغي ولا أعرف ما أتحدث عنه. نحن على بُعد خمسة أميال من المكان الذي تهبط فيه تلك البرج كل ليلة على الأرجح.

سألت ترينا:

- هل أنت متأكد؟

- أعرف كيف أقرأ الخرائط، وأعرف كيف أحدد موقعنا، وأعرف كيف أقرأ البوصلة والشمس. كل هذه الجبال والتلال والوديان قد تبدو سواء لعينيك الصغيرتين، ولكن ثق بي، إنها ليست كذلك. وانظري هنا.

أشار إلى نقطة على الخريطة وأكمل:

- هذه آسفل، على بُعد بضعة أميال فقط إلى الشرق. نحن قرييون. أعتقد أن الأيام القليلة القادمة قد تكون مثيرة للاهتمام. شعر مارك بأن مزاجه الجيد لن يستمر لفترة أطول.

اقتربوا لنحو ميل، متوجهين نحو إحدى أكثر الغابات كثافة مما عبروه حتى الآن. أراد ألك توفير غطاء في حال أرسل الأشخاص الذين كانوا يخططون لمواجهةهم مراقبين في الليل، فاستقروا وتناولوا عشاءً سريعاً، ثم جلسوا حول بقعة فارغة في محيطهم الضيق، دون نار خوفاً من أن يراهم أحد. لن يخاطروا باكتشافهم بهذا القرب من مقر البرج.

جلسوا في دائرة، يحدقون بعضهم إلى بعض، بينما مالت الشمس إلى الغسق وبدأت الجداجد في التهافت خارجة في الغابة. وسأل مارك عن خطط اليوم التالي، لكن ألك أصر على أنها لم تكن جاهزة بعد، فقد أراد التفكير، ثم مباحثة الأمور مع لانا قبل أن يصرح بها للآخرين.

سألت ترينا:

- ألا تعتقد أننا نستطيع المساهمة؟

أجاب بخشونة:

- في الوقت المناسب.

وكان ذلك نهاية الحديث.

أطلقت ترينا تنهيدة مبالغ فيها وقالت:

- بمجرد أن تبدأ بالشعور بأنك محبوب مرة أخرى.

- نعم، حسناً.

قالها ثم اتكأ على شجرة وأغمض عينيه.

- دعوني الآن أفكر لبعض الوقت.

نظرت ترينا إلى مارك طلباً للعزاء، لكنه ابتسم في المقابل. اعتاد طرق الدب القديم منذ زمن بعيد، بالإضافة إلى أنه كان يوافقه نوعاً ما. لم يكن مارك يعرف أي شيء عمماً يجب فعله في الصباح. فكيف كانوا سيجمعون المعلومات عن مكان وأناس لا يعرفون شيئاً عنهم؟

سأل:

- كيف حالك يا ديدي؟

كانت الفتاة جالسة ورجلاها متقاطعتان تحتها محدّقة إلى بقعة على الأرض.

- ما الذي يجري في ذهنك؟

هزت كتفيها وأعطته نصف ابتسامة.

أدرك أنها قد تكون قلقة بشأن دورها في اليوم التالي.

- اسمعي، لا داعي لأن تخافي بشأن الغد. لن نسمح أبدًا بحدوث أي شيء سيئ لك. حسنًا؟

- أتعدني بذلك؟

- أعدك.

انحنت ترينا واحتضنت الفتاة. إذا كان هناك أي شك أن ألك ولانا قد تخليا عن التشديد على عدم اقتراب الناس بعضهم من بعض -ناهيك باللامسة- فهذا الشك قد زال للأبد. لم ينبس أي منهما بكلمة.

قالت ترينا للفتاة:

- كل هذه الأمور خاصة بالكبار فقط. لا تقلقي، حسنًا؟ سنضعك في مكان آمن، وبعد ذلك كل ما سنقوم به هو محاولة التحدث مع بعض الناس. لا شيء آخر. كل شيء سيكون على أفضل ما يرام.

كان مارك على وشك الإضافة لما قالته ترينا عندما سمع صوتًا بعيدًا. بدا وكأن شخصًا ما يغني.

همس:

- هل تسمعون ذلك؟

نشط الباقون، وخصوصًا ألك. انفرجت عيناه وتحفز جسده.

سألت ترينا:

- ماذا؟

- اسمعوا.

ثم رفع مارك إصبعه إلى شفثيه وأمال رأسه نحو الصوت البعيد.
كان صوتًا خافتًا لكنه موجود بالتأكيد، صوت امرأة تغني ترنيمة ما، أقرب
ممًا ظنّه في البداية، فاقشعرّ جلده، حيث أعاد إلى ذاكرته مستي في بداية
استسلامها للمرض.

همس ألك:

- ما هذا بحق الجحيم؟

لم يجب أحد واستمروا في الإنصات. كان الصوت مرتفع النبرة، كان
سيبدو جميلًا لو لم يكن في غير محله. إذا كان هناك حقًا شخص ما يغني
بهذا الشكل، حسنًا... كان ذلك غريبًا فقط. وانضم للغناء صوت رجل، ثم عدد
قليل من الناس، إلى أن بدا وكأنه جوقة كاملة.

سألت ترينا:

- ما هذا بحق السماء؟ أهنالك كنيسة هنا أو ماذا؟

مال ألك إلى الأمام والخطورة تبدو على وجهه:

- أكره قول ما يلي، ولكن يتعين علينا أن نتحقق من هذا. سأذهب، ابقوا
هنا وابقوا هادئين. ربما كان ذلك فخًا من نوع ما.

قال مارك دون تفكير:

- سأذهب معك.

لم يستطع البقاء، بالإضافة إلى أن الفضول كان يقتله. لم يبدُ ألك في
أفضل حالات ثقته. نظر إلى لانا ثم إلى ترينا.

سألته ترينا:

- ماذا؟ ألا تعتقدون أننا نحن النساء نستطيع الاعتناء بأنفسنا؟ اذهبوا يا

رفاق... سنكون على ما يرام. أليس كذلك يا ديدي؟

لم تبدُ الفتاة الصغيرة في حالة جيدة، يبدو أن الغناء قد أخافها حقًا،
لكنها أومأت برأسها إلى ترينا وحاولت أن تبتسم.

قال ألك:

- حسنًا إذن. هيا يا مارك، لنذهب ونر.

تنحنت ديدي وشبكت يديها وكأنها تريد أن تقول شيئاً.

سألتها ترينا:

- ما الخطب؟ أتعرفين شيئاً؟

أومأت الفتاة برأسها بقوة، ووجهها لا يزال مشبّعاً بالخوف، ثم انفجرت بالحديث، بكلام أكثر مما تحدثت به منذ أن وجدوها:

- الناس الذين عشت معهم. إنهم هم. أنا أعلم أنهم هم. لقد أصبحوا غرباء، بدؤوا بفعل أشياء. يقولون إن الأشجار والنباتات والحيوانات سحر. لقد تركوني لأنهم قالوا إنني... شريرة.

وبدأت في النشيج وهي تكمل:

- لأنني أصبت بالسهام ولم أمرض.

نظر مارك والآخرين بعضهم إلى بعض... كانت الأمور قد صارت غريبة.

- إذاً، من الأفضل أن نلقي نظرة. يجب على الأقل التأكد من أنهم بعيدون عنا بما فيه الكفاية، أو أنهم لا يسلكون طريقنا. ولكن كن حذراً!

أوماً ألك برأسه وبدا متلهفاً للذهاب للتحقق من الأمر، ثم خبط كتف مارك بخفة وكان على وشك الرحيل عندما قالت ديدي شيئاً أخيراً.

- احترسا من الرجل القبيح عديم الأذنين.

انحنت إلى كتف ترينا وبدأت تبكي. نظر مارك إلى ألك، الذي هز رأسه كي

لا يضغط على الفتاة، ودون أن ينطق بكلمة، خرج الاثنان إلى الغابة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل الثالث والعشرون

لم يتوقف الغناء بينما كانا يسيران في الغابة. حاولا قدر المستطاع التزام الهدوء، ولكن من حين إلى آخر كان مارك يخطو على غصين أو غصن ساقط ويكسره، بدا صوت انكسار الخشب وكأنه قنبلة صغيرة في صمت الغابة النسبي. صوّب إليه ألك نظرة حادة كلّمًا حدث ذلك، كما لو كان ذلك هو أغبى شيء على الإطلاق فعله إنسان.

وكل ما كان بوسع مارك أن يقوله كان «آسف». حاول جاهدًا أن يخطو بحذر، لكنه بدا منجذبًا لما يصدر ضجيجًا رهيبًا.

ولم يكن هنالك تقريبًا أي أثر لضوء الشمس فيما كانا يتسللان بين الأشجار، يقتربان أكثر من جوقة الإنشاد المخيف. صارت الأشجار ظلًا قائمة غامضة شاهقة ضاغطة، وكأنهم يميلون نحو مارك بغض النظر عن المكان الذي يقف أو يمشي فيه. وكان من الصعب عليه أن يبقى هادئًا، مما استجلب عليه نظرات أكثر حدة من قبل ألك. على الأقل لم يتمكن من رؤية تعبيراته جيدًا في الظلام. استمر يتحرك، متبعًا خطى الدب العجوز.

شقا طريقهما عبر الغابة لبضع مئات من الياردات عندما اتضح مصدرُ للضوء، كان برتقاليًا وخفيفًا، حريق. حريق ضخم. وكان صوت الغناء قد ارتفع، وازداد... حدة. هؤلاء الناس كانوا منخرطين بشدة فيما كانوا يفعلونه. تسلل ألك إلى شجرة ضخمة قديمة، ثم جلس خلفها. كان مارك وراءه بمسافة قصيرة، يبذل قصارى جهده للصمت. ركعا جنبًا إلى جنب في مساحة رحبة.

همس مارك:

- ما رأيك فيما قالته ديدي؟

لا بد أنه قال ذلك بصوت عالٍ جدًا، لأنه رمقه بنظرة «التزم الهدوء» المعتادة، ووجهه مرثي بالكاد في الضوء الخافت. ثم رد عليه بصوت خافت:

- هؤلاء قد يكونون من تركوها، ويبدو أن أمخاخهم استُبدل بها بيض مخفوق. الآن حاول ألا تصدر أي أصوات، أيمكنك ذلك؟

قلب مارك عينيه، لكن ألك كان قد ارتد بعيدًا وكان يميل إلى الأمام لينظر حول حافة جذع الشجرة. بعد بضع ثوانٍ واجه مارك مرة أخرى.
قال:

- لا أستطيع تمييزهم جميعًا، ولكن هناك على الأقل أربعة أو خمسة أشخاص يرقصون حول هذه النيران وكأنهم يحاولون استدعاء الموتى.

قال مارك:

- ربما هذا بالضبط ما يفعلونه. يبدو لي كعبادة.

أوما ألك برأسه ببطء وقال:

- ربما كانوا دائمًا كما هم.

- قالت ديدي إنهم يظنون أنها شر. وربما تسبب الفيروس أو أيًا كان في تفاقم حدته إلى حد كبير. طائفة من المصابين بالمرض الذي زادهم جنونًا. يبدو ذلك مسليًا. يصيبني ذلك بالقشعريرة من قبل رؤيتهم.

- نعم، من الأفضل أن نقرب أكثر. أريد أن أحصل على لمحة أخيرة، تأكد من أنه ليس علينا القلق بشأنهم.

مشيا منحنيين وخرجا من بقعة اختبائهما، ماشيين ببطء من شجرة إلى أخرى، يتحقق ألك كل مرة للتأكد من أمان الانتقال إلى النقطة التالية. كان مارك فخورًا بنفسه، فلم يصدر صوتًا عاليًا منذ فترة.

استمرا حتى وصلا إلى مسافة مئة ياردة أو نحو ذلك، كان الغناء واضحًا وضوح الشمس، وحلقت ظلال اللهب منعكسة على ظلّة الأغصان فوقهما.

جلس مارك خلف شجرة مختلفة عن ألك هذه المرة وأخرج رأسه ليلقي نظرة على المنحدر الطويل.

اندلعت النيران بعرض عشرة أقدام على الأقل وبدت ألسنة لهبها تلمع على مبعدة في الهواء، تكاد تهدد بإشعال الأطراف السفلى للأشجار المحيطة بها. لم يصدق مارك كيف يخاطر هؤلاء الحمقى بحرق الغابة بأكملها، وبخاصة مع جفاف كل شيء بعد الوهج الشمسي.

خمسة أو ستة أشخاص كانوا يرقصون ويمرحون حول النار، ويرمون أيديهم إلى أعلى وينزلون بها مجددًا، ينحنون نحو الأرض ثم يخرجون ببطء إلى الجانب، لبيدؤوا من جديد. توقع مارك أن يكونوا مُرتدين عباة غريبة أو أن يكونوا عراة، لكنهم يرتدون ملابس بسيطة، قمصان تي شيرت عادية وأخرى بلا أكمام وبناطيل جينز وسراويل وأحذية تنس. اصطف حشد من اثني عشر شخصًا أو نحو ذلك في صفين على الجانب الآخر من النار، صادحين بالنشيد الغريب الذي سمعه مارك، ولم يفهم منه كلمة.

ضربه ألك على كتفه، مما جعله يقفز.

ثم استدار ليووجه الرجل واضطر إلى كبح نفسه ليبقي صوته منخفضًا.

- لقد كدت تفزعني حتى الموت.

- عذرًا. انظر، لدي شعور سيئ تجاه هؤلاء الناس. سواء كانوا يشكلون

تهديدًا أم لا، فمن هم في هذا المخبأ الذي نتجه إليه قد رأوهم بالتأكيد

الآن وسيكونون في حالة تأهب قصوى.

وتساءل مارك إذا كان ذلك شيئًا جيدًا، وقال:

- لكن إن كان ذلك مجرد إلهاء، سيكون من الأسهل بالنسبة إلينا أن نتسلل

إلى المكان. ألا تظن ذلك؟

وبدا ألك وكأنه يتمعن في كلماته، ثم قال:

- نعم، على ما أعتقد. ربما ينبغي لنا...

- مَن هناك؟

تجمد مارك، وكذلك ألك. حدق كل منهما إلى الآخر بأفواه مفتوحة الآن. كان بإمكان مارك أن يرى الضوء القادم من الأسفل وهو يومض منعكسًا في عيني ألك.

- قلتُ مَنْ هناك؟

كانت امرأة، تنادي من المجموعة على النار.

- لا نريد أذيتكم. نريد فقط أن ندعوكم إلى الانضمام إلينا في تسابيحنا للطبيعة والأرواح.

همس ألك:

- كلام فارغ.

وردَّ مارك:

- كلام فارغ بالتأكيد.

دوى وقع خطوات، وقبل أن يتمكننا من فعل أي شيء كان هناك شخصان يقفان أمامهما. كان ظهراهما للنار، لذلك لم يستطع مارك أن يميز وجهيهما، لكنهما بدوا كرجل وامرأة.

قالت المرأة:

- مُرحَّب بكما للرقص والغناء معنا.

بدت لهجتها أكثر هدوءًا مما يحتمل الموقف. في هذا العالم الجديد، ينبغي أن يقابل الغرباء بمزيد من الحذر.

وقف ألك فاردًا ظهره - لم يكن هناك فائدة من الجلوس كأطفال متلصقين - وحذا مارك حذوه، فطوى ألك ذراعيه ونفخ صدره كدُب يحاول الدفاع عن منطقته.

بدأ حديثه بلهجته التقليدية قائلاً:

- اسمع، أنا ممتن لدعوتكما، ولكن علينا أن نرفضها باحترام. دون ضغائن بالتأكيد.

تلوَّى وجه مارك، معتقدًا أن هذين الشخصين لا يمكن التنبؤ بأفعالهما -وربما كانا مختلفين- ليجازفا بالسخرية أو الوقاحة معهما، وتمنى لو يرى وجهيهما لرد الفعل، لكنهما كانا لا يزالان مختبئين في الظل.

سأله الرجل وكأنه لم يسمع رد ألك:

- لماذا أنت هنا؟ لماذا جئت لتتجسس علينا؟ أظن أنك ستتشرف بدعوتنا. استنشق ألك نفسًا قصيرًا، وأحس مارك بتشنجه.

قال ألك بهدوء:

- كنا فضوليين.

فجأة غاب ذهن مارك، ولم يكن لديه أي فكرة من أين جاء. لم يكن يعرف على وجه اليقين ما إذا كان هؤلاء الأشخاص ينتمون فعلاً إلى نفس القرية أم لا.

- لماذا تركتم ديدي؟ إنها مجرد فتاة صغيرة. لماذا تركتموها ككلبة؟

لم تجب المرأة عن سؤاله، ثم قالت:

- لا أستريح لكما. ونحن لا نستطيع المجازفة. اقبضا عليهما.

وقبل أن يتمكن مارك من فهم كلماتها، كان هنالك حبل حول عنقه، ملتصقًا بإحكام، يفقده توازنه، فصرخ ورفع يديه محاولاً التخفيف من الضغط بينما كان يسقط على ظهره ويخرج الهواء من رئتيه، وألك مقيد بنفس الطريقة. كان بإمكان مارك أن يسمعه يشتم بصوت مختنق. ركل مارك والتوى، محاولاً الانقلاب ومواجهة مهاجمه، لكن يدي مهاجمه القويتين أمسكتا به من تحت ذراعيه وأوقعتاه على الأرض.

ثم أخذًا يجرانه إلى أسفل منحدر الجبل، نحو النار.

الفصل الرابع والعشرون

توقف مارك عن الصراع أخيرًا عندما لكمه أحدهم على وجهه، مرسلًا دفعة من الألم في خده. أدرك أن المجهود المبذول للهرب كان عديم الجدوى. استرخى وتركهم يجرونه إلى أي مكان يريدون أخذه إليه. ورأى ألك وهو يصارع رجلين ضخمين وراقب وهما يشددان الحبل حول عنقه. صوت الرجل العجوز المختنق جعل قلب مارك يكاد ينفطر.

صرخ:

- توقفوا! ألك، توقف فحسب! سوف يقتلانك!

وبالطبع لم يلقِ الدب العجوز لكلامه أي انتباه، وواصل القتال.

وفي نهاية المطاف سُحبًا إلى الحقل الذي كانت النيران لا تزال تشتعل فيه. وبينما رأى مارك ذلك، لاحظ ان امرأة تصعد لترمي جذعين آخرين فوق السعير. اضطرمت النيران وبصقت شرارات حمراء متوهجة. سحبته أسره حول النار ورمى به أمام صفيين من الناس. توقفوا جميعًا عن الهتاف، وتركزت كل أعينهم على مارك وألك.

كان يسعل ويبصق، عنقه يحترق من الحبل، يحاول الجلوس. وضع رجل طويل القامة -ربما الرجل الذي جره إلى هناك- حذاءه الكبير على صدر مارك وأعادته إلى الأرض.

قال بنبرة لا غضب فيها:

- الزم مكانك.

قالها بوضوح، وكأنه لا يعتقد أن مارك سيفكر حتى في عدم الامتثال.

استدعى الأمر رجلين لإنزال ألك إلى أسفل الجبل، وصدّم مارك لنجاحهما في ذلك. ألقياه بالقرب من مارك. عرق الجندي وتذمر، ولكن لم يقاوم لأن الطرف الآخر من الحبل كان لا يزال مربوطاً حول عنقه. دخل في نوبة سعال طويلة، ثم بصق دمًا على الأرض.

- لماذا تفعلون ذلك؟

لم يسأل مارك أحدًا على وجه الخصوص. استلقى على ظهره وحدق إلى ظلال الأغصان وانعكاس اللهب على الأوراق.

- لسنا هنا لإيذائكم. نريد فقط أن نعرف من أنتم، ماذا تفعلون؟!

- أذلك سألتم عن ديدي؟

نظر إلى امرأة واقفة على بُعد بضعة أقدام. شكل جسدها يوحي بأنها السيدة التي تحدثت إليهما أعلى الجبل.

لم يصدق مارك انعدام المشاعر في صوتها.

- إذن أنت من تركتها. لماذا؟ ولماذا نحن سجناء الآن؟ نريد فقط بعض الأجوبة!

اندفع ألك فجأة في حركة عاصفة، ملتصقًا بالحبل، وسحبه وهو يقفز واقفًا. تملّص من بين الرجال الذين كانوا يحتجزونه، وقفز ألك نحوهم، واندفع إلى الأمام بكتفه ناطحًا كالكبش، وارتطم بجانب أحد الرجال وألقى به على الأرض. وقعا بصوت عالٍ، ولكمه ألك ليبعده مرتين قبل أن يهاجمه رجلان آخران، ليرفعا من فوق جسم الرجل. دخل شخص آخر أيضًا، واستطاع الثلاثة رمي ألك على ظهره، وتثبيت ذراعيه ورجليه للأسفل، وهرع الرجل الذي ضربه ألك وذهب ناحيته، وركله في الضلوع ثلاث مرات متتالية.

صرخ مارك:

- توقفوا! توقفوا!

وأخذ يفك عنه الحبل الذي يقيده وبدأ ينهض، ولكن الحذاء عاد ليرميه على الأرض مرة أخرى.

قال أسرته مرة أخرى مستعملًا ذلك الصوت المسطح عديم الانفعالات:

- أكرّر، لا تتحرك ثانية.

وكان الآخرون لا يزالون يلزمون ويركلون ألك، لكن الجندي السابق رفض الاستسلام، مجاهدًا للقتال على الرغم من أن الاحتمالات جميعها كانت ضده.

توسل مارك إليه:

- ألك. يجب أن تتوقف وإلا سيقتلونك حقًا. ما الفائدة التي ستقدمها لنا إذا كنت ميتًا؟

أخيرًا هدأ ألك. سكن ثم تكوّر على نفسه ببطء، ووجهه متقلص بكرب شديد من فرط الألم.

كان مارك يرتعش غضبًا، فوجّه انتباهه نحو المرأة الواقفة هناك، تراقب كل ذلك ببرود جنوني.

سأل:

- من أنتم؟

كان هذا كل ما أمكنه التفوه به، لكنه حاول حقن أكبر قدر ممكن من الغضب في كلماته.

حدقت المرأة إليه لثوانٍ قليلة قبل أن تجيب:

- أنتم دخلاء غير مرحّب بهم. والآن سوف تخبرني عن ديدي. هل الفتاة معك؟ في مخيمك في مكان ما؟

- لماذا تهتمين؟ لقد تركتها خلفك! ماذا؟ هل أنتِ خائفة من أن تتسلل إلى معسكرك وتصيبك بالمرض؟ إنها على ما يرام. ليست مريضة!

أجابت المرأة:

- لدينا أسبابنا. الأرواح تتكلم ونحن نتبع أوامرها، فالناس لا يعرفون شيئًا. غادرنا قريتنا بعد أمطار الشياطين من السماء، بحثًا عن أماكن أكثر هدوءًا. انفصل كثير من أناسنا عن العالم ورفضوا الانضمام إلينا. إنهم هناك في مكان ما، ربما يتآمرون مع الشياطين أنفسهم. ربما أنت جاسوسهم.

لم يصدق مارك الكلمات السخيفة التي تخرج من فم هذه السيدة.

- هل ستركين فتاة صغيرة جميلة لتموت لأنها قد تكون مريضة؟ لا عجب أن الناس الآخرين من قرابتك لم يتبعوك.
بدت المرأة مشوَّشة حقًا.

- اسمع يا ولد. الآخرون أخطر منا بكثير... يهاجمون دون إنذار، يقتلون دون ضمير. فالعالم يكتنفه الشر بأشكال عديدة. ولا يمكننا المخاطرة، وبخاصة أنك استشهدت باسم ديدي. أنتما سجينان، وسيَتعامل معكما، فإن أطلقنا سراحكما، فنحن نجازف بتنبيه أولئك الذين يرغبون في إيذائنا.

حدق مارك إليها، وأطرق برأسه. كان لديه شعور مفاجئ بالانزعاج. كلما تحدثت هذه المرأة أكثر، شعر بذلك أكثر.

- أخبرتنا ديدي أن السهام أتت من السماء. رأينا الجثث في مستوطنتك الصغيرة. نفس الشيء حدث لنا. كل ما نحاوله هو أن نعرف لماذا.

- تلك الفتاة قد جلبت الشر علينا. طرقها الشريرة هي ما أدت إلى ذلك. لماذا تعتقد أننا تركناها خلفنا؟ إن كنت قد أنقذتها وقربتها منا، فقد ارتكبتَ شيئاً أفضح مما كنت تحلم به.

قال إليك أخيرًا:

- ما كل هذا الهراء الفارغ؟ لدينا مشكلات أكبر مما يمكنك أن تحلمي به يا سيدتي.

أضاف مارك بسرعة قبل أن يتمكن إليك من قول أي شيء آخر. ربما كان إليك الأقوى في مجموعتهم، لكنه كان آخر من يلجأ إليه أحد كمفاوض:

- يجب أن تتركونا نرحل. نحن نحاول فقط إيجاد مكان آمن للعيش. أرجوك، أعدك بأننا سنغادر. لن نخبر أي أحد عنكم ولن نحضر ديدي لأي مكان قريب منكم إن أردت. يمكننا الاعتناء بها.

أجابت المرأة:

- غباؤكم يحزنني، حقًا.

كان مارك يريد الصراخ لكنه أجبر نفسه على البقاء هادئًا.

- إذًا، لتبادل الأدوار لشرح الأمور بعضنا لبعض. أليس ذلك عادلاً؟ أريد أن أفهم. وأنا أحتاج إلى أن تفهمينا حقًا. هل يمكنك أن تتحدثي معنا بدلاً من معاملتنا كالحيوانات؟

عندما لم تستجب، ارتجل شيئاً ليبقى الحوار مستمرًا.

- إذًا... ماذا إن بدأنا بكيف بدأت الأمور؟ وكيف وصلنا إلى هذه الجبال. كانت نظرتها جاحظة فارغة الآن.

- اعتقدت دائماً أن الأبالسة سيحاولون أن يكونوا لطفاء عندما يأتون من أجلنا. لقد خدعتنا لننقلك إلى هنا، ونربطك. كي يمكنك أن تكون لطيفاً وتخدعنا مرة أخرى. شياطين! جميعكم!

ثم أعطت إشارة قوية لأحد الرجال الواقفين قرب مارك وألك.

سحب الرجل قدمه إلى الخلف وركل مارك في الضلوع. انفجر الألم في جانبه وصرخ، غير قادر على مساعدة نفسه. ركله الرجل مرة أخرى، هذه المرة في الظهر، تمامًا في كليته. اجتاح مارك وجع عميق، وتخضبت عيناه بالدموع وهو يصرخ بصوت أعلى.

احتج ألك:

- توقف يا ابن الـ...

انقطع حديثه عندما وصل أحد معتقليه ولكمه على وجهه.

صرخ مارك:

- لماذا تفعلين ذلك؟ لسنا شياطين! لقد فقدت عقلك!

ثم طعنته ركلة أخرى في الضلوع، الألم لا يطاق. ارتجف، لف ذراعيه حول نفسه. استعد للهجوم المستمر، عالمًا أنه لم تكن لديه فرصة للهروب.

- توقف.

مرقت الكلمة عبر الهواء من الجانب الآخر للنار، صوت رجل عميق كالخوار. قفز الرجلان اللذان ضربا مارك وألك على الفور من ورائهما، وركعا أرضًا، ووجهاهما للأسفل، كما ركعت المرأة على ركبتيهما ونظرت إلى الأرض.

عدّل مارك (الذي كان لا يزال يتلوى أَلْمَا) ساقيه، محاولاً أن يرى من أصدر هذا الأمر البسيط الفعال. ورأى حركة بين ألسنة اللهب تابعتها بنظره، فيما دخل رجل إلى المشهد واقترب منه. وعندما كان على بُعد بضعة أقدام، توقف، ليرتفع نظر مارك من حذائه الطويل مروراً بسرّوالة الجينز وقميصه المنقوش إلى وجهه، الذي كان ملطخاً بندوب بشعة، بشكل يكاد يكون غير إنساني. أراد مارك النظر بعيداً، لكنه لم يفعل. تبادل النظرات مع الغريب المشوه، محدقاً إلى تلك العينين الثابتتين الجريحتين.

لم يكن للرجل شعر، ولم تكن له أُذنان.

الفصل الخامس والعشرون

قال الرجل:

- اسمي جديدايا.

كانت شفتاه صفراوين مشوهتين، تلتويان على ناحية واحدة. لديه لثغة غريبة، وكان صوته... عديم النبرة.

- لكن أتباعي يدعونني جد. ستناديانني جد، لأنني أرى أنكما تعرضتما لسوء المعاملة وأنتما الآن أصدقاءئي. هل هذا مفهوم؟

أوماً مارك برأسه، ولكن ألك زمجر بكلام غير مفهوم. وبأسلوب متحد، جلس الجندي العجوز عندما أمرهما مهاجموهما بالاستلقاء على ظهريهما. الرجال الذين كانوا يضربونهما قبل لحظات فقط كانوا جميعاً راكعين كما لو كانوا يصلُّون. جلس مارك أيضاً آملاً ألا تكون هناك عواقب لذلك. بدا جد سعيداً.

قال الرجل:

- ممتاز. يبدو أننا نحقق السلام أخيراً.

مشى فوقهم وجلس بينهم وبين النار. ألسنة اللهب في ظهره والضوء الواضخ جعل رأسه يبدو مبللاً ومتلألئاً، كما لو كان يذوب. هذا ما استنتج مارك حدوثه لهذا المسكين.

سأل:

- هل فعل الوهج الشمسي ذلك بك؟

ضحك جد لثوان قليلة، ولكن لم يكن هناك أي ابتهاج أو سعادة في صوته، كان أقرب لكونه مقلقًا:

- دائمًا ما يدغدغ عظامي ضحك عندما يشير أحد إلى ضربة الشيطان بهذه الطريقة. نعم، اعتقدت أنه مجرد حدث كوني في مسار الأرض. الصدفة أو سوء الحظ. سوء حظ، تلك هي الكلمات التي خطرت بذهني في ذلك الوقت.

سأل ألك، ولهجته توضح كم كان يرى ذلك مبتذلًا:

- والآن تظنون أن هؤلاء شياطين أشرار كبار يمطرون علينا من السماء؟ ألقى مارك نظرة عليه وشعر بفضاعة. غطى الدم وجه الرجل المليء بالتورمات والكدمات من جراء الضرب الوحشي الذي تعرض له.

رد جد، دون أن يظهر أي إشارة على أنه لاحظ سخرية ألك:

- لقد حدث ذلك مرتين الآن. في كلتا المرتين أتوا من السماوات... مرة من الشمس، ومرة من المركبات. ونعتقد أنهم قد يزوروننا سنويًا، لمعاقبتنا على التراخي وتذكيرنا بما نحتاج إليه.

كرر مارك:

- مرتان... الشمس والمركبات. إذا جاء الوهج الشمسي ثم أتت السهام من البرج؟

تأرجح رأس جد إلى اليمين واليسار، ثم ركز على مارك مرة أخرى. قال الرجل، وكأن ما فعله كان طبيعيًا تمامًا:

- نعم، مرتان. ومرة أخرى، يؤسفني ويحزنني على حد سواء ألا ترى أهمية الأحداث. هذا يعني أن عقليكما لم يتطورا بعد ليتمكننا من رؤيتهم على حقيقتهم.

قال مارك وهو يقلب عينيه قبل أن يتوقف في الوقت المناسب:

- الشياطين.

- الأبالسة... في كل مكان. نعم، الشياطين. أحرقوا وجهي، أذابوه بالشكل الذي ترونه اليوم. حتى لا أستطيع نسيان دعوتي. ثم جاءت السهام الصغيرة من المركبات محملة بالكراهية. لقد مضى شهران، وما زلنا

ننوح على أولئك الذين فقدوا حياتهم في ذلك اليوم. ولذلك نشعل النيران ونشدو بالأغاني ونرقص. ونخاف من أبناء قريتنا الذين قرروا عدم الانضمام إلينا، فهم يعملون مع الشياطين دون شك.

سأل ألك:

- انتظر، شهران؟ ماذا تقصد بشهرين؟

أجاب جد ببطء، كما لو أنه يتكلم مع فتى مشوش:

- نعم. نحسب الأيام بجدية، كل يوم منهم. لقد مضى شهران وثلاثة أيام.

قال مارك:

- مهلاً، مهلاً! ليس ممكناً حدوث ذلك في هذا التوقيت. لقد حدث ذلك لنا قبل بضعة أيام فقط.

قال جد:

- لا يعجبني ذلك... عندما يشكك الناس في كلامي.

تغيرت نبرته تغيراً جذرياً في منتصف حديثه، وتحولت فجأة إلى التهديد.

- كيف تجلس هناك وتتهمني بالكذب؟ لماذا أكذب بشأن شيء كهذا؟

حاولت أن أتصالح معك، وأن أعطيك فرصة ثانية في هذه الحياة، وهكذا

ترد جميلى؟

ارتفع صوته عالياً مع كل كلمة حتى صرخ، وارتعد جسده.

- إنه... يؤذي رأسي.

استطاع مارك إدراك أن ألك على وشك الانفجار، فمد يده بسرعة وضغط

على ذراعه.

همس قائلاً:

- لا... لا.

ثم أعاد انتباهه إلى جد.

- لا، اسمعوا، من فضلكم. الأمر ليس كذلك. نريد فقط أن نفهم. قريتنا

كانت... أمطرت الأسهم من المركبات علينا منذ أقل من أسبوع، لذا

افترضنا الشيء نفسه عنكم. و... قلت إن الناس ماتوا في اليوم الذي

حدث فيه ذلك، وقد رأينا جثث أشخاص يبدو أنهم ماتوا مؤخرًا. فقط ساعدونا على الفهم.

شعر مارك أن هنالك بعض المعلومات المهمة التي يجب معرفتها من هؤلاء الناس. لم يعتقد أن الرجل يكذب بشأن الإطار الزمني. هناك معلومات يجب عليهم معرفتها.

كان جِد قد رفع يديه ليضعهما على المكان الذي كانت فيه أذناه على رأسه، وكان يتأرجح ببطء من جانب إلى آخر.

- مات الناس على الفور، ثم آخرون لاحقًا. المزيد من المعاناة مع مرور الوقت. المزيد من الموت. قُسمت قرينتنا إلى فصائل. كله من عمل الشياطين.

وبدأ يتأوه وكأنه يترنم.

قال مارك:

- نحن نصدقك. نريد فقط أن نفهم. تحدث إلينا أرجوك، وأخبرنا بما حدث، خطوة بخطوة.

حاول أن يبعد الإحباط عن صوته، لكنه لم يستطع. كيف كان من المفترض أن يفعل هذا؟

قال جِد بإحكام وهو لا يزال يترنح:

- لقد جعلتما الألم يعود من جديد.

كانت ذراعاها متصلبتين، ومرفقاها يبرزان على جانبيه وهو يمسك برأسه بين يديه. بدا وكأنه يحاول سحق جمجمته.

- هذا مؤلم بشدة. لا أستطيع... يجب أن... أنت من الشياطين. إنه التفسير الوحيد.

كان مارك يعلم أن وقته ينفذ، فقال:

- لا، أقسم لك. نحن هنا لأننا نريد أن نتعلم منك. ربما يكون رأسك يؤلمك لأن... لديك المعرفة التي من المفترض أن تشاركها معنا.

أسقط ألك رأسه إلى الأمام.

قال جد:

- لقد أتوا قبل شهرين (وكان صوته بعيداً إلى حد ما)، ثم يأتي الموت في موجات. يستغرق وقتاً أطول كل مرة، يومين، خمسة أيام، أسبوعين، شهراً. وأناس من قريتنا، أشخاص كانوا أصدقاء في يوم من الأيام، يحاولون قتلنا. نحن لا نفهم ماذا يريد الشياطين. نحن لا نفهم. نحن... لا... نفهم. نحن نرقص، ونغني، ونضحى...

ثم سقط على ركبتيه، وانهار على الأرض، ولا يزال يضغط على رأسه بيديه، وأخرج آهة طويلة مشبعة بالألم.

وصل مارك إلى نهاية صبره. بقدر ما كان مهتماً، كان هذا جنوناً مطبقاً، ولم تكن هناك طريقة للتعامل معه بعقلانية. نظر إلى ألك، واستنبت من العزيمة في عيني الرجل أنه مستعد لأن يُضرب بطلقة حتى يهربا. وكان أسروهما لا يزالون راكعين، ووجوههم منخفضة في نوع من العبادة المريضة للرجل الذي كان يتلوى من الألم، وكان هذا الوقت المثالي للهروب.

كان مارك على وشك التفكّر في خطوته التالية، محاولاً التركيز على الرغم من أنين وتأوهات جد، عندما اندلعت أصوات جديدة في الغابة وراءهم. الناس يصرخون ويصرخون، ويضحكون. أصوات نداءات طيور وغيرها من الضوضاء الحيوانية، مصحوبة بصوت خطوات تكسر شجيرات الغابة الجافة، استمرت الأصوات المخيفة، إذ صارت أعلى كلما اقترب الناس. ثم، على نحو أكثر رعباً، انتشرت الضوضاء في دائرة حول حقل النيران حتى أصبحت محاطة بجوقة من النعيق والوقوقة والزئير والضحك الهستيرى. لا بد أن هناك عشرات من الناس يصدرون تلك الأصوات.

قال ألك باشمئزاز واضح:

- ماذا الآن؟

قالت المرأة وهي راكعة:

- لقد حذرناك منهم. كانوا أصدقاءنا، عائلتنا... في الماضي، كانوا دائماً أصدقاءنا، والآن أخذتهم الشياطين، وكل ما يريدونه هو تعذيبنا وقتلنا.

وفجأة، انهار جد على ركبتيه ثانية، صارخًا بأعلى ما في رثتيه. نفض رأسه إلى الأسفل بعنف، ثم إلى اليسار وإلى اليمين، كما لو كان يحاول طرد شيء ما من جمجمته. لم يستطع مارك إلا أن يتراجع إلى الخلف حتى أصبح الحبل حول عنقه مشدودًا أكثر، وظل الطرف الآخر بين يدي أحد الراكعين. صاح جد بصوت خارق مخيف مقاطعًا كل الأصوات الجديدة القادمة من الغابة حولهم.

صرخ والكلمات تنهش من حلقه:

- لقد قتلوني! لقد قتلتنى الشياطين... أخيرًا!

كان جسمه جامدًا، وكانت ذراعه متصلبتين على جانبيه، ووقع، ولفظ آخر أنفاسه. سكن جسده، وبدأ الدم يتسرب من أنفه وفمه.

الفصل السادس والعشرون

جلس مارك متجمدًا تمامًا، يحدق إلى جسد جد الممدد في وضع ملتوي غير طبيعي. كان مارك متأكدًا طوال حياته أنه لم يمر بأوقات غريبة مثل تلك التي مر بها منذ وصوله إلى معسكر الجنون هذا. وكأن الأمر لم يكن ليُجلب أي غرابة جديدة، فقد أحاط بهم مجانين في الغابة، يصدرن أصوات الحيوانات ويضحكون بهستيرية.

نظر مارك ببطء إلى ألك، كان صامتًا من فرط ذهوله، بلا حراك بينما كان يحدق إلى جد.

استمرت الحركة والضجيج في الغابة. نداءات حيوانات وصفير وهتافات وأصوات الخطوات.

وقف الرجال الذين كانوا يركعون، وقبل ذلك يضربون مارك وألك، ينظرون إلى حبالهم كما لو كانوا غير متأكدين مما يجب عليهم فعله بها. فألقوا نظرة سريعة على السجناء، ثم على بعضهم بعضًا، ثم أعادوا أنظارهم إلى الحبال. وكان صفاً المغنيين من ورائهم يفعلون نفس الشيء، يبحثون حولهم كما لو أنهم ينتظرون أن يخبرهم أحد بكيفية التصرف، كما لو أن جد كان الرابط الذي يجمعهم، وبعد انقطاعه الآن، كان أتباعه مشوشين وغير قادرين على التصرف.

تصرف ألك أولاً، وكان من الواضح أنه يريد استغلال الموقف. وبدأ يعبث بالحبل المربوط حول عنقه، وأخيرًا دس أصابعه تحته بما يكفي لفك عقده. كان مارك خائفًا من أن يخرج الرجال من حالة الذهول وينتقموا، لكنهم ألقوا

بأطراف حبالهم ردًا على ذلك. تبع مارك على الفور ألك وعمل على الحبال التي تقيده، ليصبح طليقًا أخيرًا. سحب الحبل من فوق رأسه حتى أطلق سراحه، بينما كان ألك يلقي حبله على الأرض.

قال الرجل الأكبر سنًا:

- لنخرج من هذا المكان.

سأل مارك:

- ولكن ماذا عن أصدقائهم هناك؟ إنهم يحاصروننا.

تنهد بشدة وأجاب:

- هيا. علينا فقط أن نقاتل لشق طريقنا إذا حاولوا إيقافنا. اتركهم في عبتهم.

قدمت المرأة التي تحدثت إليهم أولاً، بمشية أسرع ووجه مليء بالقلق.

- كل ما فعلناه هو محاولة إبقاء الشياطين بمنأى. لا أكثر ولا أقل. انظروا

كيف دمرتم مجهوداتنا. كيف يمكنكم قيادة أعدائنا إلى هنا؟

ثم جفلت بعد أن قالت ذلك وأخذت خطوة إلى الوراء، رافعة يديها إلى

صدغيها، وهمست:

- كيف أمكنكم ذلك؟

غمغم ألك وهو يدور حولها ويتحرك نحو النار:

- أنا آسف حقًا.

كانت هناك قطعة طويلة من الخشب احترق نصفها بلهب مُتقد، التقط ألك

جانبها غير المحروق ورفعها كشعلة.

- سيجعلهم ذلك يفكرون مرتين قبل أن يجربوا أي شيء. هيا يا فتى.

نظر مارك إلى المرأة، التي كانت بوضوح تعاني آلامًا في رأسها، وبدأ

يستجمع شتات نفسه.

صرخ ألك في وجهه:

- قلت لك هيا!

وفي تلك اللحظة، اندفع عشرات الأشخاص من الغابات المحيطة بقبضات مرتفعة في الهواء صارخين. كان هناك نساء ورجال وأطفال، على وجوه جميعهم نفس التعبير المجنون من الغضب الممزوج بالبهجة. بدأ مارك -الذي لم ير شيئاً كهذا قبلاً بالتأكيد- بالعمل، متبعاً ألك وهو يلتقط حطبة من الحريق. اشتعلت النيران من قممها وهو يلوح بها في الهواء، ليمسك بها كسيف.

هاجمت موجة المهاجمين صفوف المغنين، إذ انقضوا عليهم وهم يطلقون صيحات حرب حيوانية. قفز رجلان إلى الهواء مباشرة إلى النار. اشتعلت ثيابهما وشعورهما بينما راقبهما مارك برعب. كانت الصرخات تمزق حناجرهما وهما يخرجان متعثرين من بين ألسنة اللهب، ولكن الأوان كان قد فات. هربا إلى الغابة واللهب يغمرهما وهما يحترقان أحياء، ومن المؤكد أنهما أشعلا النار في الغابة كلها. عاد مارك إلى مغني أهل القرية، كانوا يُضربون ويُخنقون. كان محاصراً بالفوضى... كان الأمر أكبر من قدرته على الاستيعاب.

صرخ ألك من مكان قريب:

- مارك! لست متأكداً إن كنت قد لاحظت، لكننا سنتعرض للهجوم!

صاحت امرأة من خلف مارك:

- أرجوكما! خذاني معكما.

جال بنظره ليرى السيدة التي أمرت بضربهما، يكاد أن يحرقها بطرف شعلته. بدت متغيرة ووديعة. ولكن قبل أن يتمكن من الرد كانوا فجأة في وسط ما بدا أنه قتال بين آلاف الأشخاص. دُفع مارك عدة مرات، ولدهشته، أدرك أنه ليس فقط صراعاً بين الأشخاص الجدد وسكان القرية، حيث كان العديد من المهاجمين يضربون بعضهم بعضاً، ورأى امرأة تسقط في النار، وصراخها يشقُّ الهواء.

أمسك أحدهم مارك من القميص لينحيه جانباً. لقد كان على وشك ضربه بسلاحه عندما أدرك أنه ألك.

صاح الرجل:

- لديك موهبة في محاولة قتل نفسك!

ردّ مارك:

- لم أعرف من أين أبدأ أو ماذا أفعل!

- أحيانًا عليك فقط أن تتصرف.

ثم ترك قميص مارك وانطلقا في الاتجاه نفسه، صعودًا على المنحدر، بعيدًا عن النار. لكن كان هناك أشخاص من حولهما.

وأما مارك بالشعلة أمامه وهو يعدو، لكن أحدهم عرقله من الخلف، ليفلت الحطبة المحترقة ويقع على رأسه في التراب. وبعد لحظة سمع صوت ضربة أعقبتها صرخة ألم فانتفض. نظر عاليًا ليرى ألك وهو ينزل قدمه من الركلة. صاح الرجل:

- قم!

ولكن الكلمة الأخيرة خرجت بالكاد من فمه بينما ضربه الرجل والمرأة ليوقعاه أرضًا.

تماسك مارك وهمّ واقفًا، وأمسك الشعلة التي أسقطها، وركض إلى حيث صارع ألك مهاجميه. ودفع بالجزء المحترق إلى مؤخرة عنق الرجل. صرخ الرجل وأمسك عنقه، سقط من فوق ألك. ثم أعاد مارك الحطبة إلى الورا وأرجحها بأقصى ما يستطيع، ضاربًا جانب رأس المرأة. كل ما سمعه مارك كان صوت قرقعة النار وهي تسقط بعيدًا عن ألك.

اقترب مارك من الأسفل، وأمسك بيد ألك، وساعده على النهوض على قدميه.

واندفع المزيد من الناس نحوهما، على الأقل خمسة أو ستة.

لوح مارك بحطبته في الأنحاء، ناسيًا كل شيء عن السيطرة وسلم نفسه للغريزة والأدرينالين. ضرب رجلًا، ثم سحب سلاحه مرة أخرى وضرب امرأة في أنفها، ثم وجَّهها ناحية رجل قادم مباشرة نحوه، ليُدسَّ طرف اللوح المحترق في بطنه ويشاهد ملابسه تشتعل.

كان ألك بجانب مارك، يلکم ويركل ويمسك بتلابيب الناس، ويرشقهم بعيدًا كأكياس القمامة. كان قد فقد الشعلة التي التقطها في مرحلة ما في

فرط انشغاله باستخدام كلتا يديه لقتال المهاجمين. كان الجندي محاربًا صنديدًا كعادته.

انزلقت ذراع حول عنق مارك من الخلف وأفقده توازنه، وبدأ يلتقط أنفاسه بصعوبة. أمسك مارك بالحطبة في كلتا يديه، ثم طمرها للخلف بحركة يائسة، فلم يصب هدفه. سحبها ثم حاول مرة أخرى، مؤرجحًا إياها بكل القوة التي استطاع استجماعها بينما كان الأكسجين ينفد من رئتيه. أحس بقوة الضربة وهي تصطدم بمهاجمه، سمع صوت تهشم الغضاريف وسمع صراخ الرجل. واندفع الهواء الحلو هارعًا إلى رئتيه بينما خفت الذراع من قبضتها. سقط مارك على الأرض، ليشعر برئتيه تعودان للحياة، وانحنى ألك ليلتقط أنفاسه. كانت لديهما فترة راحة بسيطة، لكن إحدى النظرات أظهرت أن المزيد من الناس يأتون في طريقهم.

ساعد ألك مارك على الوقوف على قدميه. صعدا على منحدر بحركات أقرب للزحف، شبه متسلقين إلى غطاء الأشجار الأكثر كثافة. سمع مارك صرخات مطارديهما وراءهما، لا يريد هؤلاء الناس لأحد أن يهرب. وصل هو وألك إلى بقعة مسطحة نوعًا ليهرعًا بالجري. وكان ذلك عندما رآه مارك، أمامهما على بعد مئة ياردة.

واشتعلت النيران في قسم كبير من الغابة، بينهما وبين معسكرهما، حيث تركا ترينا ولانا وديدي.

الفصل السابع والعشرون

كانت أشجار وشجيرات الغابة شبه ميتة بالفعل، برميل بارود مستعد للانفجار. مرت بضعة أسابيع منذ آخر عاصفة هادرة، ويبس كل ما نما بعد الوهج الشمسي. انسابت خيوط من الدخان على الأرض عند أقدامهما، وعبقت رائحة الخشب المحترق الهواء.

صرخ ألك قائلاً:

- ستنتشر النار في الهشيم.

ظن مارك أنه يمزح، لكن الرجل بدا جاداً.

صرخ قائلاً:

- هذا حريق هائل!

لكن ألك كان قد بدأ بالفعل في العدو نحو النيران البعيدة، والتي بدا أنها آخذة في النمو، فانطلق مارك وراءه، عالماً أنه كان عليهما الوصول إلى الجانب الآخر من هذا الجحيم قبل أن يتعاضم، وكان عليهما الوصول إلى ترينا وديدي ولانا، فهرع كلاهما عبر الشجيرات، راكبين الورد البري، مراوغين الأشجار وفروعها الدانية. وظل صوت المطاردة يدوي من خلفهما، ولكنه انخفض، كما لو أن مطارديهما المعاتيه أدركوا أنه من الجنون أن يدخلوا إلى حريق غابة. لكن مارك كان يسمع أصوات الصفير وأصوات نداء الحيوانات التي تخيم على الغابات من حولهما.

واستمر في الركض، واضعاً كل تركيزه على العودة إلى ترينا.

اقتربت النيران، مطلققة مُقسعة هادرة، واشتدَّت الرياح، مما أدى إلى تأجيج النيران، فقد سقط فرع ضخّم من علو شاهق ووقع فوق الظلة، ملقيًا بالشرارات في كل مكان حتى وصل أخيرًا إلى الأرض. استمر ألك في التوجه نحو قلب الجزء المتقدم من الغابات دون تباطؤ، وكأن هدفه النهائي الوحيد هو العدو ناحية الموت الناري وإنهاء كل ذلك.

صاح مارك فيه:

- ألا ينبغي لنا أن نغير اتجاهنا؟ إلى أين أنت ذاهب؟

أجاب ألك دون الرجوع إلى الوراء بينما جاهد مارك لسماعه:

- أريد أن أكون قريبًا قدر الإمكان! أن أركض على أطراف الغابة حتى نعرف بالضبط أين نحن! وربما يفقد هؤلاء المعاتيه أثرنا أيضًا!

- هل تعرف أين نحن بالضبط؟

تحركّ مارك بأسرع ما يمكنه، لكن الجندي ظل أمامه.

جاء الرد اللعين:

- نعم.

أخرج بوصلة ونظر إليها في أثناء عدوه.

وكان الدخان يزداد سمكًا، مما جعل التنفس صعبًا. شغل الحريق مدى رؤية مارك بالكامل الآن، اقتربت ألسنة اللهب وارتفعت لتضيء الليل، وتدفقت موجات من الحرارة لتضرب وجه مارك، لتمتصها الرياح التي تهب من خلفه. ولكن مع اقترابهما، الآن على بعد بضعة عشرات من الأقدام، لم تعد موجات الحرارة ذات أهمية. ارتفعت درجة الحرارة بشدة. كان مارك غارقًا في العرق يشعر بالحرارة الشديدة لدرجة أنه ظنَّ أن جلده سيذوب. فقط عندما ظن أن ألك قد فقد عقله بعد كل ما حدث، تحوّل الرجل فجأةً بحدة إلى اليمين، وركض بموازاة خط اللهب الآخذ في التوسع. بقي مارك قريبًا منه قدر المستطاع، واضعًا حياته بين يدي الجندي السابق طيلة هذا الوقت منذ أن التقيا في أنفاق المترو.

الحرارة الشديدة تنبض في أنحاء جسده في أثناء جريانه، رياح هائجة من اليسار، وهواء أبرد من اليمين. ثيابه تستعر على جلده، وشعر كما لو أنهما

قد يحترقان في أي ثانية على الرغم من أنهما كانا يتصبيان عرقًا. ولكن شعره كان جافًا، حيث امتصَّ الهواء اللاهث كل الرطوبة. تخيل أن بصيلات شعره أصبحت على وشك الجفاف والسقوط على الأرض كأوراق شجر الصنوبر. وعيناه، شعر كما لو أنهما تُشويان في محجريهما، فأخذ يضيقيهما ويفركهما، وحاول أن يبكي، ولكن لم تكن هناك دموع.

ركض، متبعًا خطوات ألك، أملًا أن يهربا من النار ويبتعدا عنها قبل أن يموتا من العطش والإرهاق الحراري. صوت ألسنة اللهب هو الشيء الوحيد الذي يسمعه الآن، هدير ثابت كصوت محركات دافعة لألف برج.

وفجأة، اخترقت امرأة الغابة من الجهة اليمنى أمامهما مباشرة، تلمع النار في جنون عينيها. استعد مارك للقتال، متوقعًا أن تستدير المرأة وتهاجمهما، لكنها ركضت مرورًا بهما أمام ألك، لو كانت أبطأ قليلًا لكان قد خطا فوق جسدها. فركضت المرأة، صامته عاقدة العزم، لتصطدم قدماها بالشجيرات. تعثرت وسقطت، ثم نهضت. ثم اختفت في جدار النيران بصرخات قصيرة.

واصل ألك ومارك المُضي. وأخيرًا وصلا إلى حافة الجحيم الآخذ في الاتساع، الخط الذي كان أكثر وضوحًا مما توقعه مارك، فحافظا على المسافة نفسها، لكنه شعر بالارتياح، لتندفق دفعة من الأدرينالين الطازج في جسده، ليلتفت نحو اليسار، متجهًا نحو ترينا والآخرين ثانية. ركض مارك بقوة أكثر، كاد أن يتعثر ألك عندما لحق به، ثم صارا جنبًا إلى جنب.

كان مارك يلتقط أنفاسه بصعوبة؛ مزق الهواء حنجرته، وكان الدخان كالسم.

- علينا... أن نبتعد... عن هذا الشيء.

صرخ ألك في الخلف وهو ينفجر في نوبة طويلة من السعال:

- أعرف ذلك.

ألقي نظرة سريعة على البوصلة بكف يده وقال:

- هناك... تقريبًا.

وسرعان ما انعطفا ثانية حول هيكل النيران، وانحرف ألك هذه المرة إلى اليمين، مبتعدًا عن النار، وتبعه مارك مدرِّكًا أنه مشوّش تمامًا الآن. لم يعتقد أن عليهما الركض في هذا الاتجاه، لكنه وثق بالعجوز. وطئًا في الغابات بطاقة متجددة، راكضين أسرع من أي وقت مضى. كان مارك يشعر بالهواء يزداد نقاءً مع كل نفس يمتصه في رثتيه، كما أن صوت هدير السعير قد خفت بما فيه الكفاية ليسمع أصوات خطواته مرة أخرى.

توقف ألك فجأة.

مرّ مارك من أمامه بضع خطوات قبل أن يتمكن من فعل الأمر نفسه. التفت إلى ألك وسأل إن كان بخير.

كان الرجل يتكئ على شجرة، يخفق صدره وهو يلتقط أنفاسًا قصيرة. أومأ برأسه ثم دفن رأسه في مرفقيه وهو يتأوه بصوت عالٍ.

انحنى مارك ويده على ركبتيه، متمتعًا بقسط من الراحة. كانت الريح قد هدأت، وبدت النار على مسافة آمنة نوعًا ما الآن.

- يا رجل، لقد قلقتُ لفترة. لست متأكدًا من أن سيرنا بهذا القرب من جحيم مستعر كان أذكى ما يمكن فعله.

نظر ألك إليه، لكن وجهه كان مخفيًا في الظل.

- ربما كنتَ محقًا. لكن من السهل أن تتوه في مكان كهذا في الليل. كنتُ مُصرًا على اتباع الطريق الذي خططت له.

تفقد البوصلة، ثم أشار إلى نقطة فوق كتف مارك، وقال:

- مخيمنا الصغير من هنا.

نظر مارك من حوله ولم ير ما يميز ذلك الجزء من الغابة.

- كيف عرفت؟ كل ما أراه هو مجموعة من الأشجار.

- أعرف فحسب.

ضجَّ الليل بأصوات غريبة، ممتزجة بهدير النار المستمر. صرخات وضحكات. كان من المستحيل تحديد الاتجاه الذي تأتي منه.

قال ألك وهو يتأوه:

- يبدو أن هؤلاء الحمقى المجانين لا يزالون يبحثون عن المتاعب.
- كان الحمقى المجانين على حق، وكنت أتمنى أن يموتوا جميعًا في النار.

قالها مارك قبل أن يدرك كم كان ذلك فظيعةً، لكن الجانب الذي أراد النجاة مهما كلف الأمر -الذي صار عديم الرحمة خلال السنة الماضية- عرف أنها الحقيقة. لم يكن يريد أن يقلق بشأن ذلك بعد الآن. لم يرد أن يمضي بقية الليل والنهار التالي ينظر وراء كتفه.

قال ألك:

- لو كانت الأمانى قريبة المنال...
- أخذ نفسًا عميقًا وطويلاً قبل أن يستطرد:
- حسنًا. من الأفضل أن نسرع ونلتقي مع صديقاتنا الثلاث.
- بدأ الهرولة بشكل أبطأ قليلاً من السابق. عودة تلك الأصوات، حتى وإن لم تكن تبدو قريبة جدًا في هذه اللحظة، كانت توترهما بشدة.
- غيرَ ألك مساره بعد بضع دقائق، ثم غيره مرة أخرى. توقف في نقطة ما، وعرف موقعه، ونظر حوله قليلاً، ثم أشار نحو المنحدر.

قال:

- إنهن هناك بالضبط.

وانطلقا في ذلك الطريق، ومشيا وحدّة الانحدار تزداد. وكانت الريح قد تحول اتجاهها، إذ عادت إلى النار، وملأت رئتيهما بالهواء النقي وخففت ذلك القلق، على الأقل بشكل مؤقت. كان مارك قد تكيف واعتاد الضوء المنبعث من اللهب حتى إنه لم يلاحظ أن الفجر قد زحف نحوهما، فالسماء عبر الأغصان فوقه أصبحت الآن أرجوانية بدلاً من لونها الأسود السابق، واستطاع أن يرى وجهته بشكل مشوش. أصبح المشهد مألوفًا، وفجأة عادا إلى المخيم. كانت أشياءهما لا تزال كما تركاها.

ولكن لم تكن هنالك أي علامة على وجود ترينا أو الأخريات!

ترعرعت بذرة زعر صغيرة داخل صدر مارك، وصرخ:

- ترينا! ترينا!

مشط مع ألك المنطقة المحيطة سريعاً، منادين بأسماء صديقاتهما.
ولكن كل شيء كان هادئاً.

الفصل الثامن والعشرون

بالكاد استطاع مارك أن يتمالك نفسه. من بين كل الهراء الذي مروا به، على الأقل هو وترينا لم يفترقا من قبل. استغرق الأمر عشر دقائق فقط منذ فقدانها ليشعر بالعجز بشكل أشد من الوقت الذي ضرب فيه.

قال لألك بينما كانا يبحثان في دوائر واسعة حول المخيم:
- لا فائدة.

وسمع اليأس جلياً في صوته.

- يستحيل أنهن قد رحلن في أثناء غيابنا. ليس دون ترك ملاحظة أو شيء ما على الأقل.

مرّر بيديه في شعره، ثم صرخ بلا سبب سوى الغضب والإحباط.

كان ألك يحافظ على هدوء جسده بشكل أفضل كثيراً.

- اهدأ يا فتى. عليك أن تتذكر شيئين: أولاً: لانا قوية مثلي وأذكى بكثير. وثانياً: أنت تنسى التفاصيل.

سأل مارك:

- ماذا تقصد؟

- نعم، أنت محق، كنّ ليبقين هنا حتى نعود في الظروف العادية. لكن

هذه الظروف ليست عادية على الإطلاق. إن كان هناك حريق في غابة

بالقرب من أشخاص مجانيين يجرون في الغابات مصدرين أصواتاً

كأفلام الرعب، فهل ستجلس وقتها هنا دون أن تفعل شيئاً؟

لم يجعل ذلك مارك يشعر بتحسن على الإطلاق.

- هل تعتقد أنهم ذهب للبحث عنا؟ ماذا لو كنا قد مررنا بهم في طريق عودتنا؟

كوّر يديه في قبضتين وضغط بهما على عينيه.

- يمكن أن يكرّ في أي مكان!

سار ألك نحوه وأمسك بكتفيه، وقال:

- مارك! ما خطبك؟ يا لك من شخص هادئ!

أسقط مارك يديه ونظر إلى عيني ألك، اللتين كانتا قاسيتين ورماديتين في ضوء الفجر الخافت، ولكنهما كانتا أيضًا مفعمتين باهتمام حقيقي.

- آسف. أنا فقط... خائف. ماذا سنفعل؟

- سنصفي أذهاننا وسنبقى هادئين وسنفكر في ذلك. ثم سنذهب إلى هناك ونجد لانا والفتاتين.

قال مارك بهدوء:

- معهن فتاة صغيرة. ماذا لو أن هؤلاء الأشخاص الذين هاجمونا قد سبقونا إلى هنا؟ هل اختطفوهن؟

- إذا سوف نعيدهن. لكن أريدك أن تستجمع شتات نفسك وإلا لن يحدث ذلك أبدًا. أتفهمني؟

أغلق مارك عينيه وأومأ برأسه وبذل قصارى جهده لإبطاء خفقان قلبه وتثبيط ذعره. ألك سيتصرف كما يفعل دائمًا.

نظر مارك أخيرًا إلى الجندي ثانية وقال:

- حسنًا. أنا بخير. معذرة.

- جيد. هذا أفضل.

عاد ألك خطوة إلى الوراء ودرس الأرض.

- لقد أصبح الضوء كافيًا الآن؛ يجب أن نجد أي علامة على الطريق الذي سلكه... أغصان مكسورة أو آثار أقدام أو شجيرات منسحقة، أي شيء. ابدأ البحث.

فعل مارك ذلك، في محاولة يائسة لشغل عقله بشيء غير تخيل كل سيناريو رهيب ممكن. ولا تزال أصوات النار والصراخ أو الضحك في بعض الأحيان تعلق في الهواء، ولكنها بدت بعيدة. في الوقت الحالي على الأقل.

مسح المنطقة متفحصًا كل بقعة بعناية قبل أن يجرؤ على اتخاذ خطوة أخرى، يدور رأسه صعودًا ونزولًا من جانب لآخر كأحد أنواع جامعي القمامة الآليين. كل ما كانا يحتاجان إليه هو دليل واحد، ومن ثم سيمكنهما على الأرجح أن يسلكا الدرب بسهولة أكثر. شعر مارك بأن شيئًا من هذا القبيل يسيطر عليه، وأراد أن يكون أول من يجد شيئًا. كان عليه أن يُشعر نفسه بتحسن، أن يشعر كما لو كانا يسيران في اتجاه ما حتى يستطيع إخماد أفكاره المقلقة.

لا يمكن أن يفقد ترينا. ليس الآن.

كان ألك يعمل على بعد عشرين قدمًا خارج المخيم، على يديه وركبتيه، ويتشمم الأرض مثل الكلب. بدا سخيًا، ولكن كان هناك شيء ما في هذا الفعل قد مسَّ مارك. نادرًا ما أظهر الدب الرزين العجوز أدنى تلميح للعاطفة -إلا إذا كان يصرخ أو يصيح أو يضرب شيئًا ما... أو شخصًا ما- لكنه غالبًا ما أظهر اهتمامه حقًا. لم يكن لدى مارك أدنى شك في أن الرجل سيبدل حياته اليوم إذا ساعد ذلك في إنقاذ إحدى صديقاتهما الثلاث المفقودات. هل يمكن لمارك أن يجزم بأنه يستطيع فعل نفس الشيء؟

صادف كل من مارك وألك آثارًا واضحة، أغصان مكسورة وأثار أحذية في التراب وأغصان مُزاحة لأشجار أو شجيرات، لكن في كل مرة استنتجا أن تلك آثارهما. بعد نصف ساعة أو نحو ذلك، أدرك مارك أنهما كانا يمشطان المنطقة بين المخيم والاتجاه الذي ذهبا إليه الليلة الماضية. توقف وانتصب جسده وناداه:

- ألك.

كان الرجل على يديه وركبتيه، يميل برأسه نحو شجيرة، وغمغم فيما معناه:

- نعم.

- لماذا نقضي الكثير من الوقت في الجانب الذي تركناهن فيه؟

خرج ألك من الأدغال ونظر إليه من جديد.

- يبدو ذلك منطقيًا. أعتقد أنهم إما قد لاحقنا إلى الخارج للبحث عنا، وإما خطفهن نفس المخابيل الذين هاجمونا. أو... ربما ذهبن ليتفحصن أسباب الحريق.

ظن مارك أن جميع الاحتمالات السابقة غير واردة، وقال:

- أو أنهم قد هربن من النار. ليس كل شخص على وجه الأرض معنوه مثلك يا سيدي العزيز. هل عندما يرى الناس جحيمًا هائلة آتية عليهم يقررون قطعها راکضين نحوها؟!

كان ألك قد حول كل ثقل جسده إلى ركبتيه ممددًا ظهره، وقال:

- لا، لا أعتقد ذلك؛ لانا ليست جبانة، لن تفرّ وتتركنا لنموت.

كان مارك يهز رأسه حتى قبل انتهاء الجندي من حديثه، ليرد:

- يجب أن تفكر في هذا الأمر. لانا تبادلك نفس المشاعر التي تكنّها لها، ستفترض أنك بخير، كما ستدرس الأوضاع من كل جوانبها لتحدد أفضل خطة. ألسنتُ محقًا؟

هز ألك رأسه، ثم رمقه بنظرة غاضبة قائلاً:

- إذًا، هل تظن أنه بعد كل ما حدث، ستتركنا لانا لنموت على أيدي بعض المجانين لتنفذ بجلدها؟

- لم تكن تعرف أننا كنا في براثن أشخاص كهؤلاء. أخبرناها أننا سنلقي نظرة فقط، أتذكر؟ ثم ربما سمعت المزيد من الأصوات، وسمعت ورأت النار قادمة. أراهن أنها قد فكرت بشكل منطقي وقررت أن تتجه نحو مركز البرج الرئيسي وبأننا قررنا نفس الشيء. هنا، لقد أشرت إلى الاتجاه الذي كنا ذاهبين إليه.

كان ألك يوميء ويغمغم بشكل يستحيل معه استشفاف مشاعره.

- ناهيك بأن معها مدنيين (راسمًا علامات اقتباس في الهواء عندما قال الكلمة الأخيرة) وفتاة صغيرة قد تكون مرتعبة. وأنا أشك كثيرًا في أن لانا ستتركهم ليقربوا منهن أو أيًا ما يعرض الأخرى للخطر.

خبط ألك بقدميه ليزيل الوحل عن ركبتيه، ثم قال:

- حسنًا يا فتى، يمكنك التوقف عن الحديث في هذا الأمر. لقد أقنعتني.
ولكن... ما هي وجهة نظرك؟

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجهه، لا تكاد تُلحَظ. وكان مارك يعلم سببها. كان الدب يتمتع بذلك، يراقب تلميذه ليفهم بنفسه.

أشار مارك إلى الجانب الآخر من المعسكر، نحو النقطة التي حدد فيها ألك الاتجاه الذي كان عليهما المضي فيه في اليوم السابق. المكان الذي سيجدون فيه الأشخاص الذين أفسدوا حياتهم مرة أخرى.

تكلم ألك بصيغة مبالغ فيها:

- كما قلت. لقد أقنعتني. هيا، لنبدأ بالنظر هناك.

غمز لمارك وهو يمر بجانبه، لكنه عبس في وجهه.

ضحك مارك.

- يا لك من رجل صغير غريب!

توقف ألك وواجهه قائلاً:

- هذا ما كانت أُمِّي تقوله لي. كانت توقظني في الصباح وتُقَبِّلني وتعانقني وتقول «صغيري الجميل، يا لك من رجل صغير غريب». كان ذلك يمَسُّني كل مرة، هنا.

وأشار إلى قلبه، ثم قلب عينيه بشكل درامي وقال:

- لنبدأ العمل.

قال مارك وهو يتبعه:

- أترى؟ هل أحتاج إلى أيِّ دليل آخر؟ رجل... صغير... غريب. رسمياً.

- شيء واحد مما قلته حقيقي. أنا بالتأكيد رجل. أنا رجل يا صغيري.

ثم صدر منه صوت مختنق يشبه الضحك.

خطوا بحذر أكثر عندما وصلا إلى المنطقة التي أشار إليها مارك، وسرعان ما عادا إلى المكان، باحثين في كل شبر عن آثار لمسيرة. توقف مارك مؤقتاً لينصت للأصوات التي صارت كضوضاء في الخلفية، لا تكاد تُسمع إلا حين

تركز عليها. حريق الغابة المطقطق المُقشع الهادر الذي لا يزال على مسافة آمنة لكنه يقترب، وأصوات صيحات أو ضحكات من أصدقائهم الجدد غير الودودين، الموجودين على مسافة آمنة أيضًا، وقد بدا الهواء ضبابيًا من فرط الدخان بعدما أشرقت الشمس لتكشفه.

أعلن ألك:

- وجدت شيئًا.

وصرخ عندما سار مارك ليرى بنفسه:

- انتبه!

- آه. عذرًا.

فتباطأ وتسلسل ليقف إلى جانب الجندي.

كان ألك على ركبتيه متكئًا على قدميه. يمسك عصًا في يده يستخدمها

كمؤشر، وقال:

- هناك نحو ثلاث شجيرات في صف واحد تم المرور عبرها، ومن قبل

أكثر من شخص واحد بالتأكيد. انظر إلى الجزء المحطم هناك والفرع

المحطم هناك والخطوات هنا وهناك.

وأشار إلى فرع قريب. انحنى مارك إلى الأمام ليرى الآثار الصغيرة.

تابع ألك بصوت مثقل:

- هنالك مشكلة واحدة فقط.

سأل مارك سريعًا:

- ماذا؟

فاستخدم ألك العصا ليدق بقعة -فوق الأرض مباشرة حيث مر الآخرون-

من أوراق الأشجار المكدسة، حيث تلطخت سطوحها الخضراء اللامعة

بقطرات صغيرة من الدم.

الفصل التاسع والعشرون

لم يسمح مارك لنفسه أن يصاب بالهلع هذه المرة، التزم الصمت، والبرد ينتشر في جسده ويدها تتلطحان بالعرق. فكَّر في أن وجهه قد شحب أيضًا. لكنه أرغم نفسه على أن يظل هادئًا، بينما وقف ألك وشق طريقه ببطء على طول المسار الذي وجداه.

ومع تصاعد القلق أشار ألك إلى المزيد من بقع الدم على طول الطريق. لم تكن كثيرة، لكن كان هناك منها قدر كافٍ ليجعلها مرئية.

- من الصعب أن نجزم بمدى خطورة الإصابة التي نتحدث عنها. لقد رأيت أنوفًا دموية تنزف كهذا كثيرًا، لكنني رأيت أيضًا رجلًا ذراعاه تنفجر فلم ينزف قطرة، حيث اقتلعه الانفجار بلا دماء.

غمغم مارك:

- ذلك... لا يفيد.

نظر ألك نحوه ورد:

- آسف يا فتى. أحاول أن أقول إنني لا أعتقد أن هذه أخبار سيئة. أيًا كانت من أصيبت، فلربما كان جرحًا غائرًا لا غير. فقد نجا أناس من إصابات أعتى من تلك. وربما يساعدنا ذلك في اقتفاء آثارهن.

واصل ألك المسير مرة أخرى، ورأسه يتأرجح نهبًا وإيابًا وهو يمشي، ملاحظًا لكل ما حوله، وتبعه مارك وهو يحاول جاهدًا ألا ينظر إلى آثار الدم، فلم يستطع، ليس قبل أن تهدأ أعصابه قليلًا. كان يأمل ألا يكون ذلك أثرًا خادعًا أو ما هو أسوأ من ذلك... فح.

سأل:

- أي شيء آخر يؤكد لنا أنها ترينا والباقيات؟

توقف ألك وانحنى بعيدًا لتفحص بعض التراب بالقرب من شجيرة مسحوقة، وقال:

- استنادًا إلى هذا النمط، أستنتج أن مجموعتنا الصغيرة هي التي أتت من

هنا، حيث أستطيع رؤية خطواتهن بوضوح و...

ثم ألقى بنظرة عصبية إلى الورا.

- وماذا؟

- حسنًا... لم أرَ آثار ديدي منذ فترة، لذا أظن أن شخصًا ما بدأ يحمل

المسكينة إلى هناك.

ثم رفع إصبعه إلى ما وراء كتفه.

استنتج مارك، والفكرة تجعل معدته تضطرب:

- لذلك ربما تكون هي التي تأذت. ربما... سقطت وجرحت ركبتها أو

شيء من هذا القبيل.

أجاب ألك:

- نعم. ولكن الشيء الآخر هو...

لم ير مارك قط الرجل مترددًا جدًّا في التكلم من قبل.

- هل تفصح عن ذلك يا رجل؟ ما الذي يحدث؟

قال ألك بهدوء وهو يبدو غافلًا عن توبيخ مارك:

- عندما مررن من هنا، كُنَّ يركضن بالتأكيد، يركضن بعجلة شديدة،

كل العلامات تشير إلى ذلك. طول آثار أقدامهن والشجيرات المحطمة

والأغصان المكسورة.

ثم نظر إلى عيني مارك وأكمل:

- كأنهن مطاردات.

أشعرَ ذلك مارك بغصة في حلقه، حتى تذكر شيئًا:

- ولكنك قلت للتو إنك لا تستطيع أن ترى سوى ثلاث مجموعات من آثار الأقدام. هل هناك ما يشير إلى أن شخصًا ما كان يلاحقهن؟
رفع ألك عينيه ثم أشار وقال:

- تلك الأشياء تطير في هذه الأنحاء، ألا تتذكر؟

كما لو أنهما يحتاجان إلى شيء آخر يقلقان بشأنه.

- ألا تعتقد أننا كنا سنسمع لو أن برجًا قد انحدرت لتطارد صديقاتنا إلى أسفل الجبل؟

- في وسط ما مررنا به للتو؟ ربما لم نسمع. ربما كان شيئًا غير البرج على أي حال.

ألقي مارك نظرة متعبة أخرى إلى الأعلى وقال:

- لنستمر في التحرك.

وسار الاثنان على الدرب، بينما يأمل مارك طيلة الوقت ألا يجدا المزيد من الدماء، أو ما هو أسوأ.

استمرت آثار ترينا ولانا وديدي في وإد طويل ومنخفض حتى وصلت إلى وإد شبه خفي. لم يلاحظ مارك أن جدران الجبال على جانبيهم تزداد طولًا، وأن المنحدر كان مُدرجًا بما فيه الكفاية بشكل لم يشعرهما أنهما يهبطان سريعًا، وبخاصة أنهما كانا محاطين بالغابات ويقضيان معظم وقتهما في دراسة الأرض بحثًا عن أدلة وآثار لصديقاتهما. لكنهما كانا يخوضان عبر مجموعة كثيفة من الأشجار تارة، ثم يخرجان إلى حقل واسع يحده جدران الجرانيت الرمادي للوادي تارة. كان المكان شديد الانحدار بحيث لم ينم سوى كتل صغيرة قليلة من النباتات هنا وهناك.

أخرج ألك خريطته المرسومة باليد وتوقف.

- نحن هنا.

ثم جعل مارك يعود خطوة، واختفى كلاهما خلف جذع شجرة بلوط كبير.

- حقًا؟

- أنا شبه متأكد أن هذا الوادي هو المكان الذي عادت إليه البرج بعد كل رحلة.

نظر مارك إلى الشجرة وتفحص الجدران العالية الموحية بالشؤم.

- هناك بعض الخطر في أن تطير إلى هذا المكان، ألا تظن ذلك؟

- ربما، ولكنه أيضًا مكان مثالي للاختفاء. يجب أن تكون هناك منطقة

هبوط في مكان ما قريب، وأيضًا مدخل إلى ما يعتبرونه موطنهم. ما

زلت أعتقد أنه قد يكون مخبأً حكوميًا قديمًا، وخصوصًا أنها قريبة جدًا

من أشفل... فالمدينة تقع على الجانب الآخر من هذا الوادي.

- نعم.

كان هناك ما يقلق مارك.

- إذا... ما هي احتمالات أن لانا والأخريات قد طوردن حتى هنا؟ أخشى

بشدة أنهن قد حُطفن.

- وربما لم يحدث ذلك. تعلم لانا أن التجول بين الجبال بحثًا عننا لن يؤدي

إلى أي شيء. من الأفضل أن تنطلق إلى نقطة التجمع. هنا.

- إذا أين هن؟

لم يجب ألك، فقد جذب انتباهه شيء ما في الحقل.

همس أخيرًا، والغموض يحيط بصوته الأجش:

- قد يكون كلانا على حق.

- ماذا؟

- ابق منخفضًا واتبعني.

زحف ألك على يديه وركبتيه حول الشجرة، موازيًا لخط الأشجار

والشجيرات. قلده مارك وتبعه إلى الحقل، متأكدًا من أن البرج ستقتحم

المشهد في أي لحظة ببنادق السهام فوق رأسيهما. واصلا السير في الطريق

الذي لا يكاد يُرى، الذي افترض مارك أن ترينا والأخريات قد سرن عبره.

اعتقد في البداية أن البرج قد هبطت في الحقل، ولكن لم يكن هنالك أي أثر

لذلك على الإطلاق، فقد نمت النباتات هنالك بكثافة.

شق ألك طريقه عبرها لنحو ثلاثين قدمًا ثم توقف. أطلَّ مارك برأسه من وراء الرجل ليرى بقعة كبيرة تحطمت فيها الشجيرات وسُجِّقت. علامة واضحة على الصراع. وارتجف قلبه.

كان كل ما أمكنه قوله:

- لا!

انخفض رأس ألك، ثم هبط ليميل أكثر، وقال:

- كنتَ على حق. شخص ما أخذهن إلى هنا دون شك. انظر، الشجيرات مسحوقة بشدة على الجانب الآخر، وكأنَّ عشرين شخصًا قد ساروا عبرها.

اضطر مارك إلى كبت زعره مرة أخرى.

- ماذا نفعل إذا؟ أنعود للاختباء أم نلاحقهم؟

- اخفض صوتك يا فتى وإلا سيحاصروننا أيضًا.

همس مارك قائلًا:

- لنعد أدراجنا ونعيد تنظيم موقفنا، ونقرر ما سنفعله.

انتابته رغبة في مطاردة الأثر، لكن الجانب الأكثر حكمة داخل عقله أنبأه بأنهما بحاجة إلى التفكير في الأمر من البداية.

- ليس لدينا وقت لـ...

قاطع الرجل صوت مرتفع، انفجار معدني اخترق الهواء كمدفع. سقط مارك على بطنه، متوقعًا أن تنهار جدران الوادي فوقه.

سأل:

- ما هذا؟

ولكن قبل أن يتمكن ألك من الإجابة، علا الصوت ثانية. انفجار سريع يخرق الأذان قد أرجف الأرض، لتستمر في الارتجاج حتى بعد توقف الضوضاء، اهتزاز شديد رققت له الشجيرات من حولهما. نظر مارك وألك بعضهما إلى بعض، غير واثقين مما يجري.

وهز الضجيج الهواء مرة أخرى، وبدأت الأرض تحتتهما تعلو فجأة نحو السماء.

الفصل الثلاثون

قفز مارك واقفًا، جاذبًا ذراع ألك. اهتزت كل المنطقة المحيطة بهما وهي ترتفع، واستجمع مارك كل قواه حتى لا يسقط مجددًا. كان يعلم أن ما يحدث الآن مستحيل، مما جعله يتشكك في حالته العقلية. ولكن الأرض عند أقدامهما كانت ترتفع ببطء وتميل. نظر حوله باهتياج، مصعوقًا ومرتبكًا وغير عالم بكيفية التصرف، وبدأ ألك في نفس المأزق. ثم أفاق مارك من هذه الحالة أولًا. صفا عقله ولاحظ عدة أشياء في آنٍ واحد.

أولًا: لم يكن الوادي بأكمله يعلو نحو السماء بسبب زلزال أو لتزحزح هائل لقشرة الأرض. كانت مجرد منطقة صغيرة... الحقل الذي يقفان فيه. كانت الأشجار المحيطة بهم لا تزال ساكنة وهادئة، ولم يمايل الأغصان سوى بعض من الريح. ثانيًا: أن ميل الأرض المتحرك البطيء -المتزايد باطراد- جعله يدرك أن نصفها كان في الواقع ينزلق إلى الأرض، وكل هذه المساحة بدت دائرية الشكل. ثالثًا: كان هناك صوت صرير معدني خافت.

صرخ وهو يركض مع ألك:

- كل هذا من صنع بشر! إنه يتأرجح منفتحًا على محور ارتكاز ما!

أومأ ألك بحدة وأسرع الوتيرة، حيث كانا يجريان جانبيًا باتجاه زاوية المنحدر، بهدف الوصول إلى نقطة حيث يمكنهما القفز من فوق القرص المتحرك للأرض. تحرك القرص ببطء كفى لتحويل زعر مارك إلى فضول. من الواضح أنهما واقفان على باب خفي ما.

مشى مع ألك خطوات قليلة أخيرة، ووصلا إلى جانب الجزء الدوار من الأرض عند نقطة محوره، واضطرا إلى القفز مسافة قدمين لا غير إلى بر الأمان. فارتطما بصف الأشجار وسقطا، متراجعين حيث كانا وراء نفس شجرة البلوط الكبيرة للحماية. رفع مارك رأسه لمشاهدة باقي الحدث. حامت الحافة العليا للجسم الدائري على ارتفاع ثلاثين قدماً في الهواء، وغاصت الحافة السفلى بالكامل في الأرض خارج مجال بصرهما، واستمرت تروسها في الدوران بصريز أصبح أعلى صوتاً الآن.

غمغم ألك:

- يبدو كصوت تقليب عملة.

ووافق مارك على ذلك قائلاً:

- عملة شديدة الضخامة، تتقلب ببطء شديد.

في غضون دقيقة أخرى أو نحو ذلك كانت بقعة الأرض المستديرة قد أصبحت بزواية قائمة، نصفها في الأرض ونصفها في الخارج، مستمرة في الدوران. وسرعان ما كانت الأرض والشجيرات تنحدر رأساً على عقب، وتمكن مارك أخيراً من رؤية الجانب الآخر من العملة، جسم مسطح رمادي يشبه الخرسانة محفور فيه حوز صغير على خطوط كاملة الاستقامة. اقتربت الدائرة الكبيرة من الاستقرار على أرضية الوادي، مواجهة السماء بانتظار ما يهبط عليها، وبُعْثرت الخطاطيف والسلاسل حول الدائرة الرمادية لتأمين أي ما هبط.

فكر مارك: مهبط، مهبط لبرج، أو لعدد منها.

سأل:

- لماذا لا ينزلق التراب والنباتات إلى الجانب الآخر؟ يبدو كسحر.

فأجاب الجندي:

- بيئة زائفة على الأغلب. ليس من العملي إذا كان عليهم الخروج وإعادة

كل شيء لمكانه في كل مرة يستعملون فيها هذا المهبط، أليس كذلك؟

- يبدو حقيقياً بالتأكيد، أو هو حقيقي.

راقب مسحورًا، لا بد من أن عرض بقعة الأرض المتحركة لا يقل عن مثني قدم.

- هل تعتقد أنهم رأونا؟ بالتأكيد لديهم كاميرات هنا.
هز ألك كتفيه قائلاً:

- احتمال وارد. كل ما بوسعنا هو أن نأمل ألا يمعنوا النظر.

مالت بقعة الأرض الآن بزواوية خمس وأربعين درجة، وتساءل مارك بعد دقائق من إغلاق الحفرة في الأرض كلياً عما إذا كان ألك يفكر في نفس الشيء الذي يفكر فيه.

سأله:

- هل يجب أن نفعل ذلك؟ قد تهبط البرج في أي ثانية. تلك هي فرصتنا. بدا الرجل مدهوشاً في البداية، كما لو أن مارك قرأ أفكاره. ثم زحفت ابتسامة مُطلعة على وجهه وقال:

- قد تكون هذه هي الطريقة الوحيدة للدخول، أليس كذلك؟

- ربما. إما الآن وإما...

- ماذا عن الكاميرات والحراس؟ إنها مخاطرة كبيرة.

- ولكن صديقاتنا بحوزتهم.

أوماً ألك برأسه ببطء وقال:

- هذا كلام جندي حقيقي.

- فلنذهب إذًا.

تحرك مارك مقرضًا، متكئًا على الشجرة بينما كان يتسلل حولها. كان عليه أن يتحرك قبل أن يغير رأيه، وكان يعلم أن ألك سيكون في أثره. لا تزال هناك مساحة مفتوحة لنحو خمسة عشر قدمًا بين حواف القرص المتحرك والأرض الحقيقية المحيطة به. ركض مارك إلى اليسار بعد أن تنفس عميقًا لينشط حواسه، متسائلًا عما إذا كانت الطلقات ستضرب من حولهما أو أن الجنود سيخرجون من ظلام الفراغات من حوله مترقبين إياهما، ولكن شيئًا لم يحدث.

وصلا إلى جانب الدائرة. توقف مارك وسقط على ركبتيه على بعد بضعة أقدام، ثم زحف للأمام وهو يختلس النظر من فوق الحافة، ففعل ألك الأمر ذاته، إذ كان كلاهما يتكئ على الكوة. شعر مارك بالغثيان لمعرفته بأن بقعة الأرض المنحدرة كانت فوقهما مباشرة، فإن سقطت للمسافة الباقية فجأة دون سابق إنذار، فستقطعهما إلى نصفين.

كان الظلام قاتمًا في الأسفل، لكن مارك استطاع رؤية طريق مصنوع من معدن فضي -يختفي أغلبه بين الظلال- يطوّق المساحة الضخمة بالأسفل. لم يكن هناك أي مصدر للضوء أو أي علامة على وجود أشخاص. نظر إلى الأعلى، لينزعج من مدى اقتراب حافة الدائرة منهما. كان لديهما بضع دقائق على الأكثر.

قال مارك مشيرًا إلى الممر، إلى إفريز معدني:

- علينا أن ننزل أقدامنا ونتأرجح نحو هذا.

ثم أضاف مبتسمًا:

- أتظن أنك قادر على ذلك؟

كان ألك قد تحرّك بالفعل، وأجابه غامزًا:

- أقدر أكثر منك يا فتى.

زحف مارك على بطنه ونزل بجسمه على حافة الكوة، نازلاً بقدميه في الهاوية وهو متمسك بالحافة، ثم أمسك بطرف الحافة بإحكام، وبدأ بتحريك ساقيه. وتقدّمه ألك بخطوتين. أفلت الرجل طائرًا للأمام ليهبط على الممشى، لينكمش على الأرض وهو يئن، لكنه بدا بخير. قاوم مارك الفكرة التي حاولت اختراق ذهنه... بأنه لن يستطيع الوصول إلى الحافة، أو أنه سيهبط بخرق ويتعثر ليختفي في الظلام. عد إلى ثلاثة في ذهنه، ليزامن ذلك بإحكام مع تأرجح قدميه للخلف، ثم أفلت قبضته وهو يتأرجح للأمام.

حوّل زخم حركته للأعلى بعد إفلاته، ليلقي بنظرة أخيرة عبر الفجوة الهلالية الصغيرة. رأى محركات البرج الدافعة الزرقاء اللامعة ويطننها المعدني يهبطان فوقه من السماء، ثم ابتعد نظره وسقط فوق ألك.

الفصل الحادي والثلاثون

استغرقا لحظة ليفكا اشتباك ذراعيهما وأرجلهما. كان ألك يلعن ويزمجر، وفي مرحلة ما انزلق مارك من الحافة ليسحبه الرجل العجوز إلى الخلف، ثم واصل السب واللعن. وفي النهاية كانا واقفين يصلحان ثيابهما. ثم دوى انفجار ضخم في أنحاء الغرفة بينما كانت الآلية تغلق من فوقهما. غشاهما ظلام تام.

سمع مارك ألك يقول:

- عظيم. لا أرى أي شيء.

فأجاب مارك:

- أخرج الجهاز اللوحي. أعرف أن البطارية قد أوشكت على النفاد، ولكن ليس لدينا الكثير من الخيارات.

بعد دمدمة بالموافقة، أضاءت الغرفة بتوهج شاشة الجهاز اللوحي، ليعود مارك ثانية إلى أنفاق المترو، راکضًا مع ترينا على وهج هاتفه. بدأت الذكريات تتدفق، لتغرقه تمامًا في رعب ذلك اليوم، لكنه طردها من ذهنه. وكان لديه شعور بأن اليوم أو اليومين التاليين سيزودانه بذكريات أليمة طازجة على أي حال. ثم تنهّد وهو يتساءل عما إن كان سيحظى بنوم هانئ ثانية.

قال مارك ناقلًا ذهنه إلى الحاضر وإلى مهمتهما:

- رأيت برجًا تهبط في آخر ثانية قبل أن أتأرجح إلى الأسفل. لذلك نعرف أنه كان لديهم اثنتان على الأقل قبل أن نحطم إحدهما.

كان ألك يصوب ضوء شاشة الجهاز اللوحي في اتجاهات مختلفة ممسطاً المكان.

- نعم، كنت أستطيع سماع تلك المحركات الدافعة. أعتقد أن المهبط ينزل إلى هنا بعد انطلاق البرج، ثم يعود للأعلى ويدور مرة أخرى. من الأفضل أن نسرع قبل أن نحظى بصحبة غير مرغوب فيها.

توقف ألك عن تحريك الجهاز اللوحي، رافعاً إياه لإضاءة مداخل غرفتين على الجانبين المتقابلين لمكان وقوفهما. وقد أظهرت الحزوز في الأرض المكان الذي سحبت البرج إليه من المهبط عند نزوله. وكانت كلتا المساحتين الرحبتين مظلمتين فارغتين.

عرض الممر الذي أحاط بالهاوية في الغرفة المركزية نحو أربعة أقدام، وكان الممر يصدر أصوات صرير في أثناء سيرهما فيه، البنية متماسكة، وعلى الرغم من ذلك لم يهدأ قلب مارك حتى تخطياه تمامًا. توجهها إلى باب مستدير بمقبض عجلة في المنتصف، مثل جزء من غواصة.

قال ألك وهو يسلم الجهاز اللوحي إلى مارك:

- بُنيَ هذا المكان منذ زمن طويل، ربما لحماية مسؤولي الحكومة في حالة وقوع كارثة عالمية. من المؤسف أن أحدًا لم يكن لديه الوقت الكافي ليفرّ إلى هنا، وأنا متأكد أن معظمهم أصبحوا مشويين مثل البقية.

قال مارك وهو يرفع الجهاز اللوحي لكي يفحص الباب:

- جميل. هل تعتقد أنه مقفل؟

كان ألك قد تقدم بالفعل وأمسك بالعجلة بإحكام بكلتا يديه، مستعداً وكأنها لن تتحزحج. ولكن عندما حاول إدارتها، انزلت لنصف دائرة بسهولة، مما جعله ينزاح جانباً ليصطدم بمارك. تعثر الاثنان وسقطا على الممر، ومارك في الأعلى.

قال ألك:

- يا فتى، لقد كنت أقرب إليك اليوم بأكثر مما كنت أمله طيلة حياتي. الآن تأكد من عدم السقوط من الحافة، فأنا أحتاج إلى مساعدتك.

ضحك مارك عندما وقف، ضاغطاً على أمعاء ألك أكثر بقليل عما كان بحاجة إليه.

- خسارة أنك لم تنجب أطفالاً قط أيها العجوز. أتخيل أنك كنت ستصبح
جداً ممتازاً.

أجاب الجندي السابق بفتور وهو يقف:

- نعم. كم كان من الممتع تخيلهم يحترقون جميعاً حتى الموت عندما
يضرِبهم الوهج الشمسي.

عكّر ذلك مزاجه على الفور. شعر مارك بوجهه يعبس عندما جعلته
الكلمات يفكر في والديه وماديسون. ومع أنه لم يعرف على وجه اليقين ماذا
حدث لهم، فإن عقله كان موهوباً في تخيل الأسوأ على الإطلاق.

لا بد أن ألك قد لاحظ ذلك، ليمد يده ويضغط على كتف مارك قائلاً:

- يا إلهي، أنا آسف يا فتى، أقول لك والآن بكل إخلاص يمكن لحشرة قديمة
مثلي الإقرار بأنني آسف على ما قلته للتو. لا أحسبك على الخسارة التي
أحسست بها ذلك اليوم بأي شكل. كان العمل يُعد عائلتي، وهذا وضع
مختلف تماماً، أعلم ذلك جيداً.

لم يسمع مارك الرجل يقول أي شيء مشابه من قبل، فقال:

- لا بأس حقاً. شكراً.

ثم توقف وأضاف:

- يا جدي.

أوماً ألك برأسه ثم عاد إلى العجلة، وأدارها حتى أصدرت صوت نقرة
عالية، وانطوى الباب مفتوحاً، ودوى صوته عند ارتطامه بالحائط.

لم ينكشف شيء في الجانب الآخر سوى الظلام، ولكن صريراً مدوياً
كصوت آلات بعيدة أصبح أعلى صوتاً.

همس مارك:

- ما هذا؟ يبدو أن هناك مصنعاً أو ما شابه ذلك هنا.

وجّه ضوء شاشة الجهاز اللوحي ناحية المدخل المفتوح، كاشفاً عن رواق
طويل اختفى في الظلام.

أجاب ألك:

- مولد الكهرباء، أنا متأكد.

أمسك الجهاز أمامه قائلاً:

- أعتقد أنهم لا يستطيعون العيش هنا دون بعض من الكهرباء على الأقل، وإلا فكيف يعمل هذا الشيء؟

- بالضبط. نحن نعيش في البرية أو في المستوطنات منذ فترة طويلة. هذا يعيد إليّ الذكريات.

- مركبات البرج ومولدات الكهرباء... أعتقد أن لديهم طناً من الوقود المخزن هنا؟ أم أنهم يجلبونه من مكان آخر؟
فكر ألك للحظة وأجابه:

- حسناً، لقد مر عام، ويستغرق الأمر كمّاً ضخماً من الوقود للحفاظ على طَوَاف تلك المركبات. تخميني أنهم يجلبونه.

سأل مارك، على الرغم من أن الإجابة كانت واضحة:

- أسنواصل؟

- نعم.

دخل مارك إلى الرواق أولاً وانتظر ألك لينضم إليه. همس، لكن صوته بدا عالياً في الحجرة الضيقة:

- ماذا نفعل عندما يرانا أحد؟ إن كان لدينا سلاح أو اثنان الآن!

- بالفعل. ليس لدينا الكثير من الخيارات هنا. وليس لدينا الكثير لنخسره. فلنستمر في الحركة ونتعامل مع الأمور كيفما اتَّفَق.

سارا في الردهة حينما دوى صوت معدني وراءهما، وتبعه صرير وهدير تروس. لم يكن على مارك أن ينظر كي يعرف أن المهبط -وفوقه برج كما يفترض- بدأ يغوص للأسفل.

تصرف ألك بهدوء أكثر من مارك. كان عليه أن يميل حتى يُسَمِع صوته وسط كل هذا الهدير:

- دعنا ننتظر لنرى الغرفة التي ستدخل فيها لنختبئ نحن في الأخرى. من الأفضل لنا ألا نعلق في هذا الممر.

قال مارك:

- حسنًا.

كان قلبه يخفق، وأعصابه على حافة الهاوية. أطفأ الجهاز اللوحي، إذ لا يحتاجان إليه مع انبعاث الضوء من الخارج، فعادا عبر الباب وسحباه ليغلقاه، ثم جثما في ظلال الممر بينما كانت البرج الضخمة تهبط. ولحسن الحظ أن قمرة القيادة كانت على الجانب الآخر، لذلك كانت فرصة رؤيتهما ضئيلة. وبمجرد أن أكملت هبوطها، كان هناك المزيد من أصوات الجلجلة والصرير، وبدأت المركبة في التحرك على قضبان إلى الغرفة اليمنى. ركض ألك ومارك إلى الحجرة المقابلة واختبأ في الخلف، مختفيين في الظلام.

كان الانتظار مؤلماً، ولكن في النهاية دخلت البرج إلى بيتها. وعندما توقفت عن الحركة، صعد المهبط العملاق مرة أخرى، ببطء ولكن بثبات. نزل كل من كان على متن المركبة بالفعل، لأن مارك كان يستطيع سماع الأصوات الخافتة وسط الضجيج، ثم صوت الباب المستدير وهو ينفتح.

همس ألك في أذنه:

- هيا. دعنا نتبعهم.

فتسربا من الغرفة وتسللا على طول الممر. كان ركاب البرج قد غادروا باب الخروج، فاستقر ألك بجانبه، وهو يميل لينصت لهم. ألقى بنظرة خاطفة، وبدا مرتاحاً لأن وجودهما لم يُكتشف، أشار لمارك بقوة وتسلل إلى الممر مرة أخرى، وتبعه مارك فيما بدأ المهبط يدور فوقه، بينما تتجه الشجيرات والتراب والأشجار الصغيرة نحو السماء.

تردد صدى الأصوات في الممر أمامهما، ولكنها كانت مشوهة إلى حد لا يمكن تمييزه. أخذ ألك الجهاز اللوحي من مارك ووضعه داخل حقيبة ظهره. ثم أمسك ذراع وبدأ يجذبه إلى الأمام، ماشياً بالقرب من الجدار، وضافت عيناه. قريباً سيفرق كل شيء في الظلام من جديد.

تسللا إلى الممر بحذر خطوة بخطوة. كان من الواضح أن أيًا من جاؤوا قد قرروا التوقف للحديث، لأن أصواتهم أصبحت أكثر وضوحاً كلما واصل مارك

وَألِك سعيهما. بدا وكأنهم اثنان فقط. توقف ألك أخيرًا، وفجأة استطاع مارك سماع كل كلمة.

قالت امرأة:

- ... إلى الشمال مباشرة من هنا. احترق كُفْرين من الطوب. أراهن أن له علاقة بهؤلاء الأشخاص الذين قبضوا عليهم الليلة الماضية. سنعرف قريبًا بما فيه الكفاية.

أجاب رجل:

- نحن أفضل حالًا. كأن الأمور لم تكن سيئة بما فيه الكفاية دون أن نخسر البرج الأخرى. هؤلاء الأوغاد في الأسكا لا يهتمون بنا إطلاقًا. والآن بعدما صار كل شيء غريبًا، أراهن أننا لن نسمع حتى عنهم مرة أخرى.

قالت المرأة:

- لا شك في ذلك. هل تظن أننا يمكننا الاستغناء عنهم؟
- نعم، ولكن لم يكن من المفترض أن يكون هذا حالنا. ليس ذنبنا أن الفيروس يتحور.

توقف المهبط من خلفهما، منتهيًا من الدوران على ما يبدو. كل شيء كان مظلمًا. وبدأ الوافدان الجديدان في السير مبتعدين بخطوات ثقيلة وكأنهما ينتعلان أحذية طويلة الرقبة. أشعل أحدهما مصباحًا كهربائيًا، فتألق شعاعه منيرًا الطريق أمامهما. أمسك ألك بمارك مرة أخرى وتبعاهما، محافظين على مسافة آمنة.

لم يتكلم الغريبان مجددًا حتى وصلا إلى باب. سمع مارك صرخة المفصلات وهي تفتح، ثم قال الرجل شيئًا وهو يدخل إلى غرفة لم يتمكن مارك من رؤيتها.

- لقد أطلقوا عليه اسمًا، بالمناسبة. إنهم يدعونه «الوهج».
ثم أغلق الباب بقوة.

الفصل الثاني والثلاثون

- لم يسمعا الكثير من الاثنين، لكن مارك لم يعجبه ما سمعه.
- الوهج. قالوا إنهم بدؤوا بتسمية الفيروس «الوهج».
- أضاء ألك الجهاز اللوحي مرة أخرى. كشف الضوء عن وجهه، وجه رجل بدا وكأنه لم يبتسم في حياته قط، مليء بالتفضينات والتجاويد. ثم قال:
- نعم. لا يبدو ذلك خيراً. إن سُمِّي شيء باسم مستعار، فهذا يعني أنه منتشر وشهير. ليس ذلك خيراً على الإطلاق.
- نحتاج إلى معرفة ما حدث. هوجم الراقصون حول النار قبلنا، هوجمت مستوطنتهم على الأقل. ربما كانوا حيوانات تجارب بشكل أو بآخر؟
- هكذا لدينا هدفان يا فتى، الأول: العثور على لانا وترينا وتلك الصغيرة اللطيفة. ثانياً: اكتشاف ما يحدث هنا.
- لا يمكن لمارك الاتفاق معه أكثر من ذلك.
- لنتحرك إذن.
- أطفأ ألك الجهاز اللوحي، ليلتف الرواق بالظلام. همس قائلاً:
- تحسَّس بيدك على طول الجدار فحسب، حاول ألا تطأ فوقي.
- وبدأ يشقان طريقهما عبر الممر. أبقى مارك كلاً من خطواته وتنفسه خفيفين، محاولاً التزام الصمت. ارتفع صوت الآلات البعيدة، واهتز الجدار فيما كانت أصابعه تتبع خطأً غير مرئي على طول سطحه البارد. وصلنا إلى نقطة أطرَّ فيها الضوء المستطيل الخافت الباب الذي دلف إليه الغريبان

راكبا البرج. تردد ألك قبل المضي قدماً، ثم هرع على أصابعه، وكان ذلك أقل تصرّف عسكرياً رآه مارك.

قرر مارك التشجّع أكثر، فتوقف أمام الباب واتكأ، ضاغطاً بأذنه عليه.

قال ألك بهمس قاس:

- ليس ذلك ذكياً.

لم يستجب مارك، مركزاً على ما يمكنه سماعه. كلمات مكتومة يستحيل فهمها، ولكن المناقشة بدت محتدمة بعض الشيء.

قال ألك:

- هيا بنا. أريد أن أستكشف قبل أن يلقي بنا أحدهم في سجنٍ ويرمي مفتاحه.

أوماً مارك برأسه، على الرغم من أنه شكك في قدرة الرجل على رؤيته بوضوح. ابتعد عن الباب واستأنف مركزه إلى جانب الجدار المقابل ويده تضغط عليه. ظلا يسيران، وسرعان ما أظلمت الأجواء ثانية، إذ غادرا النور الخافت الذي يتسرب من حول حواف الباب.

امتد الرواق وصمت العالم باستثناء هدير الآلات. لم يستطع مارك معرفة متى حدث ذلك بالضبط، لكنه أدرك أنه يستطيع الرؤية مجدداً. توهج الهواء بلون أحمر غامض، بما يكفي لألك أن يبدو كشيطان يتسلل أمامه. رفع مارك يده وهزّ بأصابعه، فبدت وكأنها ملوثة بالدماء. وبافتراض أن ألك لاحظ ذلك أيضاً، فإنه لم يقل أي شيء، وتابع السير.

وصلا في النهاية إلى باب كبير موارب قليلاً في الجدار الأيسر، معلق فوقه مصباح أحمر مغطى بقفص سلكي. توقف ألك وحدق إلى الأمام وكأنه ينتظر من أحد ما أن يشرح له ما ينتظره في الداخل. تصاعدت الضوضاء الصادرة عن الآلات، وأصبحت تملأ الهواء لدرجة جعلت مارك لا يستطيع أن يهمس أو يُسمع.

قال:

- أظن أن هذا يجيب عن سؤالنا عن المولدات.

بدأ رأسه يؤلمه فيما وراء عينيه، وصُدِم من شدة شعوره بالإرهاك، فهما مستيقظان ليوم ونصف حتى الآن.

- ربما يكون هذا هو مكانهم. افتح الشيء الغبي فحسب.

نظر ألك إليه وقال:

- الصبر يا فتى. احذر، فالجندي المتعجل هو جندي ميت.

- والجندي البطيء يعني أن ترينا والباقيات سيُمتن.

وبدلاً من الرد، مد ألك يده وفتح الباب، ليدلف إلى الرواق. ارتفعت أصوات الآلات بعض الشيء، وتدفقت موجة من الحرارة من حولهما، إلى جانب رائحة الوقود المحترق.

قال ألك:

- أوه، يا رجل، لقد نسيت مدى سوء تلك الرائحة.

أغلق الباب بحذر وأكمل:

- نأمل أن نجد شيئاً أكثر فائدة عما قريب.

كان الباب المجاور على مسافة عشرين ياردة، ثم آخر على بعد ثلاث ياردات إضافية، وباب أخير أمامهما عند نهاية القاعة. كل باب منها مفتوح بنحو ثلاث بوصات، مضاء بمصابيح مغطاة بأقفاص مثل غرفة المولد. إلا أن تلك الأضواء كانت صفراء وبالكاد كانت تضيء.

همس مارك قائلاً:

- كون الأبواب مفتوحة شيئاً مخيفاً، كما أن الغرف مظلمة بشدة.

سأل ألك:

- ماذا تقصد؟ هل أنت مستعد لأن تعود أدراجك وترجع إلى البيت؟

- لا... لا. فقط أقول إنك يجب أن تدخل أولاً.

ضحك ألك، وحرك قدمه ليفتح الباب الأول، الذي اندفع إلى الداخل. صدر عنه صوت معدني بينما افتقرش الضوء الأصفر الخافت الأرض من الداخل، لكنه لم يكن كافياً للكشف عن أي شيء آخر. توقف الباب برعدة ناعمة، ثم ساد الصمت.

أصدر ألك صوتاً مستاءً وذهب إلى الغرفة المجاورة بدلاً من دخول الغرفة الأولى. ركل ذلك الباب بخفة، وكانت النتيجة مماثلة. الظلام هو الأغلب بلا

أثر للناس وبلا أصوات. ذهب إلى الباب المجاور وركله ليفتحه، ثم إلى الباب الأخير في نهاية الردهة. لا شيء.

قال:

- أعتقد أنه من الأفضل أن ندخل.

ثم استدار إلى مارك وهز رأسه أمرًا إياه بوضوح باتباعه إلى الغرفة الأخيرة. وسرعان ما اقترب مارك منه، مستعدًا لفعل ما طُلب منه. وصل ألك إلى حافة الإطار، وبحث عن مفتاح إضاءة، لكنه لم يجد شيئًا، ثم دخل ومارك من خلفه مباشرة. وقفا هناك للحظة، منتظرين أن تتكيف أعينهما، باحثين في الظلام.

تنهد ألك أخيرًا وأخرج الجهاز اللوحي مرة أخرى.

- ما الهدف من المولدات الكهربائية إذا لم تُشغَّل أي من الأضواء؟ لن يعمل هذا الشيء لفترة أطول.

ثم ضغط على زر التشغيل.

ألقي الضوء المنبعث من الجهاز توهجًا أزرق عبر الغرفة الكبيرة - الأكبر مما تخيله مارك - كاشفًا صفاً طويلاً من الأسرة المعلقة تغطي كلا الجدارين، ربما عشرة على كل جانب، وكانت جميعها فارغة باستثناء واحد، في النهاية تقريبًا، حيث جلس شخص مدلى الكتفين يولي ظهره إليهما، بدتا ككتفي رجل عجوز. شعر مارك بالبرودة تجتاح جسده عند رؤيته. في ذلك الضوء الخافت والغرفة شبه الخالية والصمت الضاغط... شعر كما لو كان يحرق إلى مؤخرة رأس شبح بانتظار أن يتلفظ بمصيرهما المحتوم. لم يتحرك الشخص، لم يصدر صوتًا.

صاح ألك بصوت مرتفع وسط الصمت:

- مرحبًا؟

هز مارك رأسه لينظر إليه مصدومًا.

- ماذا تفعل؟

كان وجه ألك مخفيًا في الظل منذ أن وجَّهت شاشة الجهاز اللوحي إلى أسفل الغرفة. وهمس قائلًا:

- أتصرف بتهذيب. سوف أسأل هذا الرجل بعض الأسئلة.

ثم قال بصوت أعلى:

- مرحبًا؟ هل تمانع في مساعدتنا؟

فأجابه صوت ضعيف متهافت، صوت بدا لمارك أنه لرجل على فراش الموت. كانت كلماته عبارة عن خليط من المقاطع غير المفهومة.

سأل ألك:

- ما هذا؟

لم يتحرك الرجل، ولم يرد. جلس على سريره على عكس اتجاه وقوفهما، حطام إنسان، برأس وكتفين متهدلتين.

فجأة، كان على مارك أن يعرف ما قاله، وبدأ يمشي في الممر متجاهلاً نوبة احتجاج ألك القصيرة. وبينما شقَّ طريقه نحو الرجل، والمسافات بين الأسرة تمرُّ سريعًا، سمع ألك يسارع إلى اللحاق به، وكان الضوء المنبعث من الجهاز اللوحي يتأرجح حوله ويصنع ظلًا غريبة ترقص على الجدران.

تباطأ مارك عندما اقترب من الرجل المتهدل، شعر بالجليد يزحف على جلده. كان الرجل الغريب عريض الكتفين والصدر، لكن سلوكه جعله يبدو ضعيفًا ومثيرًا للشفقة. حافظ مارك على مسافته لعدة أقدام وهو يصل إلى جانب الرجل، رأى وجهًا متدليًا مغطى بالظلال.

سأل مارك عندما أصبح أمام الرجل:

- ماذا قلت؟

وصل ألك إلى جانبه ورفع الجهاز اللوحي لإلقاء الضوء على الغريب البادي عليه الاكتئاب بوضوح. جلس الرجل أمامه ومرفقاه على ركبتيه، ويدها ملتصقتان معًا، وكامل جسمه يبدو كما لو كان يذوب ويتقطر على الأرض.

رفع الرجل عينيه ببطء ونظر إليهما، ومال رأسه إلى عنقه كآلة صدئة. كان وجهه كثيبًا وطويلاً ومتغضنًا أكثر مما ينبغي. عيناه كهفان مظلمان لم يبدُ النور قادرًا على اختراقهما.

قال بصوت أجش:

- لم أرد أن أتخلى عنها. يا إلهي، لم أكن أريد ذلك. ليس لهؤلاء المتوحشين.

الفصل الثالث والثلاثون

كان لدى مارك أسئلة عدة لم يستطع إخراجها بالسرعة الكافية.
سأل:

- ماذا تقصد؟ من الذي تخلّيت عنه؟ ماذا يمكنك أن تخبرنا عن هذا المكان؟ ماذا عن الفيروس؟ هل تعرف أي شيء عن امرأتين وفتاة صغيرة مأسورات بالخارج؟

توقف قليلاً ليبتلع كتلة بحجم كرة الجولف في حنجرته ويتباطأ:

- اسم صديقتي هو ترينا. شعر أشقر، في عمري. وهناك امرأة أخرى وفتاة. هل تعرف شيئاً عنهن؟

أنزل الرجل نظراته إلى الأرض مرة أخرى وتنهد بشدة.

- أسئلة كثيرة جداً.

كان مارك محبطاً جداً حتى إنه اضطر إلى أن يتمالك نفسه لثانية. أخذ نفساً عميقاً ومشى ليجلس على السرير المواجه للغريب ذي الصوت الأجش. ربما كان العجوز مشوّشاً. إطلاق كل هذه الأسئلة ربما لم يكن الأسلوب الأدكى. نظر مارك إلى الأعلى ليرى أن ألك كان مدهوشاً قليلاً من انفجاره بالكلام، لكنه هز رأسه بعد ذلك وانضم إلى مارك على السرير. وضع ألك الجهاز اللوحي على الأرض بحيث تركز توهجه للأعلى، معطياً الجميع هذا المظهر شبه الشيطاني الذي تحصل عليه عندما تضع مصباحاً كهربائياً تحت ذقنك.

سأل ألك بإحدى نعماته اللطيفة، ومن الواضح أنه توصل إلى نفس النتيجة التي توصل إليها مارك، أن هذا الرجل على حافة الجنون وينبغي أن يتعاملا معه بحذر:

- ماذا يمكنك أن تخبرنا؟ ما الذي حدث هنا؟ كل الأضواء مطفأة، لا أحد هنا. أين الجميع؟

كان الرجل يئن رداً على ذلك، ثم غطى وجهه بكلتا يديه.
تبادل ألك ومارك النظر.

قال مارك:

- دعني أحاول مرة أخرى.

انحنى إلى الأمام، وقفز إلى حافة السرير ووضع ذراعيه على ركبتيه.

- يا رجل، ما اسمك؟

أسقط الغريب يديه، واستطاع مارك -حتى في ضوء خافت كهذا- أن يرى أن عينيه رطبتان بالدموع.

- اسمي؟ هل تريد أن تعرف اسمي؟

- نعم. أريد أن أعرف اسمك. حياتانا في نفس سوء حياتك، أقسم لك. أنا مارك وهذا صديقي ألك. يمكنك الوثوق بنا.

فأطلق الرجل صوتاً خافتاً، ثم اجتاحت نوبة قصيرة من السعال اهتز له جسده، وأخيراً قال:

- اسمي أنطون. ولكن هذا لا يهم.

كان مارك خائفاً من المتابعة. هذا الرجل يمكنه أن يحمل الكثير من الإجابات عن الكثير من الأسئلة، ولم يُرد أن يفسد هذه الفرصة.

- اسمع... لقد أتينا من إحدى المستوطنات. ثلاث من صديقاتنا حُظفن

في الوادي فوق هذا المكان. وهاجم قرينتنا أحد الأشخاص هنا، كما نعتقد. نريد فقط أن نفهم ما يحدث، وأن نعيد صديقاتنا، هذا كل شيء.

شعر كأنَّ ألك على وشك أن يقول شيئاً ويصوب إليه نظرة ليخرس، فأكمل:

- هل من شيء يمكنك إخبارنا به؟ مثل... ما هو هذا المكان؟ ما خطب مركبات البرج والسهام والفيروس؟ ماذا حدث هنا؟ أي شيء تستطيع الإجابة عنه.

بدأ شعور بالضجر يثقل كاهله، لكنه أرغم نفسه على التركيز على الرجل أمامه، آملاً في الحصول على أجوبة.

أخذ أنطون أنفاساً قليلة وعميقة، فسقطت دمعة من عينه اليمنى. وأخيراً قال:

- اخترنا مستوطنة قبل شهرين... على سبيل الاختبار. لم تغير النتائج المأسوية الخطة الشاملة في النهاية، لكن الفتاة غيرت كل هذا بالنسبة إليّ. العديد من الموتى، لكن الناجية هي من جعلتني أدرك فظاعة ما فعلناه. كما قلت، لم أردهم أن يعيدوها لأناسها اليوم. ذلك حينما أدركت أنني لن أستمّر في ذلك، رسمياً.

أدرك مارك:

- ديدي، لا بد أنها ديدي. ولكن ماذا عن ترينا ولانا؟
حثّه على الحديث:

- أخبرنا بما حدث.

يشعر بذنبه يتعاظم مع مرور كل لحظة لا يبحثان فيها بنشاط عن صديقاتهما، لكنهما كانا بحاجة إلى معلومات، وإلا لن يعثروا عليهن أبداً.

- من البداية.

بدأ أنطون يتحدث بصوت بدا وكأنه يأتي من مكان بعيد:

- كان ائتلاف ما بعد الوهج في ألاسكا راغباً في شيء ينتشر بسرعة ويقتل بسرعة. فيروس طوره بعض الوحوش في الأيام الخوالي قبل أن تشتعل الشمس وتحرق كل شيء. قالوا إنه يُبطل العقل، وقالوا إن الغيبوبة الفورية تجعل الأجساد عديمة النفع ولكنها تسبب نزيفاً هائلاً يمكن أن ينتشر إلى القريبين. ينتقل عن طريق الدم، لكنه ينتشر بالهواء أيضاً عندما تكون الظروف مناسبة. إنها وسيلة جيدة للقضاء على المستوطنات المُجبرة على الحياة في أماكن مغلقة.

خرجت كلمات الرجل دون عائق أو تغيير في الصوت. وكان عقل مارك يزداد خدرًا من الإرهاق، ووجد صعوبة في متابعة التفاصيل. كان يعلم أهمية ما يسمعه، لكنه لم يستطع تجميع الكلمات جيدًا. كم بقي مُستيقظًا؟ أربع وعشرون ساعة؟ ست وثلاثون؟ ثماني وأربعون؟

- ... قبل أن يدركوا أنهم أفسدوا الأمور بشدة.

هز مارك رأسه مرة أخرى. لم يسمع جزءًا من كلام أنطون.

سأل ألك:

- ماذا تقصد؟ كيف أفسدوا الأمور؟

سعل أنطون، ثم نشق ومسح بيده على أنفه.

- الفيروس، لم يعمل بشكل صحيح، ولم يؤثر بالشكل المطلوب على من

اختبر عليهم خلال الشهرين الماضيين، لكنهم مضوا قدمًا في الخطة

على أي حال، قائلين إن ما تبقى من موارد الكوكب قد استنفدت. كل ما

فعلوه هو زيادة الجرعة في تلك السهام. هؤلاء الأوغاد يحاولون القضاء

على نصف السكان. النصف!

كاد مارك أن يصرخ:

- ماذا عن الفتاة الصغيرة؟ هل كانت معها امرأتان؟

لا يبدو أن أنطون سمع أيًا مما قاله مارك أو ألك:

- قالوا إنه سيُعتنى بنا بمجرد تنفيذ الخطة، إنهم سيعيدوننا جميعًا

إلى ألاسكا ويوفرون لنا المنازل والطعام والحماية. دع نصف العالم

يموت وسنبدأ من جديد. لكنهم فشلوا، أليس كذلك؟ عاشت تلك الفتاة

الصغيرة على الرغم من أنها ضربت بسهم. لكن الأمر أكبر من ذلك،

ليس الفيروس ما اعتقدوه. ينتشر كالنار في الهشيم. من المؤسف أن

له عقلًا خاص به، واعدروني على الدعابة.

أطلق ما بدا وكأنها ضحكة، لكنها سرعان ما تحولت إلى سعال حاد.

وبكى بحرقة فجأة، ثم سقط على جنبه أخيرًا ورفع ساقيه إلى الأعلى على

السرير، ملتويًا في موضع الجنين، وارتجفت كتفاه وهو يبكي.

قال من وسط بكائه:

- لقد أُصبت به. أنا متأكد من ذلك. لقد أُصينا به جميعًا. لقد أُصبتم به أيضًا بلا شك يا أصدقائي. لقد أُصبتم بالفيروس. أُخبرت زملائي في العمل بأنني لا أريد أي شيء يربطني بهم ثانية، وتركوني هنا بمفردي، يناسبني ذلك جدًّا.

شعر مارك بأنه كان يراقب المشهد كله من خلال ضباب. لم يستطع التركيز. حاول أن يخرج من هذه الحالة ليقول:

- هل لديك أي فكرة عن مكان وجود صديقاتنا؟

ثم سأل بهدوء أكثر:

- أين زملاء عملك؟

همس أنطون:

- إنهم جميعًا بالأسفل. لم أعد أستطيع تحمل ذلك. أتيت إلى هنا لأموت أو أجن، أو كلاهما، على ما أعتقد. أنا سعيد لأنهم تركوني.

كرر ألك:

- بالأسفل؟

أجاب أنطون:

- بالأسفل في المخبأ.

وصار صوته أكثر هدوءًا بينما انحسر بكاؤه:

- إنهم هناك، يخططون. خططوا للثورة في آسِثِل، ليجعلوهم يعرفون أننا غير راضين عمَّا سارت إليه الأمور. إنهم يريدون إكمال تمردهم حتى ألاسكا.

نظر مارك إلى ألك، الذي كان يحدق إلى أنطون. يبدو أن كل ما قاله الغريب المسكين كان أكثر غرابة ممَّا قبله.

سأل مارك:

- ثورة؟ ولماذا آسِثِل؟ ومن هؤلاء الناس؟

أجاب الرجل، وكلماته لا تكاد تفهم، مجرد حشرجات ضعيفة:

- أشقِل هي آخر ملاذ آمن في الشرق. جدران وما إلى ذلك، على الرغم من تدايعها، وهؤلاء زملائي في العمل، جميعهم وُظفوا من قبل ائتلاف ما بعد الوهَج القادر على كل شيء. ويريد زملائي المحترمون إسقاط رؤسائهم قبل هروبهم، وقبل أن يعودوا إلى ألاسكا باستخدام الناقل المسطح.

قال ألك:

- أنطون، اسمعني. هل هناك شخص آخر يمكننا التحدث معه؟ وكيف يمكننا معرفة أي شيء عن الصديقات اللاتي نبحت عنهن؟ الفتاة والمرأتان.

سعل الرجل، ثم انبعثت بعض الحياة في صوته:

- هؤلاء الذين أعمل معهم بدؤوا يفقدون عقولهم. هل تفهم؟ إنهم... ليسوا... سليمين. سيكونون هناك لساعات، يخططون. سيذهبون إلى أشقِل، وسيجمعون جيشًا على طول الطريق إذا تطلب الأمر ذلك. هناك من يتحدث عن ترياق، لكن ذلك مجرد هراء. في النهاية سيحرص قومي على ألا يحصل الآخرون على ما حُرّموا هم منه، الحياة. وأنت تعرف ماذا سيفعلون بعد ذلك. تعلم، أليس كذلك؟

قال مارك وألك في نفس الوقت:

- ماذا؟

صعد أنطون على كوع واحد. زاوية الضوء من الجهاز اللوحي أخفت نصف وجهه في ظلال السرير، والنصف الآخر يتوهج بلون أزرق شاحب. بدت عينه المضاءة كما لو كانت شرارة أضيئت داخل مقلتها.

قال الرجل:

- سيذهبون إلى ألاسكا مستقلين هذا القطار في أشقِل. سوف يذهبون إلى حيث اجتمعت الحكومات وسيعملون على إنهاء العالم، حتى إن كانوا لم يقرروا ذلك. سيواصلون البحث عن ترياق وعزل الحكومة المؤقتة. لكن كل ما سيفعلونه حقًا هو نشر الفيروس لمرّة أخيرة، والتأكد من إنهاء ما بدأه الوهج الشمسي. هؤلاء الحمقى، جميعهم.

انهار أنطون عائداً للتكؤم في الفراش، وبعد ثوانٍ معدودة ملأت أصوات شخيرته الغرفة.

الفصل الرابع والثلاثون

جلس مارك وألك في صمت لمدة طويلة، يستمعان إلى أصوات شخير
ونخير أنطون في أثناء نومه.

قال ألك بعد فترة:

- لست متأكدًا من أننا يمكن أن نثق كثيرًا بما خرج من فم هذا الرجل.
لكنني قلق، على أقل تقدير.

أجاب مارك بصراحة:

- نعم.

كان رأسه يدوي ويشعر بالغثيان حتى النخاع. لم يتذكر آخر مرة شعر
فيها بكل هذا التعب. ولكن كان عليهما النهوض والخروج من تلك الغرفة،
والعثور على ترينا والأخريات.

لم يتحرك.

قال ألك بعد أن التفت لمواجهته:

- يا فتى، إنك تبدو كالموتى الأحياء. وأشعر كأنني أحدهم.

قال مارك مرة أخرى:

- نعم.

- لن يعجبك ما أنا على وشك أن أقوله، ولكن لن يكون هناك أي جدل.
رفع مارك حاجبيه. حتى ذلك بدا أنه يستهلك كل طاقة لديه.

- وما هذا؟

- نحتاج إلى النوم.

- لكن... ترينا... ولانا...

فجأة لم يستطع تذكر اسم الفتاة الصغيرة. مستحيل. كان رأسه يخفق
كعاصفة اندلعت داخل جمجمته.

وقف ألك وقال:

- لن ننفع صديقاتنا بأي شيء إذا لم نستطع العمل من فرط تعبنا. سوف
نغفو قليلاً، ربما لساعة لكل منا بينما يبقى أحدنا للحراسة. قال أنطون
إن زملاءه في العمل سيعقدون اجتماعاً لساعات.

نهض من السرير ومشى بسرعة إلى باب الغرفة، ثم أغلقه بالقفل.

- احتياط أمان فقط لا غير.

مال مارك على جانبه، ثم وضع رجليه ببطء على السرير، وثنى ذراعيه
تحت رأسه. أراد أن يحتج ولكن لم يخرج منه أي صوت.

بدأ ألك في الحديث مجدداً:

- سأخذ الساعة الأولى، لذا...

لكن مارك نام قبل أن يسمع المزيد.

أنت الأحلام والذكريات، أكثر وضوحاً من أي وقت مضى، كما لو أن عمق
إرهاقه قد خلق لها شاشة عرض مثالية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل الخامس والثلاثون

هناك تلك اللحظة القصيرة التي تبدو وكأنها تدوم مدى الحياة، عندما يرى مارك جدار الماء يتسارع مندفعًا على سلاالم المحطة الفرعية كتدافع خيول بيضاء طائشة. يتساءل عن ألف شيء، كيف وصل إلى هناك، وما الذي حدث فوقهم في المدينة، وهل ماتت عائلته، وماذا يخبئ المستقبل، وما هو شعور الغرق.

تخترق كل هذه الأفكار عقله في الثانية التي استغرقها الماء لكي يصل إلى أسفل الدرج، ثم يمسك أحدهم ذراعَه ويسحبه في الاتجاه المعاكس، مجبرًا رأسه على الابتعاد عن الكارثة القادمة. يرى ترينا تمسك به، والرعب النقي يشعُّ من عينيها بشكل مريض ليعيده إلى وعيه.

يعدو بشكل جنوني، ممسكًا ذراعها هذه المرة، ويحرص على بقائهما معًا. يسبقانها ألك ولانا مباشرة، يتحركان بسرعة، يمران قبالة المجرمين الذين حاولوا الاعتداء عليهم، الأمر الذي يبدو الآن شديد السخافة وشائنًا لدرجة تُغضب مارك من جديد. وتمر اللحظة، ويستمر في الجري إلى أسفل النفق، وترينا إلى جانبه. يلقي نظرة سريعة إلى الوراء، ويرى باكستر ودارنل والعُلجوم ومستي، كلهم يتبعونهما، أعينهم مطلية بنفس خوف ترينا، بنفس الخوف الذي يشعر به مارك نفسه.

يعيد صوت عظيم في الهواء مارك لذكرى زيارة عائلته لشلالات نياجرا. الناس يصرخون والأشياء تتكسر والزجاج يتحطم. لا يبدو ألك كرجل مسن وهو يركض مارًا بحافة بسطة المحطة البعيدة ويعود ليسقط في ظلام نفق

بحجم القطار. لا يمكن أن يكون لديهم الكثير من الوقت، ويدرك مارك مع صدمة الرعب أنه عهد بحياته كاملة إلى شخصين أمامه، وأن ذلك هو الفيصل، سيكون إما حياً وإما ميتاً خلال دقائق.

يصرخ شخص ما خلفه، ثم يُضرب بشدة في كتفه فيتعثّر. عدل من وضعه وترك ترينا، التي لا تستطيع إيقاف زخم حركتها لتمضي قدماً. ينظر مارك إلى الوراء ويرى شيئين: سقطت مستي على الأرض، وتدفقت المياه على قضبان المترو من المحطة. يندفع طوفان الماء من الشوارع أعلاه فوق البسطة ويتسرب إلى داخل النفق الواسع، كل هذا على بعد بضع عشرات من الأقدام.

كان عمق الفيضان بضع بوصات عندما غمر جسد مستي، تدفع نفسها عن الأرض لكي تقوم، فيميل مارك إلى الأمام للمساعدة حين تصرخ مستي فجأة وتقفز واقفة كما لو أن الماء مشحون بالكهرباء.

تصرخ وهي تمد يدها وتضغط على يد مارك:

- إنها ساخنة!

ينعطفان ويهتمان بالجري من جديد، فيتدفق الماء عبر أقدامهما. يتسرب من خلال حذائي مارك وجواربه أسفل بنطاله، ويشعر بدفئه ثم بكامل حرارته. يقفز كمن دخل مغطساً درجة حرارته شديدة الارتفاع، مثيرة للأعصاب وساخنة بما يكفي لحرق جلده.

ولا تزال المجموعة تجري عبر النفق، وتبذل قصارى جهدها لعبور النهر الأخذ في الارتفاع. يرتفع لقدمين فجأة، ولا يستطيع مارك أن يصدق سرعة حدوث ذلك. تتحرك المياه متجاوزة ركبتيه مع ازدياد سرعتها الآن... عليه أن يثبت قدميه بحزم أكبر ليمنعهما من الانجراف من تحته. يلاحق ترينا والآخرين على بُعد بضعة أقدام. إنهم لا يركضون الآن، يكافحون مستعملين كل قوة أجسادهم ليندفعوا خطوة بخطوة بحذر.

كادت المياه تصل إلى أعلى فخذ مارك، وهو يعلم أن التيار على وشك كسب المعركة ضدهم جميعاً.

إنها تحرق، وتقشر جلده. يرتجف من الألم.

يصرخ ألك:

- هنا!

مكافحًا ضد النهر الهائج، يحارب التيار، ويتقدم إلى اليسار. هناك مجموعة قصيرة من السلالم، ودرابزين على كلا الجانبين، تؤدي إلى رصيف وباب.

- يجب أن نصعد إلى هناك!

ويتحرك مارك في ذلك الاتجاه، فيرسِّخ قدميه واحدة تلو الأخرى، معيّدًا تحديد موقعه مع كل خطوة، وتفعل ترينا نفس الشيء. لانا وصلت إلى هناك بالفعل. باكستر ومستي ودارنل والعُلجوم كلهم خلف مارك، يشقون طريقهم أيضًا. لن يستطيعوا الصمود لفترة أطول في وجه التيار. هدير الماء يصم الأذنان، لا يحطمه إلا كلام ألك والصراخ من الخلف في المحطة، ويردد صداه جدران النفق. انخفضت هذه الضجة إلى حد كبير، ويعلم مارك سبب ذلك، فقد مات معظم الناس.

وكان التفكير يجعل الأمور حقيقة، تصطدم جثة بركبة مارك، ثم يضربها النهر بسياطه... امرأة، وجهها أزرق بلون الموت، يؤطر جسدها كتلة عائمة من الشعر، تدور ببطء وهي تندفع إلى عمق النفق الأسود وراءها، ثم المزيد، يدرك مارك أن بعضهم أحياء، إلا أنهم لا يتحركون... هم أموات غالبًا، فالأحياء يرفعون أذرعهم وأرجلهم، محاولين السباحة أو التشبث بالأرض. عبر خاطر بذهن مارك أن يساعدهم، أن يمسك بأيديهم، لكن الوقت قد فات، سيكونون محظوظين إن نجوا بأنفسهم.

وصل ألك إلى السلالم، وأمسك بالدرابزين، وصعد درجتين. تحرك مارك بخطوة بطيئة أخرى إلى الأمام، والماء يصل إلى خصره الآن، يحرقه، يشويه. يميل ألك إلى الأسفل ويساعد لانا على صعود الدرج. ثم تصعد ترينا وتمسك بيده. ها هي تصعد. مارك هو التالي، يأخذ خطوة مرتجفة أخيرة ليمسك بذراعي العجوز الذي ينقذ حياته مجددًا. يندفع جسده للأمام بينما يسحبه ألك بقوة ليصبح على الدرج، يكاد يسقط على وجهه. تمسك به ترينا وتعانقه. ينجو العُلجوم، ثم دارنل، ثم مستي. كلهم على قمة السلالم القصيرة على المهبط ما عدا ألك، مجتمعين أمام الباب. يكافح الولد الصغير باكستر. يصد

الخبجل مارك فجأة عندما أدرك أن الفتى لا يزال هناك، إنه على بعد ستة أقدام من متناول ألك، وأن الماء يصطدم بجانبه مرتفعًا أكثر فأكثر ليصنع وجهه الخائف.

نزل مارك الدرج بينما كانت ترينا تنادي باسمه. يقف إلى جانب ألك، يتساءل عمًا سيفعله. تتدافع الجثث من أمام باكستر، ويرى مارك قدمًا شاردة تضرب الطفل في كتفه، رأس يطفو خارجًا من النهر إلى جواره مباشرة، يقذف بالماء، ثم يختفي في الأسفل.

يصرخ ألك في باكستر:

- اخطأ.

يستجيب الفتى، ويفعل كما قيل له، ثم يخطو خطوة أخرى. هو الآن في متناول اليد تقريبًا، لكن الماء يضرب ظهره. يبدو مستحيلًا أنه لم يُجرف بعد. مارك يصرخ مشجعًا هذه المرة.

- خطوتان أخريان فقط لا غير.

يتحرك باكستر إلى الأمام وفجأة يتعثر ووجهه للأسفل. يقفز ألك نحوه، ويمسك ذراع الفتى بينما يقبض التيار على كليهما، مستعدًا لجرفهما إلى الظلمات. يرى مارك كل الأحداث تتسارع، ويتفاعل قبل أن يجد الوقت للتفكير. يمسك الدرايزين بيده اليسرى ويندفع بيمينه للأمام، ويمسك بكُم قميص ألك قبل أن ينجرف بعيدًا عن متناول يده. تصعد يد الرجل لتمسك ذراع مارك فور تمزق القماش.

يدفع التيار جسد مارك، لكنه يبقى متمسكًا بالدرايزين، يُدفع جسده جانبًا، ثم يصطدم بالجدار الخرساني بجوار القضبان. يتبعه ألك وباكستر، وجسدهما ملتحمان. يشعر مارك كما لو أن ذراعه على وشك أن تُنتزع من تجويقها، حيث تجهد عضلاته وتصرخ. يركز جهوده على ألا يفلت الدرايزين كي يتجاهل الألم. يندفع الماء إلى فمه ويبصقه خارجًا، طعم كالتراب والزيت يحرق لسانه.

يشعر بيدين تمسكان ذراعه، وتمسكان قميصه ومرفقه وتشده. ومن الجانب الآخر يمكنه ملاحظة أن ألك يتسلقه كحبل مستخدمًا كلتا يديه، مما

يعني أن باكستر لا بد أنه قد انجرف. لا يستطيع مارك أن يفعل أي شيء، فقد أنهكت قواه، وكل جزء من جسده يؤلمه ويحرقه. يمكنه فقط الإمساك بإحكام كي يبقوهم متصلين. ينسل رأسه تحت الماء فيغمض عينيه، ويجبر نفسه على مقاومة الرغبة في استنشاق نفس يقتله.

يفقد كل إحساس بالحركة. لا شيء سوى الماء والحرارة وزحام الأصوات، والألم الذي ينفجر في جسده.

ثم يصعد إلى السطح، ويشعر بيدين على صدره، تحت ذراعه. يُسحب إلى الخلف إلى أعلى الدرج، وألك أمامه مباشرة، ممسكًا بالدرابزين، وباكستر مُمسك بإحكام بين ساقَي الرجل كإحدى حركات الفوز في المصارعة. وحينما ينظر مارك، يخرج وجه باكستر من النهر ويتنفس ويبصق ويصرخ.

لقد نجوا... جميعهم.

وسرعان ما وقفوا على أقدامهم على الرصيف، كلهم. ارتفع الماء إلى الحافة العليا لحزّ القضبان وبدأ في التسرب إلى الرصيف ذاته.

ألك رجل تنطق كل بوصة منه بالإرهاق، مبللاً، يلتقط أنفاسًا عميقة مرهقة. يسير بعسر إلى الباب ويفتحه. فكّر مارك أنه كان يمكن أن يكون مقفلاً. يمكن أن تكون قصتهم قد انتهت عند هذا الحد. لكنه مفتوح، وألك يفتحه على مصراعيه. ويشير للجميع بالمرور.

ثم يقول العجوز:

- استعدوا للتسلق.

الفصل السادس والثلاثون

استيقظ مارك مرتجفًا في ظلام دامس.

كان جسده متصلبًا، تقلّب على السرير الذي أنّت مفاصله وهو يحاول أن يستقر في وضع مريح، أن يجد وضعًا لا تؤلمه فيه عضلاته. سمع ألك وأنطون يشخران بصوت عالٍ. من الواضح أن ألك لم يصمد طويلًا في نوبة حراسته الأولى.

استقر مارك أخيرًا على ظهره. كان النوم قد زال من جفونه تمامًا، ولم يكن هنالك شيء يفعله سوى الانتظار حتى يستيقظ صديقه. سيسمح للرجل بالحصول على أكبر قدر ممكن من الراحة، فسوف يحتاج إليها غالبًا.

بدا الحلم جليًا بشدة وكأنه واقع. كان قلبه لا يزال ينبض من شدة التجربة، كما لو كان يعيده إليها للتو. استطاع أن يذوق الماء العكر، وأن يشعر بالحروق على جلده. وتذكر صعود الدرج اللانهائي بعد ذلك، والصعود على درجاته الملتفة، دائخين هنا وهناك. لم يعرف كيف استطاع اللحاق بالآخرين وهو خائر القوى متآلم من حروق المياه، ولكنهم واصلوا والماء يرتفع من تحتهم. لم ينس قط شعور النظر عبر السياج، إلى الأسفل، إلى السائل المعكر القذر وهو يصعد ببطء، معتقدًا في أعماقه أن حياته قد شارفت على الانتهاء.

كان ألك قد أنقذهم ذلك اليوم. وأمضوا الأسبوعين التاليين في ناطحة السحاب تلك، مدركين سريعًا أنهم لا يستطيعون البحث عن أحبائهم بعد. كانت الحرارة والإشعاعات والمياه الصاعدة أكثر مما ينبغي. كان ذلك عندما بدأت آمال مارك في العثور على عائلته تتلاشى حقًا.

مبنى لنكولن. مكان يحوي العديد من كوابيسه. بقوا بالقرب من مركز المبنى بقدر الإمكان، في الممرات الوسطى للهيكل، لحماية أنفسهم من أشعة الشمس القاسية، وعلى الرغم من ذلك، مرض جميعهم قليلاً في الأشهر الأولى. سمع أُنينا من جهة سرير ألك، لتتبخر أفكاره وتندفع إلى مؤخرة عقله لتعذبه فيما بعد. لكن ذلك الشعور بالرعب الذي عاناه في اللحظات الأخيرة في النفق تحت المترو لن يرحل، سيبقى كدخان نار مطفأة.

قال ألك:

- اللعنة!

مال مارك على مرفقه وهو ينظر باتجاه صديقه وقال:

- ماذا؟

- لم أقصد النوم. يا لي من جندي أخرج! وتركت الجهاز اللوحي اللعين مفتوحًا. يمكننا أن ننسى استعمال ذلك الشيء ثانية.

قال مارك:

- كانت البطارية على الأرجح ميتة تقريبًا على أي حال.

على الرغم من أنه في ذلك الوقت، كان ليضحى بأي شيء في مقابل خمس دقائق إضافية من إضاءة الجهاز.

زمجر ألك، وسمع مارك أنين مفاصل الفراش تئن والعجوز ينهض.

- نحن بحاجة إلى البحث عن زملاء هذا الرجل. قال إنهم كانوا يجتمعون بعيدًا في المخبأ، لذلك علينا أن نجد السلاح.

أشار مارك إلى أنطون، ناسيًا للحظة أن ألك لم يستطع رؤيته في الظلام:

- ماذا سنفعل به؟

- اتركه يخمد أحزانه بالنوم... هيا بنا.

استغرق مارك لحظة ليستجمع شتات نفسه، ثم نهض وتحسَّس طريقه إلى نهاية الفراش نحو ممر الغرفة الأوسط.

سأل:

- كم لبثنا نائمين في اعتقادك؟

أجاب ألك:

- لا أعرف. ربما ساعتان؟

أمضيا الدقائق القليلة التالية يشقان طريقهما ببطء عبر الغرفة نحو الردهة. كان الضوء فوق الباب لا يزال يتذبذب قليلاً، لكنه كان كافياً للرؤية بالكاد. وفي نهاية المطاف وجدا السلم الذي تمنى ألك وجوده. وعلى الرغم من تعذر الرؤية - حيث لم يتضح سوى خطوط وحواف لظلال تغور إلى السواد- عادت إلى مارك ذكرى الطوفان وصعودهم المحموم على درج ناطحة السحاب. لقد كان قريباً بشدة من الموت في ذلك اليوم. إذا علم بكل ما سيأتي بعد ذلك، فهل كان سيقا تل بتلك الشدة من أجل البقاء؟

قال لنفسه: نعم. كان سيفعل ذلك، وأنه سيجد ترينا وسيخرجان من الماء الساخن ثانية. ثم كاد أن يضحك على مزحته.

همس ألك وهو يبدأ في أولى الخطوات هبوطاً:

- فلنواصل العمل.

فتبعه مارك، عازماً على التوقف عن التفكير في الماضي. كان عليه التركيز على المستقبل، وإلا فلن يصل إليه أبداً.

كانت السلالم تمتد لثلاثة مستويات لا غير، لكن لم تكن هناك أي مخارج حتى وصلا إلى المستوى الأخير. دخلا الباب ليجدا نفسيهما في رواق آخر. لقد وصلا أخيراً إلى القسم الذي يستهلك قوى مولدات المخبأ الهائلة في الأعلى. أنار الممر خطاً من الأضواء على السقف. وعلى عكس الرواق الذي أتيا منه، فهذا الرواق مقوَّس.

ألقي مارك نظرة سريعة على ألك وبدأ السير في القاعة. كانت هناك أبواب تبطن الجدران، لكن ألك اقترح أن يستكشفا الممر بأكمله قبل أن يجربا كل واحد منها. تسللا، بهدوء قدر الإمكان، ولم يمض وقت طويل حتى اتضح أن الممر كان على شكل هلال عملاق.

مرّاً بنصف ما استطاعا رؤيته على طول الممر عندما سمع مارك أصواتاً، ثم رأى مصدرها. في الأعلى، على اليسار، كانت هناك مجموعة من الأبواب المزدوجة، وأحدها مفتوح حتى نهايته. خرجت الأصوات من أيٍّ ما كان يحدث

في تلك الغرفة. شكل من أشكال الاجتماعات، رجال ونساء يتحدثون بأصوات مختلطة بشكل لا يستطيع معه مارك تمييز كلمة واحدة مما يُقال. اجتماع زملاء أنطون.

تباطأ ألك عندما اقترب من الغرفة، وتقدم بحذر إلى الأمام حتى أصبح بجوارها مباشرة، وظهره ملتصق بالباب المغلق. التفت للنظر إلى مارك، هازئاً رأسه كما لو أنه يقول: إمَّا الآن وإمَّا لن نفعلها أبداً. ثم دسَّ رقبته في الفتحة ومال ليلقي نظرة خاطفة. حبس مارك أنفاسه، متذكراً جيداً أنه ليس لديهما أسلحة.

سحب ألك رأسه إلى الخلف وخطا قدمين باتجاه مارك.

- إنها قاعة مؤتمرات، كبيرة جداً، نحو مئتي مقعد تقريباً. إنهم جميعاً في الأسفل يشاهدون شخصاً ما على خشبة المسرح.

همس مارك:

- كم عددهم؟

- أربعون على الأقل. ربما خمسون. لا أثر لأصدقائنا، وعلى ما يمكنني استنتاجه، فيبدو أنهم يتجادلون جميعاً حول شيء ما، ولكن لا يمكنني أن أعرف ما يقولون.

سأل مارك:

- ماذا نفعل إذا؟ أنواصل السير؟ لا بد أن هذه القاعة تقترب من نهايتها.
- إذا نزلنا على يدينا وركبتيها، يمكننا أن نزحف داخلين إلى نهاية الغرفة، ويمكننا الاختباء في زاوية على اليمين. أعتقد أننا بحاجة إلى سماع ما يقوله هؤلاء الناس.

وافق مارك. لم يعلم من هؤلاء الناس أو ما الذي هم بصدده فعله، لكن بدا وكأن ذلك هو السبيل الوحيد لمعرفة نياتهم، السبيل الأكثر أماناً على الأقل.

- حسناً، دعنا نفعل ذلك.

ركعا على أربع واستعدا، ومارك خلف ألك. مال الجندي إلى الأمام ليلقي نظرة من حافة الباب، ثم بدأ الزحف إلى الغرفة الكبيرة. وتبعه مارك وهو يشعر أنه شبه عارٍ وهما يدخلان إلى القاعة المفتوحة. لكن لم يكن هناك أحد

في مؤخرة الغرفة... كانت الأصوات كلها تأتي من الأسفل وتبدو بعيدة بما يكفي. وبالنظر إلى حقيقة أنهم جميعًا كانوا يتحدثون في نفس الوقت، شعر مارك بأنهم لم يكونوا في حالة تأهب للدخلاء.

زحف ألك على طول الصف الأخير، وجانبه ملتصق ببلاستيك الكراسي الأسود، حتى وصل إلى أقصى الجانب الأيمن من الغرفة، حيث طغت الظلمة على الزاوية. فتوقف وهيأ نفسه، وتقاطعت ساقاه، وحشر جسده في الفضاء بين الكرسي الأخير والجدار. انتقل مارك ليجلس بجانبه. كان عليه أن يحشر نفسه في وضعية غير مريحة كي يبقى مختبئًا قدر الإمكان.

فتمدد ألك وأطلَّ برأسه من فوق الكرسي أمامهما، ثم نزل سريعًا مرة أخرى.

- لا أستطيع رؤية الكثير. يبدو أنهم ينتظرون بداية شيء ما. أو ربما يأخذون استراحة، لا أعلم.

أغلق مارك عينيه وأسند رأسه على الحائط. جلسا هناك لما بدا كالأبد. مرت عشر دقائق مؤلمة على الأقل دون أن يتغير شيء. مجرد ضجيج من الحديث المختلط. ثم فجأة، حبست أنفاسه حركة مبهمة. دخل رجل إلى القاعة من الردهة بحركة سريعة، وبدأ في السير على الممر نحو الأمام. تنفس مارك الصعداء لأنه لم يُرَ.

أصبح الحشد هادئًا ساكنًا، وسقطت الغرفة في صمت مخيف. أمكن لمارك سماع خطوات الرجل عندما وصل إلى أسفل الغرفة، ليتسلق مجموعة من الدرجات إلى المنصة.

قال صوت عميق ردَّد السقف صداه على الرغم من هدوء نبرته:

- سأتولى مقاليد الأمور الآن يا ستانلي.

الصوتيات.

جاء الرد من ستانلي، رجل ذو صوت أعلى كثيرًا:

- شكرًا يا بروس. فلينتبه إليه الجميع.

كان هناك صوت شخص ينزل السلالم ثم صوت جلوسه على أحد الكراسي. وعندما ساد الصمت مرة أخرى، بدأ القادم الجديد يتكلم.

- لنبدأ يا قوم. لن يمر وقت طويل قبل أن نفقد عقولنا جميعًا.

الفصل السابع والثلاثون

وكأنَّ الجملة الافتتاحية للرجل لم تكن غريبة بما فيه الكفاية، صفق الجمهور وهتفوا بعد ما قاله، مما جعل مارك يرتجف. انتظر بروس صمت الجموع قبل أن يتكلم ثانية. كان مارك متحمسًا لسماع ما سيقوله الرجل بعد ذلك.

- عاد فرانك ومارلا من رحلة طيران في المناطق المحيطة بأشقل. وكما اعتقدنا، لقد شيدوا تلك الجدران بإحكام. زمن الإنسانية والإحسان يا أصدقائي! تلك الأيام قد ولت. لقد خلق ائتلاف ما بعد الوهج جيشًا من الوحوش، كانوا أشخاصًا مستعدين للتخلي عن الملابس التي يرتدونها لجيرانهم من ذوي الحاجة، لم يعودوا كذلك. هؤلاء الأوغاد في الأسكا وكارولينا الشمالية -أشقل الخاصة بنا- قد أداروا ظهورهم إلى المستوطنات إلى الأبد. والأسوأ من ذلك، لقد أداروا ظهورهم لنا... لنا! أثار ذلك جوقة من الصرخات الغاضبة وخبط الأقدام والدق على مساند الكراسي. وردد الصدى أصوات الضجيج عبر الغرفة، إلى أن بدأ بروس في التحدث من جديد.

صاح بصوت أعلى:

- لقد أرسلونا إلى هنا! لقد كلفونا بالمشاركة في أسوأ انتهاك للحقوق المدنية منذ حرب 2020. إبادة جماعية! ولكنهم أصرُّوا على أن ذلك من أجل بقاء الجنس البشري. قالوا إنه كان لتوفير ما لدينا من موارد قليلة،

حتى نقدر على إطعام هؤلاء الناس الذين يعتبرونهم جديرين بالعيش.
ولكن من هم حتى يقرروا من يستحق الحياة؟!
توقف للحظة قبل أن يكمل:

- حسنًا، أيها السيدات والسادة، يبدو أننا لا نستحق. لقد أرسلونا إلى هنا للقيام بأعمالهم القذرة، والآن قرروا عزلنا. أسألکم جميعًا: من هم؟!
وصرخ في جملته الأخيرة، ليرسل الحشد مرة أخرى في نوبة من الهستيريا. صرخ الناس وضربوا الأرض بأرجلهم. وجعل الهدير صدغي مارك ينبضان بالألم، وكذلك جبينه من الداخل. اعتقد أن الهدير لن ينتهي أبدًا، ولكنه انتهى فجأة. وتخيل أن بروس قد أشار لإسكاتهم.
قال الرجل بهدوء أكثر:

- ها هو وضعنا. فئران التجارب يزدادون تعصبًا كل يوم في طائفتهم الدينية الصغيرة الغربية. لقد عقدنا صفقة معهم، فقد أرادوا عودة الفتاة الصغيرة، يبدو أنهم يريدون التضحية بها للأرواح التي اكتشفوها حديثًا. أعتقد أنهم تجاوزوا نقطة اللاعودة. لقد خرجوا من نطاق أي مساعدة يمكننا أن نوفرها لهم. فهم بالكاد يستطيعون أن يمضوا يومًا دون أن يقاتلوا بعضهم بعضًا، ويعيدوا تنظيم الفصائل، ليبدووا الاقتتال من جديد. ولكننا عقدنا صفقة مع القلة التي لا تزال تحتفظ ببعض من العقل... لقد سئمت من القلق بشأن من سيقفز من فوق الأشجار ليهاجمني في كل مرة أخرج فيها.
توقف، وسمح بوهلة من الصمت.

- أعطيناها الفتاة الصغيرة والمرأتين اللتين وجدناهما معها. أعلم أنه تصرف قاس، لكنه سيسمح لنا بهدنة من القلق بشأن هؤلاء الناس. لا أريد أن أضيع الذخيرة الثمينة المتبقية لدينا لندافع بها عن أنفسنا ضد طائفة مخبولة.

وفجأة سمع مارك صوتًا مدويًا في أذنيه. «الفتاة الصغيرة»، و «المرأتان»، و «أعطيناها»، والأشياء التي قالها أنطون في غرفة المخبأ. يردد كل ذلك في ذهنه، ويجعله يرتعش. تذكر مدى جنون أناس النار، والوضع الذي اعتقد

أنه لا يمكن أن يزداد سوءاً، وقد حدث ذلك للتو. لقد أضاعا كل هذا الوقت في المخبأ، وصديقاتهما لم يكنَّ هناك حتى.

كان بروس لا يزال يتكلم، لكن مارك لم يستطع التركيز. مال ليتحدث في أذن ألك:

- كيف يمكن أن يعطوهن لأولئك... لهؤلاء؟ علينا أن نذهب. مَنْ يدري ماذا سيفعل هؤلاء المخابيل بهن!
أمسك ألك بيده ليحثه على الهدوء:

- أعرف ذلك، سنذهب. لكن تذكر سبب قدومنا إلى هنا. لنسمع ما يقوله هذا الرجل، ثم سنرحل، أعدك. شعوري تجاه لانا هو نفس ما تشعر به نحو ترينا.

أوماً مارك برأسه ومال على الحائط مرة أخرى. حاول الاستماع إلى ما كان يقوله بروس على المسرح.

- ... انطلقت النيران بفضل العاصفة الأخيرة التي هبت قبل بضع ساعات. السماء سوداء، لكن النيران قد ماتت. سنتعامل مع الانهيارات الطينية في كل مكان. وقد هرب جميع فئران التجارب إلى البيوت الجبلية نصف المحترقة كما يبدو. أمل أن يظلوا في أماكنهم قبل أن يأسوا ليغيروا على أشقل من أجل الطعام. لكن أعتقد أن طريقنا إلى المدينة آمن لليوم أو اليومين التاليين. ادخلوا بالقوة وطالبوا بحقوقنا. سنذهب سيراً على الأقدام آملين أن نفاجئهم.

اندلعت بعض المهمات القلقة قبل أن يتابع:

- لا يمكننا إنكار أن المرض قد تفشى بيننا الآن. لقد رأينا الأعراض جميعاً، هنا في منزلنا الآمن. يستحيل أن رؤساءنا قد أطلقوا هذا الفيروس دون وجود ترياق. وأقول إنهم سيعطوننا إياه وإلا سيموتون جميعاً. حتى لو تطلَّب الأمر زهابنا إلى الأسكا لفعل ذلك. نعلم أن لديهم ناقلاً مسطحاً في مقرهم الرئيسي، سنمر منه ونجبرهم على إعطائنا ما نستحقه!

المزيد من الهتافات ودقُّ الأقدام على الأرض.

هز مارك رأسه. واضح أن هؤلاء الناس غير مستقرين. كانت هناك طاقة جامحة في الغرفة، وكأنه عُش أفاعٍ تستعد للذغ. أيًا كان سبب انتشار هذا الفيروس، فما فعله بالناس كان واضحًا، فقد أصابهم بالجنون، وبدا الأمر وكأنه يستغرق المزيد من الوقت قبل أن ينتشر. وإذا كانت أشقّل، أكبر المدن الناجية ضمن مئات الأميال، قد أقامت جدارًا للحفاظ على نفسها آمنة من المرض، فلا بد أن الأمور سيئة. وكان آخر ما يحتاج إليه أي أحد مجموعة من الجنود المصابين يجرون في الشوارع. والناقل المسطح...

كان رأس مارك لا يزال مشوشًا للغاية، وصعب عليه ترتيب أفكاره. كان يعلم أنه يجب أن يركز على ترينا، ليعيدها. ولكن ماذا عن كل هذه المعلومات الجديدة؟ غمز ألك بكوعه، ونظر إليه فيما معناه أن صبره ينفد.

همس الرجل:

- قريبًا يا فتى، لا تفوّت فرصة الحصول على المعلومات. وبعدها سنذهب للبحث عن صديقاتنا. أقسم على ذلك.

لم يكن مارك مستعدًا للتضحية بترينا للحصول على معلومات. ليس بعد ما مروا به للنجاة كل هذه المدة. لم يستطع الانتظار أكثر.

أصبحت الغرفة هادئة مرة أخرى.

«اتتلاف... أيًا ما كان... اسمه».

ضغط بروس على كل كلمة من كلامه بإلقاء وحقد مبالغ فيهما:

- من يظن هؤلاء الناس أنفسهم؟ آلهة؟ أيمكنهم مجرد اختيار القضاء على النصف الشرقي من الولايات المتحدة؟ كما لو كان الائتلاف لديه حق العيش أكثر من الآخرين؟

ثم توقف عن الكلام لوهلة. لم يعد مارك قادرًا على التحمل، وزحف من حول ألك وقفز ببطء فوق الكرسي ليلقي نظرة. كان بروس رجلًا ضخماً ذا رأس أصلع يلمع في الضوء الخافت، وكان وجهه شاحبًا ذا لحية لم تُحلق منذ بضعة أيام. كانت عضلات ذراعيه وكتفيه تنتفخ داخل قميص أسود ضيق، بينما كان يقف ويدها معقودتان أمامه يحدق إلى الأرض. لو لم يسمع مارك كل ما قاله الرجل للتو، فسيظن أنه يصلي.

قال بروس وهو يرفع عينيه ببطء لينظر إلى جمهوره المأسور ثانية:

- لا تشعروا بسوء يا أصدقاء. لم يكن بوسعنا رفض ما طلبوا منا فعله. لم يكن لدينا خيار. لقد استخدموا نفس الموارد التي يحاولون الحفاظ عليها ضدنا. نحن أيضًا نحتاج إلى الطعام، أليس كذلك؟ ليس ذنبنا أن الفيروس لم يكن كما توقعوه. كل ما يمكننا فعله هو نفس ما قمنا به منذ أن ضربت أشعة الشمس الأرض: أن نحارب بكل ضراوة لنحيا. تحدّث دارون عن بقاء الأصلح في العالم الطبيعي. حسنًا، يحاول فريق ائتلاف ما بعد الوهَج خداع الطبيعة. حان الوقت للدفاع عن أنفسنا. سنعيش... سنعيش!

هدرت جولة صاخبة جديدة من الهتافات والصفير والتصفيق وضرب الأقدام استمرت لدقيقة أو اثنتين. ارتد مارك إلى الخلف ليجلس إلى جانب ألك، شاعرًا بأن عليهما أن يتحركا فورًا أكثر من أي وقت مضى. كان على وشك أن يقول شيئًا عندما صمت الجمهور، وملأ صوت بروس الغرفة كهسيس أفعى مُضخَّم.

- ولكن أولًا يا أصدقائي، أحتاج إلى أن تفعلوا شيئًا من أجلي. لدينا جاسوسان في مؤخرة هذه القاعة. يُحتمل بشدة أن يكونا من ائتلاف ما بعد الوهَج. وأريدهما أن يُربطا ويُكمَّما بينما أعدُّ إلى الثلاثين.

الفصل الثامن والثلاثون

قفز مارك واقفًا قبل أن ينهي الرجل الحكم الصادر بحقه، وكان ألك على مقربة منه.

واندلج هدير عنيف من الجمع كصرخات الحرب، ليتوقف مارك متفقدًا الوضع. بدأت المجموعة في التحرك بالفعل خارجين من مقاعدهم، يتعثر كل منهم فوق الآخر ليكون أول من يجتاز الممر ليصل إلى الدخيلين.

ركض مارك نحو أبواب المخرج المزدوجة، غير قادر على إبعاد عينيه عن المشهد وراءه، ملاحظًا إياه بمزيج غريب من الرعب والفضول. كان بروس يصدر الأوامر ويشير بإصبعه نحو مارك وألك، ووجهه الشاحب يحمّر غضبًا. كان هناك شيء طفولي في حركاته، شبه كارتوني. وبدا الإصرار الشديد على أتباعه من أجل الدخول إلى الممر المفتوح أيضًا مبالغًا فيه بشكل ما، وكأنهم كانوا جميعًا يتعاطون نوعًا من المخدرات. يصرخ الرجال والنساء ويزمجرون كقردة في نوبة هياج. كل منهم يريد الإمساك بهما أولاً، وكأن ذلك هو ما سيقبهم على قيد الحياة.

وصل ألك إلى الأبواب أولاً، ثم ألقى بنفسه في الممر. أوقف مارك حركته بانزلاقة، وانصبَّ تركيزه على الحشود المتدفقة حتى إنه كاد أن يفوت المخرج. انتهى ذلك الإحساس الغريب بالفضول لديه أخيرًا، وحل محله روع إدراك أنه كان على وشك أن يُقبض عليه للمرة الثانية في بضعة أيام. مزقت صرخات مطارديه الهواء وأخافته، ورأى بلمحة جانبية سريعة وهو يخرج من الغرفة أول مجموعة منهم يقتحمون الممر الرئيسي للقاعة بأعين متعطشة للدماء.

تعثر على أرضية الردهة، ثم اعتدل. مدَّ ألك يده وأغلق الباب بعد دخول
مارك، إذ ربما يُكسبهما ذلك بضع ثوانٍ. كان الضوء خافتًا، لكن مارك استطاع
ملاحظة أن ألك قد نسي من أي طريق أتيا.

صرخ مارك وهو يعدو:

- من هنا!

سمع خطوات ألك خلفه حتى سمع صوت خبط عال لانفتاح الباب بعنف،
يليه اندفاع الأجساد مستمرين في الصراخ القتالي.

ركض مارك سريعًا، محاولًا ألا يتخيل مطارديهما أو ماذا سيفعلونه إن
أمسكوا بهما. أمر بروس بربطهما وتكميمهما، لكن النظرة التي رآها مارك
على وجوههم أنبأته بأن تلك مجرد بداية. نظر إلى الخلف ليتأكد من صمود
ألك، رأى الدب العجوز يلوّح بذراعيه ويقرع الأرض بقدميه، ليركز على العدو
مرة أخرى، ركض بسرعة على طول منحني الممشى. كان متجهًا نحو الدرج،
لأنه لم يكن يعرف أي طريق آخر سوى صعوده.

ضخ الأدرينالين في جسد مارك، ليعتصر الجوع معدته. لم يتذكر آخر
مرة أكل فيها. كان يأمل فقط أن تكون لديه طاقة كافية ليهرب مرة أخرى
إلى الغابة فوقهم. ظهر الدرج أمام ناظريه لينطلق إلى الأمام بسرعة أكبر.
تردّد صدى صيحات مطارديهما ليمزق الهواء في مساحة القاعة الضيقة،
مذكرًا مارك بصوت الصرير شبه المكتوم لقطارات المترو وهي تُسرّع على
القضبان داخل أنفاقها.

وصل مارك إلى السلالم، وكان يقفز على ثاني سُلمة في الوقت الذي وصل
فيه ألك. سمع تنفس الرجل الثقيل ممتزجًا بأنفاسه، وخطوات أقدامهما تدق
بعنف على السلالم. أمسك مارك بالدرابزين في كل منحني، راميًا بنفسه إلى
الأمام وإلى المستوى التالي. اخترق مع ألك المستويات الثلاثة، ووصل إلى
القمة في نفس الوقت الذي سمع مارك فيه مطارديهما يصلون إلى القاع.
وسبب الصدى المجوف لصرخاتهم الجنونية القشعريرة في جلده المتعرق.

ركض إلى الرواق العلوي، الذي كان لا يزال غارقًا في الظلام، الشيء الذي
أمل أن يساعدهما. ثم أصابته لحظة مفاجئة من التردد، مما أدى إلى انفجار
الذعر.

صرخ في ألك:

- أي طريق نسلك؟

واعتقد جزء منه أن عليهما الاختباء في مكان ما، ربما في غرفة المولدات. البحث عن مخرج سيعني أنهما سيكونان في العراء بالخارج، منتظرين الإمساك بهما إن لم يعثرنا على مخرج، لكن الاختباء سيؤخر العثور عليهما.

وبدلاً من الإجابة، بدأ ألك بالجري إلى اليمين، عائداً في اتجاه مهبط البرج الضخم المتحرك. فتبعه مارك بارتياح لتولي صديقه المسؤولية مجدداً.

خاضا في الظلام بسرعة متهورة. مد مارك يده على الجدار ليحافظ على توازنه، لكنه عرف أنه إذا صادف شيئاً على الأرض فستكون تلك نهايته. مرّاً بغرفة المولدات، ليمنحهما الضوء الخافت لمصباحها الأحمر الضعيف استراحة قصيرة من السواد القاتم، وصوت أزيز الآلات داخلها يبدو كسرب من النحل. تلاشت كل من الأضواء والضوضاء وهما ينسابان عبر الغرفة. ثم لاحظ في تلك اللحظة مارك شيئاً كاد أن يوقفه.

لقد توقفت أصوات الناس الذين يطاردونهم، تماماً، كما لو أنهم لم يصعدوا الدرج قط.

همس قائلاً:

- ألك.

بالكاد سمع صوته وسط أصوات الأنفاس والخطوات الثقيلة. كرر نداءه بصوت أعلى قليلاً.

فتوقف صديقه، وتجاوزته مارك قبل أن يتمكن أيضاً من التوقف. عاد مارك ليواجه ألك وهو يتنفس بعمق، متمنياً بياس رؤية أي ضوء.

تساءل بصوت عالٍ:

- لم توقفت؟

أجاب ألك:

- لا أعلم. ولكن علينا الاستمرار في التحرك.

سمع مارك الرجل وهو يشق طريقه على طول جدران الممر.

- خذ الجانب الأيمن، وسوف ألتزم بالجانب الأيسر. ربما هناك مخرج آخر لا نعرفه.

بدأ مارك البحث. كانت الحوائط باردة. وتذكر الباب ذا الضوء الخافت، ولكن لم يكن هناك أي أثر له الآن. كان البقاء في مثل هذه الظلمة مثيرًا للجنون، وزاد من توتره عدم معرفة ما حدث لمطارديهما، لم يبدُ ذلك خيرًا.

وصلا إلى نهاية الرواق، حيث قاد الباب المستدير الشبيه بأبواب الغواصات إلى الغرفة الواقعة أسفل مهبط البرج. سمع ألك يخطو عبر الفتحة، ثم يعود.

- لا أرى أي شيء هناك أيضًا.

أجاب مارك:

- ليس لدينا مكان آخر نذهب إليه. دعنا ندخل هناك ونغلق ذلك الباب حتى نعرف ما سنفعله. ربما يمكننا البقاء...

أخرسه ألك مقاطعًا إياه بهمس:

- هل سمعت ذلك؟

أرجف مارك مجرد السؤال، ليتسمر مكانه ويحبس أنفاسه. لم يسمع شيئًا في البداية، ثم سمع صوتًا خافتًا، ولكنه كان قادمًا من آخر الرواق. استمر الصوت، والغريب أن تلك الضجة كانت خادعة، تبدو قريبة تارة وبعيدة تارة. وفجأة صدم مارك شعور بأنهما ليسا وحدهما.

أثار الرعب أعصابه، وتحرك للإمساك بألك، ليدفعه عبر المدخل، عالمًا بأنها فرصتهما الوحيدة. الدخول إلى هناك وإغلاق الباب وإدارة مقبض العجلة وإبقاؤه مغلقًا. لكن مارك كان قد خطا خطوة واحدة إلى الأمام فقط عندما سمع صوت نقرة، ثم تبعه شعاع مصباح لامع موجه مباشرة إلى مارك وألك. وكان حامله على بعد خطوات قليلة.

قالت امرأة:

- لم نقل حتى الآن إن بوسعكما المغادرة.

الفصل التاسع والثلاثون

تسارعت الحركات فجأة، وتتابعت أصوات تشغيل المصابيح اليدوية الأخرى، وأشعاتها تتقاطع منغمسة في رقصة فوضوية في الهواء. وكان أتباع بروس يهاجمون، ويعيدون صيحاتهم وصرخات القتال. التفت مارك نحو ألك، الذي كان قد مد يده إليه بالفعل جاذبًا قميصه ليجره نحو البوابة المفتوحة.

كان ألك في منتصف الطريق، وقبضته ما زالت ممسكة بقميص مارك، عندما لحقت بهما عاصفة الأضواء التي كادت تعميهما. أمسك أحدهم بقدم مارك ورفعها عاليًا في الهواء ليسقط على الأرض وتضرب مؤخرة رأسه الأرض بعنف، ثم جُرَّ مارك فجأة من قدميه على الأرض. فانزلق وهو يصطدم بالناس فيما كان يركل محاولًا تخليص نفسه.

صاح ألك باسمه، لكن مارك بالكاد كان يستطيع سماعه بسبب حشد الناس الغاضبين. أحاطوا بمارك، ركله أحدهم في الضلوع، وأطلقت امرأة صرخة حادة ولكمته في معدته. أنَّ وحاول التكوُّر حول نفسه، لاويًا قدمه بقوة حتى تخلصت من قبضة الممسك بها. استغل هذه اللحظة وانقلب على بطنه وبدأ في الزحف عائداً نحو الباب. تحوّل إلى كتلة مرتعشة من الأذرع والأرجل تحاول جاهدة البقاء بعيدًا عن متناول الجميع.

اخترق المُعترك عواء مدوّ، ضجيج قد يصدر من دبة تحمي صغيرها. كان ألك... وفجأة كانت الأجساد تطير في كل مكان. كان الرجل قد تقدم إلى الأمام وقفز إلى المعركة، وأسقط نصف الناس الذين يحاولون الوصول إلى

مارك. في نوبة الغضب، وقع أحدهم على ساق مارك، وآخر على ظهره. التف ثم جلس أحدهم على وجهه. كانت هناك لحظة بدا فيها كل ما يحدث شديد السخافة، وكأنَّ مارك قد دخل استعراض المهرجين في السيرك، وكاد أن يضحك.

ثم قام أحدهم بصفعه على الخد، مُزيلاً تلك الصورة من رأسه مباشرة. كَوَّر مارك قبضته ولكم ظهره، لكنه لم يصبه، وحاول مرارًا وتكرارًا دون أن يضرب أحدًا، كانت ذراعه تتلويان كملاككم كفيف. في المحاولة الرابعة أو الخامسة ارتطمت قبضته بذقن أحدهم ليصرخ. لمح ألك وهو يحارب كأسد، يدفع الناس ويضربهم بكوعه ويلقي بهم على الأرض. دوى صوت سقوط مصباح، ثم سمع صوت تدرجه حتى اصطدم بالحائط. أشرق ضوءه على الأرض وأضاء مبيئاً باب الغرفة، ربما على بعد اثني عشر قدمًا. كان مارك يعلم أن عليهما التخلص من المهاجمين بطريقة ما وأن يدخلًا من هناك أو ستكون تلك نهايتهما.

قام مارك على يديه وركبتيه، ولكن شخصًا قفز على ظهره ليسقطه مرة أخرى. انزلقت ذراعان حول عنقه، وبدأ في الاعتصار. تصلب مارك لاهتًا بينما كان مجرى هوائه مسدودًا، وأنت رثاه. وضع يديه تحته واندفع على الأرض مائلًا على جانبه ليلقي بالمهاجم بعيدًا. ثم استدار وركل المعتدي في وجهه، وأدرك في آخر ثانية أنها امرأة. تصدَّع رأسها إلى اليمين وانبتق الدم من أنفها.

هرع شخصان آخران من الخلف وأمسكا بذراعيه وسحبا ليقف. حاول التملص، لكن قبضتيهما كانتا شديديتي الإحكام. تقدم رجل ذو نظرة شرسة ليقف أمامه. سحب ذراعه ليضرب يده في معدة مارك. تراجع مارك مع انفجار الألم والغثيان. تقلَّص حلقة، لكن لم يكن هناك شيء في معدته ليتقيأ. سمع زئيرًا آخر من ألك، ثم عرقل الرجل أحد الممسكين بمارك. وبمجرد تحررت ذراعه، أعاده إلى الخلف بقوة وضرب بمرفقه ذقن الشخص الآخر، محررًا ذراعه الأخرى. اندفع إلى الأمام وقفز على الرجل الذي لكمه ليوقعه أرضًا، ليسقط وهو يتأوه.

لم يعد مارك يهتم به. وقف على قدميه، ثم قفز باتجاه المصباح اليدوي الذي رآه يتدحرج نحو الحائط. انسلَّ على الأرض والتقطه ممسكًا إياه بإحكام في قبضته. ثم نهض وأوماً بطرف معدنه الصلب في قوس قبل حتى النظر إلى مَنْ قد يأتي إليه. وضرب رجلًا في أذنه، ليصرخ الرجل وينهار على الأرض. قام ألك الذي سرق مصباح شخص آخر من عراك بينه وبين اثنين أو ثلاثة أشخاص يرقدون الآن ساكنين تحت قدمي الرجل. ركض مارك نحوه، واستدارا ببطء في دائرة لمواجهة المهاجمين المتبقين، الذين لا يزال عددهم أكبر بكثير. تجمع الناس معًا في مجموعتين، واحدة على كل جانب من الرواق، وبدأ أنهم يستعدون لهجمة أخيرة لسحق مارك وألك في المنتصف.

ألقي مارك ضوءه ولاحظ أن المجموعة التي كانت بينهما وبين باب الغرفة هي الأصغر من الاثنين، ربما ثمانية أشخاص. على الأقل كان لديهما بعض الحظ. وكأنما تواصل مع ألك عن بعد، زئرا وهجما معًا على المجموعة الصغيرة. اندفعا بينهم، لتطير أجسادهم في الهواء متكومين بعضهم فوق بعض. هاجمهم مارك بشراسة يائسة، يركل ويضرب بمؤخرة مصباحه أي شيء يتحرك. كان يهرول ويزحف ويدفع، ويتلوى ليتجنب أي شخص يحاول القبض على أطرافه أو ملابسه، ويتحرك إلى الأمام مندفعًا بين حشد من الناس.

وصل مارك بطريقة ما إلى الجانب الآخر، وطريقه خالٍ إلى الباب المفتوح. وشق ألك طريقه أيضًا، ساقطًا بضربة واحدة أخيرة ولكنه قفز بسرعة على قدميه. ثم ركضا نحو الكوة الدائرية، وتسلقا عبرها. في ثوانٍ كان ألك أمام الباب، يدفعه لينغلق بقوة. انزلقت عدة أذرع عبر الفجوة، مما منع الباب من الإغلاق.

صرخ:

- تعال وساعدني!

ضرب مارك بمصباحه اليدوي، ثم تراجع ألك عن الباب ودفعه إلى الأمام مرة أخرى، ساحقًا إياه نحو أولئك الذين لا يزالون يحاولون شق طريقهم عبره. دوَّت صرخات الألم، وانسحبت عديد من الأيدي. لكن دفعة أخرى تقدمت وكادت أن توقع ألك.

ترك مارك مصباحه اليدوي لمساعدة ألك. أمسكاً معاً حافة الباب الخارجية ليخلعها بعنف، ثم ضربها بها أولئك الذين يحاولون الاقتحام. انسحبت المزيد من الأيدي، لتستبدل بها أخرى تمامًا في نفس الوقت الذي رجع فيه مارك وألك للوراء وأغلقا الحافة على المهاجمين ثانية. اندلعت صرخات ألم جديدة وانسحبت أذرع أقل. فعلا ذلك مرة أخرى وأخرى. أسرع، بمزيد من القوة، أقرب قليلاً في كل مرة.

صرخ ألك:

- مرة أخرى، أقوى!

استعد مارك وسحب الباب إلى الخارج، ثم صرخ وألقى بجسده عليه بكامل قوته. لتسحق قطعة المعدن العظام وتحطم الأصابع، واختفت أجسادهم من المشهد.

اتكأ ألك على الباب وأغلقه برنين معدني عنيف، وأدار مارك العجلة.

الفصل الأربعون

كسر السكون الذي كان يصم الآذان والذي ملأ الغرفة صرير مقبض العجلة فيما كان مارك يضيقه أكثر فأكثر. وساعده ألك عندما حاول المهاجمون في الجانب الآخر إدارته. وكلما زاد إحكامًا، كان من الأسهل منع المهاجمين من إدارتها للاتجاه العكسي.

وأخيرًا قال ألك عندما لم يكن بوسعهما أن يغلقاه أكثر من ذلك:
- تمسك بهذا الصغير.

خطا خطوة إلى الورا ليمسك مارك بالجزء الأيمن من العجلة بكلتا يديه ويتمسك بها بقوة. كانت الحجرة أمامه، حيث دار المهبط قبل هبوطه تحت الأرض، فارغة وواسعة. نبض رأس مارك بالألم، مع بقية جسده بعد المعركة في مدخل المستودع.

كان ألك يلتقط المصباح الذي أسقطه جوار مارك. ألقى الجندي الضوء المائل للزرقة باتجاه الغرفة إلى اليمين، ليجد الهيكل الهائل للبرج هناك. رقصت ذرات الغبار في أشعة المصباح وهو يتحرك جيئة وذهابًا، كاشفًا عن معدن مخدوش وصفوف من المزاليج والحواف الوعرة. بدا كل شيء في الظلام النسبي مثل سفينة فضاء صاعدة من أعماق المحيط.

قال مارك:

- يبدو أكبر بكثير من الداخل.

كانت ذراعاها قد أصيبتا بالتعب، لكنه كان يشعر بالضغط على المقبض، وبالعجلة تكاد تدور ثم تعود لمكانها مرة أخرى.

- هل لدينا فرصة للخروج من هنا باستخدام ذلك الشيء؟

كان ألك يمشي ببطء حول السفينة، يبحث عن شيء ما في البرج، ربما عن باب الدخول.

- تلك أفضل أفكارك لهذا اليوم.

- من حسن الحظ أنك طيار.

كان هناك دق خافت على الباب، وتخيل مارك أن قوم بروس يريدون العبور بجنون ويضربون عليه بإحباط.

قال ألك بفتور:

- نعم...

وسرعان ما أتى صوته من الجانب الآخر من البرج، ورددت الجدران صداه.

- ها هو باب الدخول!

توقفت محاولات مطارديهما فجأة، وساد الصمت.

قال مارك متحرّجًا من الحماس الطفولي في صوته:

- لقد استسلموا!

أجاب ألك:

- وهذا يعني أنهم يخططون لشيء ما. لا بد أن ندخل لهذه العملاقة لنجهزها للطيران، وأن نفتح هذا المهبط.

نظر مارك إلى العجلة وتركها ببطء، مستعدًا للإمساك بها مرة أخرى إذا تحركت. وقف على قدميه، وألصق عينيه بالمقبض.

وقفز عندما دوى صوت جلجلة عالية في الهواء، تبعه صوت موجع لمعدن يصطكُّ بمعدن. تحرك ليرى ما حدث، لكن معظم البرج كانت بينه وبين مصدر الضوضاء. يجب على ألك أن يفتح باب الدخول. ألقى مارك بنظرة أخيرة على مقبض العجلة، مقتنعًا بأن وضعه آمن الآن، ثم توجه إلى البرج لكي ينضم إلى ألك. وعلى الجانب الأبعد من السفينة، وقف الرجل ويداه على

وركيه كميكانيكى فخور بينما اندفع سلم باب الدخول الضخم ببطء نحو الأرض.

سأل ألك بابتسامة:

- هل نركب أيها القائد المساعد؟ أنا متأكد أننا نستطيع التحكم في هذا المهبط من الداخل.

أمكن لمارك من النظر إلى عيني الرجل إدراك أنه كان تواقًا إلى قيادة برج مرة أخرى، محلقًا بها بسرعة ليشقَّ عنان السماء.

- ما دمتَ تعني بالقائد المساعد الشخص الذي سيجلس ليشاهدك تفعل كل شيء.

ضحك ألك ضحكة مجلجلة، وكأنه في أقصى درجات صفائه. وسرَّ مارك لسماعها، ولثانية أو اثنتين نسي كم كان كل شيء مروعًا. لكنه فكر في ترينا بعد ذلك، وفي الوقت نفسه كانت آلام جوعه تتصاعد في بطنه، وكأن بعضًا من لحظات الصفاء كانت أكثر مما ينبغي.

قفز ألك فوق باب الكوة بينما كان يتوقف، وصعد المنحدر، مختلفيًا في ظلام السفينة. عاد مارك إلى الغرفة الرئيسية لتفقد الباب مرة أخرى. فلما رأى أنهما آمنان وأن العجلة لا تتحرك عاد وتبع طريق ألك.

توقف على الشفة العليا من باب الكوة وأخذ ثانية ليضيء مصباحه اليدوي من الداخل. كانت البرج مدهشة وغامضة ومغبرة. لقد بدت أشبه كثيرًا بتلك التي استقر عليها هو وألك في مستوطنتهما، ولو أنها كانت فارغة. كان ألك يسير زهابًا وإيابًا، متحققًا.

دخل مارك إلى المركبة بجلجلة معدنية. وقد تردد صدى هذا الصوت في كل الغرفة المظلمة، وأثار ذكريات فيلم قديم عن رواد فضاء يركبون سفينة فضائية مهجورة. والتي كانت، بالطبع، مليئة بالكائنات الفضائية التي تحب أكل لحوم البشر. وأمل أن يكون وألك أوفر حظًا.

قال ألك مشيرًا إلى خاصرته في صف من الأرفف الفارغة:

- لا أرى أي علامات على صنابيرق الصباغ التي رأيناها على البرج الأخرى.

لاحظ مارك شيئًا مدسوسًا في الزاوية الأبعد من الرف فقال:

- ما هذا؟

مشى وأضاء نوره، ثم التقط كومة من ثلاثة ألواح كانت مربوطة إلى الأسفل بشرائط مرنة.

نادى ألك:

- انظر! منصات العمل!

رد عليه الرجل بلا تعبير على وجهه:

- هل تعمل؟

دسّ مارك مصباحه اليدوي تحت كوعه وحاول استخدام أحد الأجهزة. أضاءت الواجهة لتظهر شاشة ترحيب تتطلب كلمة مرور رقمية للدخول.

قال مارك:

- نعم، إنه يعمل، لكن قد نحتاج إلى دماغ الجندي العجوز الخارق لاختراقه.

- ارجعوا.

كانت كلمات ألك مقطوعة عندما هز البرج بأكملها لثانية. كاد مارك أن يسقط الجهاز اللوحي في محاولته للحفاظ على توازنه. تسلس المصباح من ذراعه وتعلق بالأرضية، وسقط.

- ماذا كان ذلك؟

سأل مارك، على الرغم من شعوره بأنه يعرف.

لم تكن الكلمات قد غادرت فمه إلا بالكاد عندما ملأ صوت التروس الكاشفة والحديد الهواء، إذ كان يعبر باب الكوة. لا بد أن أحد أفراد عائلة بروس قد ضغط زرًا في مكان ما. كان المهبط في الغرفة المركزية يدور من جديد.

الفصل الحادي والأربعون

صرخ ألك في مارك:

- بسرعة، لا بد أن تغلق الكوة! إن عناصر التحكم بجانبها تمامًا. سأشغل هذا الشيء، وسوف ننفذ به في الأرض من فوقنا إذا اضطررنا إلى ذلك! نفذ ألك من الحجرة دون أن ينتظر ردًا، ودخل إلى أعماق السفينة، واختفى معه الضوء لسوء الحظ، تاركًا مارك في الظلام المخيف وحيدًا. لكن ضوءًا شديد الخفوت كان قد ظهر بالفعل عبر الصدع الأول في المهبط الدوّار، ليجد مارك مصباحه.

التقطه، ثم هرع إلى حيث وجد لوحات العمل ليثبتهم ثانية، أملًا أن تعمل لفترة كافية حتى يستطيع رؤية المعلومات المسجلة عليها. ثم أشعل المصباح اليدوي، ونظر بسرعة في أركان الغرفة بالشعاع الساطع. سمع أصواتًا -صراخًا- بين أصوات منصة المهبط، وعاد عقله إلى الواقع القاسي. كان لديهما زوار بالفعل، على الأرجح كانوا يستعدون للنزول من الأعلى كما فعل هو وألك في وقت سابق. كان عليه أن يغلق الكوة قبل أن يحاول الناس الصعود على متن المركبة.

ركض نحوها وبدأ بالبحث. كان الباب محاطًا بأشياء مثل الأسلاك وخطاطيف الحبال والصفائح التي ربطت الهيكل المكشوف للآلية الهيدروليكية بالباب مع أعطية جدارية أكثر جمالية لغرفة الشحن الكبيرة. وجد أدوات التحكم على الجانب الأيسر ودرسها، منتقيًا الزر الصحيح وضاعطًا عليه. اشتغل المحرك، بدأ باب المنحدر يغلق بصوت صرير عال وهو يعلو.

سمع المزيد من الأصوات، أقرب الآن. بدا وكأنه سيضطر إلى قتال مطارديهم حتى أغلق الباب تمامًا. تحرك بعيدًا عن الأنظار واتكأ على الجدار، ناظرًا حوله وكأنَّ سلاحًا سحريًا سيظهر أمامه من العدم. ولكنه سرعان ما تقبل الواقع: كل ما كان لديه هو المصباح وقبضته.

بدا أن المدخل يستغرق الأبدية كلها حتى ينغلق، حيث صعد إلى منتصفه لا غير. صرَّت مفاصله بينما استمر المربع المعدني بالانغلاق كفخ للناموس. استعد مارك، متأكدًا أن الدخلاء سيتمكنون من الوصول إليه قبل أن ينغلق بشكل كامل. فأمسك بالمصباح اليدوي، مستخدمًا إياه كسيف قصير مستعدًا للقتال. كانت الغرفة في الخارج أخف وزنًا من ذي قبل، مما يعني أن المهبط كان يدور عمودياً على الأرجح.

قفز شخصان إلى المنحدر الصاعد وبدأ التسلق على متن المركبة. رجل وامرأة. تقلصت عضلات مارك ومد ذراعه في الأرجاء، صائحًا بالرجل أن يبتعد، لكنه لم يفعل ذلك وأمسك الرجل بقميص مارك ثم انتزع جسده بالكامل إلى الأمام. أفلت مارك قبضته عن المصباح اليدوي، الذي كان يطير في نهاية المطاف في الخارج؛ الصوت وآثار الزجاج تشير إلى انطفائه. ارتطم مارك بمعدن الكوة وحدق إلى وجه الرجل، لم يكن لديه أي تعبير على الإطلاق، ولا حتى علامة على التعب أو الإجهاد من الصعود الذي قام به للتو.

قال الغريب بهدوء كما لو أنهما جلسا معًا لشرب فنجان قهوة:

- أنتما جاسوسان لعينان. ولجعل الأمر أكثر سوءًا، فإنكما تحاولان سرقة البرج الخاصة بنا. والأدهى أنك شديد القبح، ألسنت كذلك؟

فأجاب مارك:

- كنت سأقول عنك نفس الشيء.

أصبح الوضع عبثيًا.

تصرف الرجل كما لو أنه لم يسمع، ونادى الشخص الآخر:

- لقد قبضت عليه. ادخل وامنع الباب من الإغلاق.

ميَّز مارك هوية هذين الشخصين. الطياران. لقد سمعهما يتحدثان قبلاً.

قال مارك:

- آسف يا رجل.

تحول إحساسه بالواقع إلى رفرقة غريبة في صدره، مما جعله يشعر بأنه يكاد يخرج من جسده. كان رأسه يخفق من الألم.

- أخشى أنه لا يمكنني السماح لك بالدخول دون تحديد هويتك.

بدا الرجل مدهوشًا قليلًا. كان شريكه أبعد، على حافة الباب، يزحف ليدخل قبل أن يغلاق. حدث شيء ما داخل مارك، لم يفهم ما هو، لكن شيئًا ما بدا مختلفًا، ولم تكن هناك طريقة للسماح لهؤلاء الأفراد بالدخول.

أمسك مارك قميص الرجل وضرب المرأة بقدمه اليسرى، ضربها في منتصف جسدها مباشرة، صرخت وانتفضت للخلف، مجاهدة للإمساك بزميلها. ولكن الأوان كان قد فات. وقعت وسقطت من الحافة الصاعدة، ليرتطم رأسها بركبة الطيار الآخر. سمع مارك دوي جسدها على أرض الغرفة.

كان باب الكوة مغلقًا تقريبًا الآن، فجوة طولها خمسة أقدام على الأكثر، تتحرك ببطء مؤلم. كان الرجل قد استند على حافة الباب ليرى ما إذا كان صديقه على ما يرام، لكنه استدار الآن ليووجه مارك مرة أخرى، وهو يشعر بالغضب الشديد. شعر مارك بالغضب أيضًا. لم يشعر بشيء مثله من قبل. مثل عاصفة تتفجر من الداخل.

مد يده وأمسك قميص خصمه، وضغطه في كفه، ثم صاح بكلمة خففت حدة العاصفة داخله.

- دورك.

الفصل الثاني والأربعون

رد الرجل غاضبًا:

- ستموتان.. ستموتان الآن.

أجاب مارك:

- كلا، لن نموت.

جمع قبضته وغرسها في خد الطيار. صرخ الرجل، ثم ألقى يديه إلى الأمام، متشبهاً بشعر مارك ووجهه وملابسه. تشبث بقميص مارك وكتفه وأمسك به في وضع المصارعة. تدرجاً على باب الكوة. خدشت الحافة المعدنية ظهر مارك عندما ضغط الطيار عليه من الأعلى، مائلاً إلى الأمام وذراعه محفورة في عنق مارك، قاطعاً وصول الهواء إلى قصبته الهوائية.

قال الطيار بصوت خفيض وحشي:

- لقد استفزت الرجل الخطأ اليوم. كان لدي ما يكفي من الناس الذين يحاولون إثارة غضبي دون أن يحاولوا سرقة سفينتي. سأفرغ غضبي فيك يا فتى. وسأقوم بذلك على مدى فترة طويلة جداً من الزمن. هل تفهم؟

تراخى ذراعه، ليمتص مارك نفساً يملأ رئتيه. فأمسك به الطيار من القميص وجلس واضعاً كل وزنه على معدة مارك. رفع الرجل نفسه ثم انحنى بقبضة ليضرب مارك في فكه. شعر وكأن شيئاً ما قد اخترق وجهه. ثم لكمه الطيار مرة أخرى وتضاعف الألم. أغلق مارك عينيه وحاول ترويض الغضب

الذي يتراكم بداخله كرد فعل نووي. كم من الضربات يمكنه أن يتلقاها في يوم واحد؟

قال الرجل بثقة المُنتصر:

- من الأفضل ألا يُغلق هذا الباب نهائيًا الآن. بقدر ما سيكون من الممتع أن تشاهد رأسك وهو ينفجر كحبة العنب، أعتقد أنني أفضل أن أستغرق المزيد من الوقت.

زحف من فوق جسد مارك واقفًا على قدميه، ثم ذهب إلى جهاز التحكم وضغط على شيء ما. كان هناك وميض شعر به مارك في ظهره، ثم صرخة، ثم صوت الإيماءات البطيئة بينما بدأ الباب يفتح مرة أخرى. كان بإمكانه أن يرى الغرفة وهي تزداد خفة عن أي وقت مضى. لا بد أن المهبط قد دار دورة كاملة، وهو الآن يهبط إلى الأرض. خلال دقائق قليلة، سيكونان في مواجهة كل أفراد عائلة بروس، بلا دفاع وهم يهجمون على متن السفينة وينهون كل شيء.

وبمقاومة الرغبة في التحرك، انتظر مارك، تاركًا الغضب في داخله يستمر في النمو.

عادَ الطيار إلى مارك، ثم انحنى وأمسك بقدميه ورفعهما بفتور.

- هيا، الآن. دعنا نأخذك في وضع جيد.

بدأ يُورجج جسد مارك في الأرجاء بينما كان يسير في الجانب الأعمق داخل غرفة الشحن في البرج.

- سوف أحرص على أن تكون لطيفًا وتضغط قبل...

اندفع مارك وهو يصرخ ويركل بينما كان يلتف ليتنفس مقلتًا من قبضة الطيار. تعثر الرجل إلى الورا حتى اصطدم ظهره بالحائط المجاور لباب المصعد. سارع مارك إلى الوقوف وهو يميل إلى الأمام، وأخيرًا ضرب كتفه في بطن الرجل. تمايل الرجل ولف ذراعيه حول ظهر مارك، فوق كلاهما على الأرض. تدحرجا وتعثرا وهما يشتبكان. حاول مارك ضرب الرجل بين فخذه بركبته، لكن الرجل صدّه، ثم أمسك بذقن مارك.

رجع رأس مارك للخلف وسقط من فوق الطيار، الذي قفز إلى الأمام، وصعد فوقه مرة أخرى. لكن مارك لم يتوقف قط عن الحركة، مستعملاً زخمه ليعود إلى الوراى ويدفع الرجل. ثم نهض وركض إلى غرفة المراقبة، مدرِّكاً بصدمة الرعب أن باب المنحدر قد هبط عدة أقدام، وقد يصعد الناس على متن السفينة عندما تكون مفتوحة تماماً.

ضغط زر الانسحاب بسرعة فأزَّ الباب، ثم بدأ الإغلاق مرة أخرى. لقد كان فقط يلتفت للخلف ليووجه عدوه عندما قام الرجل بمخاطبته، فتصادم جسدهما على الجزء الكبير من مفاصل الباب. انزلقا بضعة أقدام، إلى الحافة مرة أخرى. نفض مارك جسده وأمسك بقميص الطيار بكلتا يديه، محاولاً إخراجه عبر ثغرة الباب، لكن الرجل ثبت قدميه على الأرض وتمكن من دفع نفسه فوق مارك.

ناضلا بعضهما ضد بعض بلجمات وركلات. كان مارك متعباً وجائعاً وضعيفاً، لكنه قاتل، تغذى بالأدريالين وحده. تخيل ترينا هناك في مكان ما، محتجزة من قبل مشعلي الحرائق، غالباً ما زاد جنونهم بعد كارثة حريق الغابة. كان عليه أن يعيش. كان عليه أن يجدها. لم يستطع أن يدع هذا الرجل يقف في طريقه. لينفجر كل هذا الغضب -مفاعل الحرارة والنار والألم المتأجج الذي اشتعل في صدره- أخيراً.

ترنح بقوة لم يكن يعلم أنه يمتلكها، وأزال الطيار من فوقه. كان الرجل على رأسه قبل أن يستطيع أن يصحح وضعه، ويدفعه ليستقله على ظهره، ويلكمه. كان هناك دم. الصوت المروع لأنسجة تتمزق. شعر مارك بأنه منفصل عن جسمه، لم يستطع الرؤية بشكل صحيح. الأضواء الساطعة الصغيرة ترقص أمام عينيه، وجسمه يرتعش، يشعر بأن الدم يغلي في عروقه. لقد كان على علم أن باب المدرج كان مغلقاً تقريباً. على مستوى ما لاحظ جدران الحجر، الناس يصرخون ويصرخون، ويستعدون لمهاجمة البرج. لكن مارك قد فقد السيطرة تماماً.

نظر إلى الأسفل، فوجئ بنفسه يجر جسم الرجل إلى حافة المنحدر، ويدفعه إلى منتصف الطريق بحيث يعلق رأس الرجل وكتفاه فوق شفة المنحدر في الهواء الطلق. حاول تحرير نفسه من قبضة مارك، لكن مارك

لم يسمح له. مد يده ولكم الرجل ثانية، فصرخ الطيار وحلق بعنف، مدرِّكًا بوضوح ما قصده مارك، ربما أكثر وعيًا من مارك نفسه. واستمر في ذلك، وأبقى الرجل في منصبه، نصف بالداخل، ونصف بالخارج. تغير شيء داخل مارك. كانت أفكاره تركز فقط على الرجل الذي يمسك به وعلى جعله يدفع ثمن كل شيء. كان الغضب كالضباب يعبق في رأسه، ولم يستطع إيقافه. حدث أمر ما.

أغلق باب المنحدر على صدر الطيار، ثم اعتصره وهو ينطلق بشكل كامل. الصرخات التي خرجت من الرجل كانت مروعة، زلزلت أعماق مارك، وانتزعته من الغضب الشديد الذي غرق فيه. كما لو كان يرى للمرة الأولى، أدرك ما كان يفعله. تعذيب إنسان آخر (صوت عظام الرجل والضلوع، صوت مفصلات الباب وهي تستمر في الضغط على الحاجز تبقي الباب مفتوحًا) شعر مارك بهيجان الرعب في نفسه.

لقد دفع بجسم الطيار، لكن كان ممزقًا في الفجوة الضيقة، وبدا أن صرخاته تهز معدن البرج، تهز كل شيء من خلاله. تماسك مارك في المكان ونزل على ظهره، وضغط على المرفقين في وجه المنحدر، ثم بكل قوته، دفع الرجل برجليه، فتزحزح بضع بوصات أكثر. صرخ مارك بينما كان يرفس ويركل، ويدفع الجثة بعيدًا عنه، محاولًا إنهاء بؤس الرجل. وبضربة أخيرة، أطلق مارك الطيار. اختفى الرجل عبر الفجوة وأغلق باب المدرج بقوة.

الفصل الثالث والأربعون

ملأ الصمت العميق والمخيف غرفة الشحن، إلى جانب ظلمة شبه كاملة، وانقطع الصمت بعد ثوانٍ بسبب صوت المحرك، ثم تحركت البرج على القضبان لتعود إلى الحجرة المركزية.

ألقت عيناه الظلام، فانتفض واقفًا وسار إلى الحائط، واندفع إلى مكانه. أحس بشيء في الداخل لم يحبه.

لف ذراعيه حول ركبتيه ودفن رأسه هناك. لم يفهم حقًا ما حدث له للتو. تلك الأضواء الراقصة، تلك الكرة النارية الغاضبة، يضح الأدرينالين كمكبس محرك غاز قديم. لقد استهلكت وخرج عن السيطرة، كل جزء منه يريد تدمير ذلك الطيار. كاد أن يكون سعيدًا عندما كان الرجل مسجى في الباب المغلق، ومن ثم يعود إلى رشده ويدفع الرجل للخارج. كأنَّ مارك قد فقد...

نظر إلى الأعلى عندما أدرك الحقيقة. لقد فقد عقله لثانية. تمامًا. ومجرد أنه يبدو وكأنه عاد إلى رشده الآن لا يعني أنه لم يفعل. فدفن نفسه ببطء على طول الجدار حتى وقف، وطوى ذراعيه المرتعشتين.

الفيروس. المرض. الشيء الذي هاجم الدماغ البشري كما وصفه الرجل المسمى أنطون في الثكنات. مما ذكَّره بشيء آخر سمعاه هناك، ومن المفارقة أن الطيار نفسه قد سمعه يتحدث في وقت سابق. كلمة واحدة.

لقد أُصيب مارك، عرف ذلك بكل حواسه. لا عجب أن رأسه كان يؤلمه بشدة. كان مصابًا بالفيروس.

الفصل الرابع والأربعون

حل عليه هدوء مفاجئ.

ألم يتوقع هذا؟ ألم يتصالح مع حقيقة أن فرصهم في عدم التقاط العدوى كانت تقارب الصفر؟ ربما أُصيب ترينا، ولانا وألك أيضًا. لم يفهم لماذا بدت ديدي محصنة ضد هذا الشيء، لقد أُطلقت عليها سهام الفيروس منذ شهرين. ولكن ماذا قال بروس؟ كان ذلك منطقيًا: أي شخص يخاطر بنشر فيروس لا بد من أن يجهز بعض الحماية لنفسه. كان يجب أن يكون هناك علاج، ترياق في مكان ما. لم يكن الأمر منطقيًا بأي شكل آخر. ربما، فقط ربما، كانت هناك بارقة أمل. ربما.

كم مرة واجه الموت في السنة الماضية أو نحو ذلك؟ اعتاد ذلك الآن. كل ما يمكنه فعله هو التركيز على الخطوة التالية: ترينا. كان عليه أن يجد ترينا. حتى ولو كان ليموت معها.

فوجئ عندما ارتجَّت البرج متوقفة فجأة. ثم كان هنالك المزيد من أصوات التروس والبكرات. كان المهبط يرتفع أخيرًا نحو السماء. لقد عادت البرج إلى الحياة... أضواء تخفق فوق الرؤوس ومحركات وآليات تنتعش.

ركض مارك بنشاط مفاجئ مسرعًا نحو باب غرفة الشحن. إذا كان ألك حقًا سيطير بهذا الشيء، كان عليه أن يراه بعينه.

بدا ألك مرتاحًا في مقصورة القيادة أكثر من أي وقت مضى، فقد كان شعلة من النشاط... يضغط الأزرار والمفاتيح ويعدّل أوضاع المقابض.

سأله ألك، دون أن يتوقف لمدة كافية ليرمي مارك بنظرة:

- ما الذي استغرقك كل هذا الوقت؟

- وقعت في مشكلة صغيرة.

كان آخر ما أراد مارك فعله هو التحدث عن ذلك الآن.

- هل ستتمكن حقًا من أن تطير بنا في هذا الشيء؟

- نعم. خزان وقودها نصف ممتلئ، وتبدو جميلة وعلى ما يرام.

وأوماً برأسه ناحية النوافذ في مواجهته، حيث كان بإمكان مارك رؤية صف من الأشجار يلوح في الأفق.

- ولكن من الأفضل أن نسرع قبل أن يهجم علينا المعاتيه ويقتحموها بشكل ما.

هرع مارك إلى المقدمة ليرى بشكل أفضل. ورأى وهو يميل عددًا لا بأس به من قوم بروس محتشدين بالخارج على حافة المهبط. بدوا تائهين، مشيرين إلى هذا الطريق وذلك، من الواضح أنهم غير متأكدين مما يجب عليهم فعله. لكن بعضهم كانوا قريبين جدًا من السفينة، مشغولين بعمل شيء ما، على الرغم من أن مارك لم يمتلك زاوية الرؤية المناسبة لمعرفة ماهيته. لتبرز فكرة مقلقة في رأسه.

سأل:

- ماذا عن باب الكوة؟ كنت قادرًا على فتحها من الخارج، أليس كذلك؟

- أول ما فعلته هو تعطيل هذه الخاصية، لا تقلق.

كان لا يزال مشغولًا بلوحة التحكم.

- سنطلق هذه الطفلة خلال دقيقة واحدة تقريبًا. يستحسن أن تضع مؤخرتك النحيقة على المقعد وتربط حزام مقعدك.

- حسنًا.

لكنه أراد أن يلقي نظرة أخرى إلى الخارج أولاً. جال حول ألك وذهب إلى صف النوافذ في الطرف الآخر ليلقي نظرة خاطفة. كان هذا الجانب أقرب لجدار الوادي قليلًا، وخطف الحجر الرمادي انتباهه قبل أن ينظر إلى الأسفل.

كانت عيناه تجريان على طول جدران الجرانيت، ولاح شيء في مجال رؤيته ليتجمد مصعوقًا. رأس مطرقة ضخمة يرتفع ويهوي على الزجاج. اصطدمت بصوت تهشم عالٍ لترسم شبكة من الشقوق في جميع أنحاء النافذة. وتسلق شخص ما جانب البرج.

قفز مارك إلى الخلف بينما صرخ ألك متفاجئًا.

صاح مارك:

- أسرع، حلق بنا في الهواء!

- ماذا تظنني أفعل؟

بدلًا ألك جهوده أكثر مركزًا على لوحة التحكم، واقترب بإصبعه من زر أخضر ساطع على الشاشة.

نظر مارك إلى الخلف في النافذة في الوقت المناسب تمامًا ليرى المطرقة تهوي مرة أخرى، مهشمة باقي الزجاج بصوت رهيب وشلال من شظايا الزجاج تتطاير على لوحة التحكم، وتبعثها المطرقة ذاتها، مرتطمة باللوحه وبالارض. ثم ظهر وجه الرجل عند الثغرة التي صنعها، متبوعًا بيديه وساعديه وهو يتسلق.

صرخ ألك:

- تخلص من هذا الرجل!

وفي الوقت نفسه ضغط على الزر الأخضر وحلقت البرج مبتعدة عن الأرض، وهديرها يملأ الهواء كزئير أسود غاضبة.

استعاد مارك توازنه ومال ليلتقط المطرقة، وما إن التفت أصابعه حول المقبض حتى أخذ أحدهم حفنة من شعره وشدها بقوة، فأطلق مارك صرخة ألم وأسقط المطرقة، ضرب بقبضتيه اليد والذراع اللتين أمسكتا به، لكن الرجل تمسك بقوة، وسرعان ما وضع ذراعه الأخرى حول عنق مارك، ثم تراجع، حاملاً معه مارك.

ضرب رأس مارك الحافة العليا من إطار النافذة المكسورة وانزلق من خلاله إلى هواء الصباح الساخن، ثم خرج نصف جسمه حتى الخصر، وأمسك بإطار النافذة ليمنع نفسه من السقوط. كل ما استطاع أن يراه هو رؤوس

الأشجار والسماء الزرقاء في الخلفية، وأدرك برعب أن الرجل كان يتعلّق بالبرج ممسكًا به، حيث لم يزل متمسكًا بشعره ورقبته. وللمرة الثانية في ذلك اليوم، لم يستطع مارك التنفس.

كانت البرج ترتفع نحو السماء، ألقى مارك نظرة سريعة على ألك وهو يرقبه عبر النافذة وعيناه متسعتان من فرط الصدمة. ثم تحرك ألك بعيدًا عن أنظاره، تاركًا البرج تحوم على ارتفاع عشرات من الأقدام لا غير فوق الأرض، ثم شعر مارك بالرجل يجذب ساقيه، مما جعل الألم في عنقه ورأسه يزداد سوءًا. وانطلق نباح مختنق - بصوت أفزع مارك أكثر من الألم - بشكل ما من حنجرتة.

سحبه ألك من الأعلى، وتعلق الرجل به بالأسفل، وبدا وكأن جسده موضوع في أحد أجهزة تعذيب القرون الوسطى، يمطُّ عظامه وأوتاره. تساءل إن كان ممكنًا لرأسه أن ينخلع طائرًا كالفلين من زجاجة. وأدرك أنه مع تمسك ألك به يمكنه ترك إطار النافذة، وأوسع ذراعي أسره ضربًا وخمضًا. كان العالم مقلوبًا رأسًا على عقب، وبدت أرض الوادي كسماء مصنوعة من التراب والصخر.

انزلق مارك عبر النافذة عدة بوصات، وهزّه الرعب النقي كصدمة كهربائية قبل أن يتوقف انزلاقه مرة أخرى. مرَّ بمجال رؤيته سريعًا شيء غامض، كتلة سوداء يعقبها عمود رفيع بلون بني فاتح. المطرقة! دوى صوت اصطدام فظيع وتكسير ثم صرخة. لقد رمى ألك السلاح في وجه الرجل.

انزلقت ذراع الرجل القابضة حول عنق مارك ثم سقط أرضًا. والتقط مارك أنفاسه بشراهة ممتصًا الهواء الحلو.

سحب ألك جسده ببطء للأعلى عبر النافذة، ثم سقط على الأرض. ولمس مارك عنقه النابض بالألم وهو لا يزال يجاهد لالتقاط أنفاسه.

نظر الجندي العجوز إليه بحرص، ووقف حينما أدرك أن مارك سيبقى على قيد الحياة، وعاد إلى لوحة التحكم وحلّق بالبرج نحو السماء.

الفصل الخامس والأربعون

لم تتوافق مَعِدَة مارك مع الحركة المفاجئة للبرج. حَلَّقَ ألك بها عاليًا حتى خرجت من جدران الوادي، ثم قادها بسرعة إلى الأمام كما لو كانت قد أطلقت من مقلع. انقلبت دواخل مارك مع موجة من الغثيان، وزحف على يديه وركبتيه حتى وجد الحمام أخيرًا. سحب نفسه إلى الداخل وتقياً. لا شيء سوى العُصارة المعدية والحمض. واحتترقت حنجرته كما لو أنه قد ابتلع موادَّ كيميائية حارقة.

جلس لفترة، حتى تمكن من المشي عائداً إلى قمرة القيادة.

- الطعام. أخبرني من فضلك أن هناك طعاماً.

سأله ألك:

- وماء؟ سيكون ذلك جيداً أيضاً.

أوماً مارك برأسه على الرغم من أن العجوز لم يستطع رؤيته.

- دعني أهبط بهذا الشيء في مكان ما أولاً. أودُّ أن أبقّيها طائفة، لكن لا

يمكننا إهدار كل الوقود. سنحتاج إليه. لكنني أراهن أن كتلة الخردة تلك

فيها ما يمكن أن نلقيه في جوفينا، ثم سنذهب للبحث عن صديقاتنا.

همس مارك:

- أرجوك.

كان جفناه ينغلقان، ليس لأنه كان متعبًا، كان يعلم أنه على وشك فقدان الوعي لانخفاض مستوى السكر في دمه -بدا وكأن آخر وجبة له كانت منذ أسبوع- ومن فرط العطش، شعر وكأن فمه دلو من الرمل.
قال ألك بهدوء:

- لقد مررت بتجربة صعبة. أعطني دقيقة أو اثنتين فقط.

جلس مارك على الأرض مرة أخرى وأغلق عينيه.

لم يفقد وعيه تمامًا، ولكن العالم كان بعيدًا، كأنه يشاهد مسرحية من الصفوف الخلفية، وهو ملقى على الأرض، مع بضع بطانيات فوق رأسه. كانت الأصوات مكتومة ومعدته تنئن جوعًا.

تباطأت البرج أخيرًا، ثم اهتزت المركبة بدوي حاد تلاه صمت وسكون. مر الوقت على مارك بثقل عندما تيقن أن النوم قادم، ومعه الذكريات. حارب ليظل مستيقظًا، لم يعلم إن كان مستعدًا لمواجهة الماضي في هذه اللحظة. سمع خطوات من بعيد، ثم خاطبه ألك.

- هاك يا بني. تلك وجبة عسكرية تقليدية، لكنها طعام مغدًا. سوف تعيد إليك نشاطك. لقد طرت إلى منطقة خالية بين المخبأ ووسط مدينة أشفل. ويبدو أن جميع المعاتيه قد فروا من النار وتوجهوا إلى الجنوب.

فتح مارك عينيه، جفناه ثقيلان بشدة لدرجة أنه كاد أن يستخدم أصابعه لرفعهما. رأى ألك مشوشًا في البداية، ولكن مرآه قد اتضح بعدها. أمسك بورق ألومنيوم داخله قطع من... شيء ما أعلاه. لا يهم. لا يهم على الإطلاق. أخذ مارك ثلاثة منها وحشر في فمه اللقم اللذيذة الرائعة. مالحة بطعم اللحم البقري، ولكن عندما حان وقت البلع، كان بالكاد يستطيع ابتلاعها.

بدأ بالكلام:

- و...

ولكنه انطلق في نوبة سعال ألقط بالطعام الذي لم يستطع ابتلاعه في وجه ألك.

مسح صديقه الطعام عن وجهه.

- جميل. رائع حقًا.

صاح مارك بصوت مبحوح:

- ماء.

- نعم، أعلم. هاك.

وأمسك بقربة ماء، كان بإمكان مارك سماع السائل الذي يتدفق داخلها.

جلس مارك وهو يئن من صدمة الألم التي زلزلت جسده.

قال ألك:

- خذ حذرك. لا تشرب بسرعة وإلا ستمرض.

- حسنًا.

أخذ مارك القربة، وتوقف ليثبت يديه، ثم رفعها للأعلى ووضع طرفها على شفته السفلى. فاندفعت مياه مجيدة باردة إلى فمه ونزلت في حلقه. كافح السعال، مركزًا على البلع دون إضاعة قطرة. ثم شرب المزيد.

قال ألك محذرًا:

- يكفي ذلك، يمكنك الآن أكل بعض من الطعام الذي جلبته من خزانة الطعام.

فعل مارك ذلك، وكان طعمها أفضل هذه المرة. أكثر ملوحة وبدا طعم اللحم أشهى. صار الوضع أسهل بقم وحلق مرطبين بالماء أيضًا، على الرغم من أنه كان يعاني ألمًا شنيعًا في حنجرته. تراجع صداع رأسه قليلًا مع عودة بعض القوة إلى عضلاته. وكان أفضل الأخبار على الإطلاق أن غثيانه قد زال. شعر بتحسُّن بما فيه الكفاية لدرجة أنه أراد النوم.

قال ألك وهو جالس:

- تبدو وكأن بضعة مصابيح في دماغك تعمل مرة أخرى.

واسترخى على الحائط وحشر الطعام في فمه.

- هذا الهراء ليس بهذا السوء، أليس كذلك؟

أجاب مارك بابتسامة ضعيفة:

- يجب ألا تتكلم وفمك ممتلئ. ليس ذلك من التهذيب.

- أعلم.

تناول ألك المزيد من الطعام وبالع في حركة فمه للتأكد من أن مارك رأى كل شيء يمضغه.

- أي نوع من الأشخاص يلزم أن يقال له شيء كهذا؟ أعني، ألم يكن لدي أم؟

ضحك مارك. ضحك بشدة حتى ألمه صدره وحلقه، وأخذ يسعل. وعندما تعافى، سأل:

- أين أخذتنا مرة أخرى؟

ثم استأنف الأكل.

- حسنًا، مخبأ البرج يقع غرب أشقل. لذلك جئت إلى الشرق قليلاً هناك بعض الأحياء الفخمة في هذا الجانب من الجبال. لقد لاحظت الكثير من النشاط على بعد بضعة أميال إلى الجنوب، وأعتقد أنه قد يكون إلى حيث فرَّ كل هؤلاء الناس من تجربتنا الجميلة في حرائق الغابات بعد أن أحرقوا الغابة. يبدو الأمر هادئاً هنا.

توقف لأخذ قضمة أخرى.

- إننا نقف في شارع مسدود... حي شديد الفخامة. أو كان كذلك قبل أن يُخبز في الفرن. كان هناك الكثير من الأغنياء خارج أشقل، كما تعلم. ومعظم هذه البيوت قد دُمّرت الآن.

- ولكن ماذا عن ...

أمسك ألك بيده لإيقاف سؤال مارك.

- أعرف ذلك. وبمجرد أن نحصل على بعض الطاقة وساعات قليلة أخرى من النوم، سوف نجد صديقاتنا.

لم يرد مارك إضاءة أي ثانية، لكنه يعرف أن ألك محق. كانا بحاجة إلى الراحة.

- هل هناك أي علامة على ... أي شيء؟

- اعتقدت أنني تعرفت على بعض الأشخاص عندما كنا نطلق فوق المكان ناحية الجنوب. أنا شبه متأكد أنهم أهل مستوطنة ديدي. علينا فقط أن نرى ما إذا كانت لانا والأخريات هناك أيضًا، مثلما قال بروس.
- أغلق مارك عينيه لثانية، غير متأكد مما إذا كان هذا شيئاً يجب عليه تمنيه. توقفاً ليأكلاً ويشرباً المزيد. كان مارك فضولياً لرؤية ما يبدو عليه الأمر في الخارج، لكنه كان متعباً إلى حد لم يمكّنه من القيام والمشي ناحية النافذة. بالإضافة إلى أنه رأى ما يكفيه وزيادة من الهياكل المحترقة التي كانت الناس تسكنها قبلاً.
- هل أنت متأكد أننا في أمان هنا؟ لقد كسر رجل هائج ذو مطرقة إحدى نوافذنا، إن كنت تتذكر.
- لم يقترب أحد بعد. كل ما يمكننا فعله هو إبقاء أعيننا مفتوحة. وعندما نذهب للبحث عن لانا وعنهن، سيكون علينا فقط أن نأمل ألا يلاحظ الناس ذلك المدخل الإضافي.
- تذكره للرجل صاحب المطرقة جعل معدته تتقلص، مما جعله يفكر فيما حل به عندما قتل الطيار على باب الكوة.
- لاحظ أنك أن هناك خطباً ما.
- أعلم أنك لم تكن تشرب الشاي وتأكل الفطائر عندما تركت في غرفة الشحن طوال ذلك الوقت. هل أنت مستعد لإخباري بما حدث؟
- لمح مارك نظرة محرّجة شبه عصبية في صديقه.
- لبضع دقائق بدا الأمر وكأنني فقدت السيطرة على نفسي، وبدأت أتصرف بشكل غريب، بشكل أقرب للسادية.
- يا بني، هذا لا يعني أي شيء. لقد رأيت الكثير من الرجال الصالحين يفقدون صوابهم في ساحة المعركة، ولم يكن هناك فيروس لنلقي باللوم عليه في ذلك الوقت. هذا لا يعني أنك... مصاب به. يفعل البشر أشياء مجنونة للبقاء على قيد الحياة. ألم تُمضِ العام الماضي في رؤية ذلك كل يوم؟
- لم يشعر مارك بتحسن، وقال:

- كان هذا... مختلفًا. وللحظة، شعرت بمتعة وكأنني في صباح عيد الميلاد وأنا أشاهد رجلًا يُسحق حتى الموت.

- حَقًّا؟

نظر ألك إليه لفترة طويلة، ولم يكن لدى مارك أي فكرة عما كان يفكر فيه الرجل.

- سوف يحلُّ الظلام بعد بضع ساعات. لا فائدة من التجول في الليل. دعنا نحصل على جرعة طويلة من النوم.

أومأ مارك برأسه، وكان مضطربًا بشدة. تساءل إن كان عليه أن يبقى فمه مغلقًا. تئائب واسترخى وهو يخطط للتعامل مع كل ما حدث، أن يفكر في أحواله لبعض الوقت.

لكن المعدة الممتلئة، وحصيلة الأسبوع من الإرهاق، جعلته يفقد الوعي. وبطبيعة الحال، جاءت الأحلام بعد ذلك.

الفصل السادس والأربعون

مارك في غرفة مؤتمرات في مبنى لنكولن، متكور تحت الطاولة الضخمة التي كان الرجال والنساء ذوو الحيثية يتجمعون حولها ليتحدثوا عن أشياء شديدة الأهمية. تعاني معدته من الطعام غير الصحي الذي يتناوله منذ أسابيع ومن الصودا التي تنبعث من آلات البيع المنتشرة في أنحاء المبنى. لقد تطلب الأمر بعض العمل لفتح بعض الأشياء، لكن جنديين سابقين مثل ألك ولانا تدربا على كسر الأشياء لفتحها، أليس كذلك؟ الأشخاص والأشياء على حد سواء.

مبنى لنكولن مكان فظيع، أكثر سخونة من الجحيم. انبعثت من هؤلاء الأشخاص رائحة تعفنُ خانقة، نفس الأشخاص الذين لقوا حتفهم بسبب أول انفجار للحرارة والإشعاع. إنهم في كل مكان. قام مارك وأصدقاؤه الجدد بتطهير الطابق الخامس عشر بأكمله، ولكن الرائحة الخانقة ما زالت تعبق في الهواء. هذا شيء لا يمكنك اعتياده. وبالطبع، لا شيء يمكن فعله. فقد استقر الملل كالسرطان في المبنى، مستعد ليذهب بعقله، ناهيك بتهديد الإشعاع في الخارج، على الرغم من أن ألك يعتقد أن الإشعاع أصبح يتضاءل أخيرًا، وعلى الرغم من ذلك ابتعدوا عن النوافذ قدر الإمكان.

لكل ذلك، هناك شيء واحد يظل مارك يفكر فيه والذي يجعل الأمر كله يبدو ليس بهذا السوء: لقد أصبح هو وترينا أقرب من أي وقت مضى، قريبين جدًا. يبتسم كالأحمق ويُسرُّ أن لا أحد يمكنه رؤيته.

يُفتح الباب ويُغلق، ثم صوت خطوات. علبة تتدحرج على الأرض وشخص ما يهمس بالسباب.

يهمس أحدهم:

- مرحبًا.

يعتقد مارك أنه باكستر.

- هل أنت مستيقظ؟

جاء رد مارك المهذب:

- نعم. ولو لم أكن كذلك فلقد استيقظت الآن. لست بارعًا في التسل.

- عذرًا. لقد أرسلتُ لأعثر عليك، هناك قارب يتجه إلى برودواي، يتجه مباشرة نحونا. تعال وألقِ نظرة.

لم يعتقد مارك قط أنه سيسمع هذه الكلمات، قارب يبحر في أحد أشهر شوارع العالم، حيث يفترض أن تقود السيارات. ولكن مانهاتن تحولت إلى شبكة من الأنهار والمجاري المائية، حيث تنعكس أشعة الشمس الحارقة باستمرار على المياه بومضات مذهلة تكاد تعميهم، وكأنَّ السماء من فوقهم ومن تحتهم. سأل مارك أخيرًا، مدرِّكًا أنه كان صامتًا لبضع ثوان، مذهولًا من الأخبار. يحاول ألا يعلق آماله بأن يُنقذوا:

- هل أنت جاد؟

قال باكستر هازنًا:

- كلا، لقد ابتدعت كل هذا. هيا.

- أظن أن الإشعاعات قد خمدت الآن، إلا إذا كان هناك مسخان يقودان هذا القارب.

يضع مارك يده على وجهه وعينييه، ثم يخرج من تحت الطاولة الكبيرة، فيقف ويتمطى، ويئن ثانية، ويغيط باكستر بتمهله. ولكن بعد ذلك يتغلب فضوله عليه أخيرًا.

ثم يخرجون إلى الردهة، حيث تغمر حواس مارك موجة جديدة من الحرارة والرائحة الكريهة. بعد أسابيع من التعرض لذلك، لا يزال يقاوم رغبته في القيء.

سأل على افتراض أن ألك ولانا هما من اكتشفا القارب ويراقبانه الآن:

- أين هما؟

- في الطابق الخامس. الرائحة أسوأ بآلاف المرات في الأسفل، لكن هذا هو منسوب المياه. إنها مثل الأسماك والبشر المتعفنين. أمل أنك لم تأكل منذ فترة.

مارك يهز رأسه فحسب، لا يريد التفكير في الطعام. لقد سئم من الحلوى ورقائق البطاطس، وهو أمر لم يكن ليتصور أنه ممكن.

يذهب كلاهما إلى مركز للسلاالم ويبدأن رحلة من عشرة طوابق وصولاً إلى الطابق الخامس. كل شيء هادئ ما عدا صوت خطواتهما، حماسة مارك لمعرفة مَنْ قد يكون على متن القارب تتغلب على الرائحة المتزايدة في أثناء نزولهما. هناك بقع دم على الدرج. يرى كتلة من الشعر وكتلة من اللحم على الدرايزين. لا يستطيع تخيل الهلع الذي اندلع في هذا المكان عندما اشتعلت الشمس، والرعب الذي نتج عن ذلك. لحسن الحظ، لم يكن أحد على قيد الحياة عندما وصلا.

يصلان إلى الطابق الخامس وترينا على باب السلاالم.

تقول وهي تومئ سريعاً ليتبعها:

- أسرع!

ثم انصرفت إلى غرفة صغيرة، ثم تحدثت فيما كانا يهرعان عبر رواق طويل نحو الحائط المليء بالنوافذ.

- إنه يخت كبير. يبدو أنه كان لطيفاً وفخماً قبل أن يضرب الوهج الشمسي. الآن يبدو أنه قد صُنِعَ منذ مائة عام. لا أصدق أنه يطفو، أو يمشي من الأساس.

يسأل مارك:

- هل يمكنكم أن تروا من على متنه؟

- لا... لا. من الواضح أنهم بالأسفل. في مقصورة القيادة، أو الجسر، أو أيًا كان اسمه.

يبدو أنها تعرف الكثير عن القوارب مثل مارك.

ثم انعطفا وشاهدا ألك ولانا في قسم انكسرت النوافذ فيه، مياه البحر تنساب على الحائط لمسافة قدم أو نحو ذلك تحتها في الخارج. يجلس العُلجوم ومستي على الأرض يحدقان. يسمع مارك صوت القارب قبل أن يراه، صوت مختنق لمحركات شهدت أياماً أفضل. ثم يرون القارب المتهاك وهو يمر بمبنى صغير، فتغرق مؤخرته في الماء فيما يشق اليخت طريقه. يبلغ طوله نحو ثلاثين قدماً، وعرضه خمسة عشر، مع أشرطة لاصقة ولوحات خشبية رقائقية تغطي الثقوب المتناثرة لتعزل المياه. تبدو النافذة الملساء ذات الشقوق الشبيهة بشباك العنكبوت كعين مشؤومة، ترمقهم وهي تقترب. يسأل مارك:

- هل يعلمون أننا هنا؟

يسمح لنفسه بالتفكير في أن هؤلاء الناس قد يأتون لإنقاذهم، جالبين الطعام والماء على الأقل.

- هل أشرت لهم بالتوقف؟

يجيب ألك بلباقة:

- لا. كما يبدو، فهم يتفحصون كل مبنى. يبحثون عن الطعام، بلا شك. لكنهم رأونا الآن.

تهمس ترينا كما لو أنها لا تريد أن يسمعها الغرباء:

- أتمنى فقط أن يكونوا ودودين.

يجيب ألك بصوت ميت تماماً:

- سأطير من الفرع إن كانوا لطفاء. لا تنسوا أن تأخذوا حذركم. اتبعوني.

القارب قريب جداً الآن، صوته يملأ الهواء مع رائحة الوقود. يستطيع مارك أن يرى الظل الخافت لشخصين خلف النافذة المظلمة الآن، ويبدو أن كليهما ذكر. كلاهما لديه شعر قصير، على أي حال.

وتنقطع محركات اليخت وتبدأ مؤخرته بالتأرجح بحيث يتمكن المركب من الوقوف على جانب المبنى، فيرجع ألك ولانا إلى الورا، ويلاحظ مارك أنه في مرحلة ما، كان العُلجوم ومستي واقفين ناحية الحائط الأبعد. وتقف ترينا وباكستر ومارك على مقربة من بعضهم، فيهدأ التوتر في وجوههم.

يظهر أحد الأشخاص من الجسر على سطح القارب، وهو يمر عبر المدخل من الأسفل. رجل يحمل مسدسًا ضخماً بكلتا يديه، وقد وجه فوهته بالفعل إلى المتفرجين داخل مبنى لنكولن. إنه رجل قبيح، شعره دهني ملتصق برأسه، ولحية مشعثة وكأن نوعًا من الفطر البري ينمو على وجهه، ونظارات شمسية سوداء. جلده قذر لَوَّحته الشمس، وثيابه رثة.

يظهر شخص آخر، ويُفاجأ مارك عندما يرى امرأة برأس حليق، تؤمّن وقوف القارب أمام الجدار، بينما يقترب شريكها من النافذة المكسورة حيث يقف ألك ولانا.

يقول لهم الرجل، ملوحًا بسلاحه زهابًا وإيابًا، متوقفًا للحظة قصيرة عند كل منهم:

- أريد أن أرى جميع أياديكم مرفوعة في الهواء. هيا!

يفعل معظمهم ما يؤمرون به، باستثناء ألك. يأمل مارك بألا يقوم الرجل بأي فعل مجنون وألا يطلق النار على الجميع.

يقول الغريب بصوت أجش:

- هل تعتقد حقًا أنني أمزح؟ افعل كما قلت الآن أو مُت.

يرفع ألك يديه ببطء نحو السقف.

لا يبدو الرجل الذي يحمل السلاح راضيًا. يتنفس بشكل أثقل مما يجب، ويحديق إلى ألك من خلال تلك النظارة الشمسية الداكنة. ثم يلوح بسلاحه نحو باكستر ويطلق ثلاث طلقات سريعة. يخترق الصوت الهواء منفجرًا، ويتعثّر مارك إلى الوراء حتى يصطدم بالحائط من خلفه. مزّق الرصاص صدر باكستر، ونثر الضباب الأحمر في كل مكان، وطرحه على ظهره هاويًا بصوت عالٍ. لم يصرخ حتى، لقد اختطفه الموت بالفعل. جذعه عبارة عن فوضى من الدم والجلد المشوه.

يُعْبُ الرجل جرعة كبيرة من الهواء، ثم يقول:

- أتوقع منك الآن أن تنفذ أوامري.

الفصل السابع والأربعون

ارتجف مارك في نومه وكاد يستيقظ. لطالما أحب باكستر، أحب طبيعة الطفل الذكية وطبعه اللامبالي. أن يراه يُصرع بهذا الشكل!

لم يكن ذلك شيئاً يستطيع مارك تخطيه. من بين كل الذكريات التي عادت تطارده في أحلامه، كانت تلك الأكثر تكراراً. أراد مارك أن يستيقظ، وأراد أن يتركه وراءه مرة أخرى، بدلاً من إعادة إحياء نتائج ما شهدته والجنون الذي أعقب ذلك.

لكن جسده كان محتاجاً إلى الراحة، فدفعه النوم إلى أحضانه من جديد، دون أي نية لتعزية عقله المضطرب.

إنها إحدى اللحظات التي يأخذ فيها العقل لحظة ليلحق بالأحداث التي تجري أمام الأعين، حيث تجمد الصدمات التفكير مؤقتاً. مارك على الأرض، منحني إلى الخلف بزاوية خمس وأربعين درجة، ورأسه مستند على الحائط. يدا ترينا معقودتان على صدرها وتصرخ فجأة، بصوت يشبه مليون غراب مذعور خارجين من نفق. التصق العُلجوم بمستي، ووجهاهما مشوّهان بالرعب. وقفت لانا وألك، وأيديهما لا تزال مرفوعة، لكن مارك يستطيع أن يرى التوتر في عضلاتهما.

يصرخ الرجل المُغيَّب والبصاق يتطاير من فمه:

- اصمتوا!!

صمتت ترينا، وصوت الصرخة يختفي وكأن نصل سكين قد قطعه.

- إن سمعت صوتاً آخر من هذا القبيل، فسوف أطلق النار على من يطلقه.
هل فهمتهم؟

ترتعد ترينا، ويدها الآن تغطيان فمها، وبطريقة ما استطاعت أن تتنهد،
لكن عينيها لا تزالان ملتصقتين بجثة باكستر المخضبة بالدماء الخالية
من الحياة. يتجنب مارك النظر إلى الفتى. وبدلاً من ذلك يحدق إلى قاتله،
والكراهية تنبعث من نظراته.

تقول المرأة على متن القارب:

- كل شيء معدُّ يا زعيم.

تقف وتمسح بأصابعها على سروالها القذر. لقد ربطت القارب بشيء ما
من الخارج. استطاع مارك رؤية طرف الحبل المربوط. تقول غافلة أو غير
مهتمة بالجريمة التي ارتكبها شريكها، وربما معتادة ما فعله:

- ماذا الآن؟

يجيب الرجل بنظرة جانبية لا تترك مجالاً للشك في طريقة تعامله معها:

- اذهبي وأمسكي بمسدسك أيتها الحمقاء. هل أحتاج إلى إخبارك كيف
تستعملين الحمام أيضاً؟

وما أحزن مارك أكثر مما قاله الرجل، أن المرأة التي تم ازدراؤها لتوها
كانت تعتذر وتومئ برأسها. اختفت ثانية داخل القارب، وخرجت ممسكة
بمسدس مشابه بإحكام في كلتا يديها، وهي تقف بجانب شريكها وتوجه
السلاح إلى مارك وباقي أصدقائه بدورها.

يقول الرجل:

- سأقول لكم ما سيحدث الآن. إن كنتم تريدون الحياة، فكل ما عليكم
فعله هو الطاعة... أن تطيعوني. نحن هنا من أجل الوقود والغذاء.
تخميني هو أنكم تملكون الاثنين، بالنظر إلى حقيقة أنكم لستم
مجموعة من الهياكل العظمية المتحركة. وكل مبنى بهذا الحجم يحتوي
على مولدات. أحضروا لنا ما نحتاج إليه، وسنغادر. يمكنكم أيضاً أن
تحتفظوا بالبعض لأنفسكم. نحن طيبون إلى هذه الدرجة. كل ما نريده
هو نصيبنا.

يقول ألك بصوت منخفض:

- كرماء حقًا!

يقفز مارك واقفًا عندما يرفع الرجل سلاحه ويوجهه مباشرة إلى وجه الرجل العجوز.

- كلا! توقف!

يصوب الغريب مسدسه نحو مارك، الذي يرفع يديه عاليًا وهو يصيح:

- أرجوك! فقط توقف! سوف نجلب لك ما تريد!

- هذا صحيح، هذا ما ستفعله يا ولد. الآن تحركوا، جميعكم! حان الوقت لجمع الكراكيب.

ثم يسحب سلاحه في بادرة لتحريك الناس.

تقول المرأة:

- انتبهوا لئلا تدوسوا صديقكم الميت.

يصيح فيها شريكها:

- اخرسي! غباؤك يزداد كل يوم حقًا.

- أسفة يا زعيم.

بدت فجأة كفأر صغير لطيف، ورأسها مدلى للأسفل. لا يزال قلب مارك ينبض ألف مرة في الدقيقة، لكنه لا يستطيع أن يرثي لحال المرأة.

يرجع الرجل بانتباهه إلى الآخرين صائحًا:

- أرنا أين هو. لا أريد أن أبقى هنا طوال اليوم.

يتوقع مارك من ألك أن يفعل شيئًا مجنونًا، لكنه يبدأ بالمشي عائداً نحو السلام. وبينما يمر بمارك، يغمز إليه سريعًا. لا يعرف مارك ما إذا كان يجب تشجيعه أو القلق عليه.

يسيرون في الردهة تاركين وراءهم جثة باكستر الدامية، سجناء فيما أصبح قلعتهم خلال الأسابيع القليلة الماضية. يصلون إلى السلام ويبدوون بالصعود. القائد -هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن لمارك من خلالها التفكير في الرجل الذي يحمل السلاح الآن، حيث يستمع مرارًا وتكرارًا في

عقله إلى الطريقة المثيرة للشفقة التي عامل بها شريكته- ينعطف لينخز الناس في ظهورهم كلما تقدموا، ويحرص على ألا ينسوا من يحمل السلاح.

يهمس الزعيم لمارك عندما يأتي دوره للنكز:

- فقط تذكر ما فعلته بصديقك.

يواصل مارك الحركة، خطوة بخطوة.

يقضون الساعتين التاليتين في تمشيط مبنى لنكولن، من الأعلى إلى الأسفل، من أجل الطعام والوقود. كل بوصة من جلد مارك تعرق، وعضلاته تشكو من حمل الحاويات الكبيرة من وقود المولدات من غرفة الطوارئ في الطابق الثلاثين وصولاً إلى القارب. يفتش آلات البيع، وتفرغ أكثر من نصف المخزون المتضائل في كل غرف الاستراحة الكثيرة والمناطق المشتركة الأخرى.

مقصورة القارب حارة كالفرن، مما يجعل الرائحة داخلها أسوأ. وفيما يفرغ مارك المؤن، يتساءل عما إذا كان الزعيم وشريكته قد حاولا حتى غمس نفسيهما في المياه الدافئة المحيطة بهما، فهما يعيشان حرفياً في مياه استحمام -قذرة على الأرجح- ولكنهما يرفضان الاستحمام. يشمئز مارك أكثر من الاثنين في كل رحلة، ويتساءل عن صمت ألك، الذي عمل بجد دون أدنى إشارة للتمرد.

لقد ملؤوا تقريباً كل بوصة إضافية من القارب عندما وجدت المجموعة بأكملها نفسها في الطابق الثاني عشر، جزء من عملية تمشيط أخيرة للنصف الأسفل من المبنى. يقول لهم الزعيم إن لديهم أكثر من ذلك.

يقف الرجل الذي كان لا يزال يوجه مسدسه نحوهم بجوار النوافذ، ويرسم الوهج البرتقالي للشمس الغاربة الزجاج خلفه. تقف مرؤوسته إلى جواره، تبدو كشخص فارغ الذهن. تمسك ترينا ببعض من آخر رقائق البطاطس وأشرطة الحلوى من وراء غطاء آلة البيع. العُلجوم وميستى ولانا وألك ودارنيل بانتظارها، ليس هناك الكثير لعمله الآن. فقد أفرغ المكان وكل واحد منهم مثل مارك، يحسب الثواني حتى يرحل هؤلاء الناس. آمليين ألا يموت أحد آخر.

يسير ألك باتجاه الزعيم، رافعاً يديه عاليًا بإيماءة مستسلمة.

يحذر المسلح:

- حاذروا. الآن وقد انتهى عملكم، لا أمانع أن أمارس التصويب، حتى من على مدى قريب.

يقول ألك مزمجراً:

- لقد تم ذلك، حسناً. لسنا حمقى. أردنا أن نحمل القارب أولاً. كما تعلم، قبل...

- قبل ماذا؟

يبدو أن الرئيس يستشعر المتاعب، عضلات ذراعيه تتوتر، ويرى مارك إصبعه مشدودة على زناد المسدس.

- هذا.

فجأة يتحرك ألك. تنطلق يده إلى الأمام وتضرب السلاح من يد الزعيم، فيطلق المسدس طلقة في الهواء وهو يطير بعيداً، ساقطاً على الأرض. تستدير شريكته وتهرع هرباً عبر الممر بمحاذاة صف النوافذ. وقبل أن تفعل أي شيء آخر، تطاردها لانا، على الرغم من أن المرأة الأخرى مسلحة. مارك بالكاد لديه الوقت ليلاحظ هذا قبل أن يلقي ألك بجسده للأمام ويمسك بتلابيب الرجل، ليخترق الاثنان زجاج النافذة الكبيرة.

يحدث كل شيء بسرعة. يُصدع الغرفة صوت تكسير الزجاج، بينما تتفرع الشروخ من نقطة التصادم، ثم ينفجر اللوح بأكمله ليتحول إلى مليون قطعة، بينما يحاول ألك استعادة توازنه ليرفع نفسه عن جسد الزعيم. فيبدأ كلاهما في السقوط، يميلان وكأن حركتهما تُعرض بالتصوير البطيء، ساقطين نحو الماء في الأسفل. يهرول مارك إليهما، ينحني ثم ينزلق على الأرض حتى يتمكن من ضبط قدميه على إطار النافذة للحصول على الدعم في أثناء الوصول إلى ذراع ألك. فيمسك بها، يمسك بأصابعه، يمسك بإحكام، لكن قدميه تؤلمانه وفجأة يصبح في الهواء الطلق. جسده كله على وشك أن يسقط مع ألك والزعيم.

يمسك شخص ما به من الخلف، ذراعان تنزلقان حول صدره. يتمسك مارك بألك بكل ذرة من قوته وينظر مباشرة إلى أسفل النهر / الشارع. يسقط الزعيم، ملوحاً بذراعيه وساقيه ويصرخ بجنون. يشعر مارك بأن ذراعيه

ستنخلعان، لكن ألك يستعيد صوابه سريعًا، ويدير جسده ويضع يده الحرة على حافة النافذة السفلية، ويبدأ برمي نفسه بالداخل، بينما يسحبه من أمسك به أيضًا. إنه العُلجوم.

وقريبًا سيقفون مجددًا، آمنين. وتأتي لانا وهي تهبط في الممر.
تقول:

- لقد هربت. أراهن أنها تختبئ في خزانة ما.

يجيب ألك وهو يتحرك، ويتبعه مارك والآخرين:

- لنخرج من هنا. لقد نجحت الخطة تمامًا. حصلنا على القارب ووضعنا عليه المؤمن. يجب أن نخرج من المدينة.

تتناقص درجات السلم من تحتهم سريعًا، متخطين درجتين في كل خطوة. يتصبب مارك عرقًا ويشعر بالإرهاق والقلق جراء ما يخططون لفعله، فمغادرة المكان الذي صار بيتهم بعد اندلاع الوهج الشمسي مغامرة، الخروج إلى المجهول. لا يعرف أيهما أقوى، الإثارة أم الخوف.

يصلون إلى الطابق الخامس، ويركضون في الممر، ويمرون عبر النافذة المكسورة، ويصعدون على متن القارب.

يصيح ألك بمارك:

- حررنا.

يدلف ألك ولانا إلى الكابينة. ويجد دارنل والعُلجوم ومستي وترينا أماكن للجلوس في الأعلى، يبدون تائهين قليلًا وغير متأكدين. يبدأ مارك بفك عقدة الحبل الذي استخدمته المرأة لتأمين اليخت سابقًا، وأخيرًا تنفك العقدة وينسحب الحبل تمامًا، وتعود المحركات إلى الحياة ويبدأ القارب في التحرك بعيدًا عن مبنى لنكولن. يجلس مارك على مقعد في ذيل القارب ويلتف للخلف لينظر إلى ناطحة السحاب الشاهقة، حيث يعكس توهج أشعة الشمس المتضائلة في النهار ضوءًا كهربائيًا.

وفجأة يخرج الزعيم من الماء كدولفين مجنون، يضرب بذراعيه على مؤخرة القارب وهو يحاول الصعود على متنه. رجلاه تركلان بضراوة بينما تبحث يده عن أي شيء يمسك به، فيمسك بالصنارة وعضلاته تتضخم وهو

يرفع نفسه إلى القارب، والمياه تنساب من جسده. لديه كدمة أرجوانية ضخمة تغطي نصف وجهه، والنصف الآخر أحمر وغازب مطابق للون عينيه.

يصيح الرجل:

- سأقتلكم جميعًا!

تزداد سرعة القارب، وكل شيء ينفجر داخل مارك مرة واحدة. لن يدع شبيه البشر هذا يدمر فرصتهم للهروب، فيمسك بمقعد ويرجع بقدميه ليرميهِ إلى الأمام ليخبط الزعيم في كتفه. الرجل بالكاد يتزحزح. يسحبه مارك ويركله مرة أخرى، ثم مرة أخرى، لكنه يعود للتشبث في كل مرة. بدأت قبضة الزعيم تتزحزح.

يصيح وهو يدفن قدمه في كتف الرجل مجددًا:

- دعونا... نهرب!

يقول الزعيم:

- سأقتل...!

ولكن يبدو أنه لم يبق لديه قوة.

يصرخ مارك مدفوعًا بالأدرينالين، ثم يوظف كل قوته في هجوم أخير، يقفز هذه المرة ملقيًا قدميه إلى الأمام، اصطدمتا بجسد الزعيم وأنفه ورقبته، وأطلق الرجل صرخة مختنقة، ثم غادر، ليقع خلف القارب الذي يواصل الاهتزاز بعنف. يختفي جسده وسط الفقاعات البيضاء.

يمتص مارك كل نفس بشراهة. ويعدل من وضعه ويزحف إلى حافة المقعد وينظر إلى الحافة. لا يرى سوى الصفاء والماء الأسود وراء ذلك. ثم ينقل أنظاره إلى النافذة المفتوحة لمبنى لنكولن حيث سقط الزعيم، إنها تتراجع الآن، وحجمها يتضاءل، لكن المرأة -شريكة الرئيس- تقف هناك، تحمل سلاحها. ينحني مارك منتظرًا وابل الرصاص، لكنه بدلاً من ذلك، لاحظ المرأة تصوب السلاح إلى نفسها، مثبتة فوهته أسفل ذقنها.

يريد مارك الصياح، ليقول لها ألا تفعل ذلك. لكن الوقت قد تأخر.

تسحب المرأة الزناد.

ويسير القارب.

الفصل الثامن والأربعون

استيقظ مارك بعرق بارد، كما لو أن رذاذ الماء في حلمه قد غمره وهو نائم. ألمه رأسه بشدة مرة أخرى، كشيء يدور في جمجمته ينفذه في كل مرة يتحرك فيها. لحسن الحظ كان ألك رقيقًا به ولم يتحدث كثيرًا بينما كانا يأكلان ويعززان نفسيهما لليوم التالي للبحث عن أصدقائهما.

كان الاثنان يجلسان في مقصورة القيادة، وضوء الصباح الأخير يمتد عبر النوافذ، والنسيم الساخن يصفّر وهو يهبُّ عبر النافذة المكسورة.

قال ألك بعد أن جلسا صامتين لفترة:

- كنت نائمًا بعمق، لكنني قدتُ هذه الطفلة في جولة مراقبة في أثناء غفوك، و... أكدت شكوكي. فقط على بعد بضعة أميال، أهل الحريق... يحتجزون لانا وترينا وديدي. رأيتهم يرعون كغنم.

تقلصت معدة مارك، وقال:

- ماذا تقصد؟

- كانوا ينقلون عددًا قليلًا من الناس من بيت إلى آخر. لمحت شعر لانا الأسود وترينا مع الطفلة على ذراعيها. اقتربتُ أكثر للتأكد.

أخذ ألك نفسًا عميقًا قبل أن ينهي كلامه:

- على الأقل نعرف أنهم أحياء وأين هن. والآن أصبحنا نعرف ماذا يتعين علينا أن نفعل.

كان يجب على مارك أن يشعر براحة لأن صديقاته لم يكنَّ في عداد الأموات، لكن بدلاً من ذلك فقد كان مستغرقاً في التفكير بأنه من أجل إخراجهن، عليهما أن يقاتلا. اثنان ضد... كم؟

- هل نسيت كيف تتكلم يا فتى؟

كان مارك يحدق إلى الجزء الخلفي من كرسي الطيار وكأن سحرًا قد رُسم هناك، ثم قال:

- لا... لا. خائف فقط.

لقد كفَّ منذ زمن بعيد عن محاولة التصرف بشجاعة من أجل الجندي العجوز.

- خائف. هذا جيد. الجندي الجيد خائف دائماً. يجعلك ذلك طبيعياً. إن كيفية استجابتك هي التي تكوّنك أو تكسرك. ابتسم مارك قائلاً:

- لقد ألقيت هذا الخطاب عدة مرات. أعتقد أنني فهمته.

- اسكب بعض الماء على وجهك ودعنا ننطلق.

- يبدو ذلك جيداً.

جرع مارك طويلاً من زجاجته، ثم وقف. وأخيراً بدأ العبء الثقيل لحلمه يتلاشى قليلاً.

- إذا ما هي الخطة؟

مسح ألك فمه، وأوماً برأسه في اتجاه الجزء الأوسط من البرج، ثم أجابه:

- سنذهب لنخلص أصدقاءنا. لكننا سندخل غرفة أسلحة المركبة أولاً.

لم يكن مارك يعرف شيئاً عن البرج، لكن ألك كان يعرف الكثير. في المنطقة الوسطى من السفينة ثمة مرفق تخزين مقفل يتطلب كلمة مرور ومسحاً شبكياً لينفتح، وبما أنهما لم يكن لديهما الكلمات ولا مقل العين ليفتحاه، قررا أن يعملوا عليه بالطريقة القديمة: بفأس.

ولحسن الحظ أن البرج كانت قديمة وقد شهدت أفضل أيامها منذ سنوات عديدة، لذلك لم يستغرق الأمر سوى ثلاث دورات عمل شاق طول كل منها

ساعة ونصف الساعة لخلع المفصلات والأقفال عن الباب المعدني. كانت شظايا صغيرة من الفولاذ تتراعى عبر الردهة، ثم اندفع الباب الكبير نحو الحائط المقابل. وبدأ أن الصدى يتردد عبر المركبة لدقيقة كاملة.

وجّه ألك آخر ضربة بالفأس لإنهاء المهمة.

- دعنا نأمل أن يكون هناك شيء ما في جوف هذا الوحش.

كانت غرفة التخزين مظلمة ورائحتها كالغبار. البرج تتمتع بالطاقة، ولكن معظم المصابيح كانت مكسورة، باستثناء مصباح الطوارئ الأحمر الصغير في الزاوية الذي جعل كل شيء يبدو وكأنه مغسول بالدم. بدأ ألك البحث، لكن مارك كان يستطيع أن يرى أن معظم الرفوف فارغة، لا شيء سوى القمامة والحاويات المهملة التي تندفق من السفينة رأسًا على عقب بين الحين والآخر. أطلق ألك السباب بصوت منخفض مع كل اكتشاف مخيب للآمال، وكان مارك يشعر بذلك أيضًا. كيف يمكن أن يكون لديهما فرصة لإنقاذ صديقاتهما إذا كان كل ما بحوزتهما هو قبضاتهما وأقدامهما؟

همس ألك بصوت متوتر:

- هناك شيء ما هنا.

كان يعمل بالفعل ليفتح ما وجده.

تقدم مارك نحوه ونظر من فوق كتفه. كان الشيء مغمورًا بالظلال، لكنه بدا كصندوق كبير فيه العديد من الشقوق المعدنية.

قال ألك أخيرًا عندما انفصلت يداه عن المقابض للمرة الثالثة:

- لا فائدة من ذلك. انهب وأحضر لي الفأس.

أمسك مارك بها بسرعة من الرواق حيث أسقطها ألك بعد أن ضرب مفصلات الباب. أحكم قبضته عليها، مستعدًا للحركة.

استقام ألك وسأله:

- أنت من ستفتحه؟ هل أنت متأكد من ذلك؟

- هه؟ ماذا تعني؟

أشار ألك إلى الصندوق، وقال:

- هل لديك أي فكرة عما يمكن أن يكون داخل ذلك الشيء؟ متفجرات، أو آلة ذات جهد كهربائي عالٍ، أو سم. من يدري؟
- ثم؟

- حسنًا، لن أبدأ بضربها وإلا سنكون ميتين قبل الظهر. علينا أن نكون حذرين. ضربات دقيقة محسوبة على الأقفال.

كاد مارك أن يضحك وهو يرد:

- بما أنه لا توجد خلية دقيقة واحدة في جسمك، أعتقد أنني سأضربها دفعة واحدة.

فأجاب ألك:

- هذا عادل بما فيه الكفاية.

وأخذ خطوة إلى الوراء وقوَّس يده.

- كن حذرًا فحسب.

أمسك مارك مقبض الفأس بإحكام واتكأ عليها، وأخذ يورججها لمسافة صغيرة نحو الدعامة الصغيرة العنيدة. أغرق العرق وجهه وكادت الفأس أن تنزلق من يديه بضع مرات، لكنه في نهاية المطاف كسر القفل الأول وانتقل إلى القفل التالي. بعد عشر دقائق لم يكن يشعر بكتفيه وقد تخدرت أصابعه. لكنه تمكن من كسرهم جميعًا.

ثم نهض فاردًا ظهره، غير قادر على منع نفسه من الغمز.

- يا رجل، لم يكن ذلك سهلًا كما بدا.

ضحك كلاهما، مما جعل مارك يتساءل من أين أتت كل خفة الظل المفاجئة هذه. وكانت المهمة التي تنتظرهما خطيرة ومخيفة. ولكن لسبب ما رفض عقله التركيز على ذلك.

سأل ألك:

- تشعر بالراحة بعد كل هذا التعرق، أليس كذلك؟ الآن لنر ما ينتظرنا. أمسك بهذا الجانب.

وضع مارك أصابعه تحت الشفة الصغيرة للغطاء وانتظر إشارة ألك. عد الرجل إلى ثلاثة ثم رفعها كلاهما. كان ثقيلًا، لكنهما تمكنا من رفعه وتوجيهه نحو الحائط، ليصطدم به بصوت عالٍ. كل ما كان باستطاعة مارك رؤيته داخل الصندوق كانت أشكال براقعة ومتطولة تعكس الضوء الأحمر. بدت وكأنها مبللة.

سأل مارك:

- ما هذا؟

نظر إلى ألك فرأى تعبيرًا مدهوشًا يكاد يكون مجنونًا على وجه الرجل.

- بناء على هذه النظرة، أعتقد أنك تعرف بالضبط ماهية تلك الأشياء.

قال ألك بهمس ضيق:

- أوه، نعم. إنني أحبها. أعتقد أنني أحبها حقًا.

- ثم؟

كاد مارك أن ينفجر من الفضول.

بدلاً من الإجابة، انحنى ألك إلى الأسفل وأمسك بواحد من الأشياء من الصندوق. رفعها - كانت بحجم وشكل بندقية- وفحصها، مقلبًا إياها في يديه. بدت أنها مصنوعة في معظمها من المعدن الفضي والبلاستيك، مع أنابيب صغيرة تنتشر على طول هيكلها. أحد الطرفين كان كمؤخرة البندقية مزود بزناد، والطرف الآخر بدا كالفقاعة مطولة يخرج منها نتوء. وكان فيها شرائط لتثبيتها على الكتفين.

سأل مارك، وهو يسمع الرهبة في صوته:

- ما هذا الشيء؟

كان ألك يهز رأسه زهابًا وإيابًا، في عدم تصديق واضح بينما كان يتابع

فحص ما بين يديه:

- هل لديك أي فكرة كم تكلف هذه الأشياء؟ لقد كانت مكلفة لدرجة أنها

لم تصل إلى سوق الأسلحة الفعلية. لا أصدق أنني أحمل شيئًا كهذا.

سأل مارك وصبره ينفد:

- ماذا؟ ما هو؟
- رفع ألك نظره أخيرًا إليه:
- هذا الولد الشرير يدعى ترانسفيس.
- كرر مارك:
- ترانسفيس؟ ما وظيفته؟
- حمل ألك السلاح الغريب كأنه طوطم مقدس.
- يجعل الناس يذوبون.

الفصل التاسع والأربعون

قال مارك بتشكك:

- يذوبون؟ ماذا يعني ذلك؟

- حسنًا، لن يهتم كثيرًا إذا لم تعمل هذه الأشياء حتى.

فتش ألك الصندوق لدقيقة، ثم أزال شيئًا أسود ضخماً بمزاليج فضية. أخذ أغراضه الثمينة وانتقل إلى مارك، خارج غرفة التخزين وإلى الرواق وما بعده.

صرخ عندما اختفى:

- هيا!

لم يبصر مارك نظرة أخيرة على المواد شبه السحرية والتي تلالأت داخل الصندوق، ثم انطلق ليلحق بالرجل. وجده في مقصورة القيادة، جالسًا على كرسي القبطان، معجبًا بالسلاح بين يديه. بدا كطفل يحمل لعبة جديدة. الشيء الأسود الذي استخرجه أيضًا كان جالسًا على الأرض. بدا كغمد للسلاح، أو ربما جهاز شحن من نوع ما.

قال مارك وهو يقف وراء ألك:

- حسنًا. أخبرني ماذا يفعل ذلك الشيء.

قال ألك وهو يضع لعبته في الغمد الأسود الطويل:

- لحظة واحدة فقط.

ضغط على زر بلوحة تحكم صغيرة على الجانب. صرصر شيء ما ثم همهم، ثم انبعث ضوء رمادي من كامل جسم السلاح ذاته.

أعلن ألك بفخر:

- سوف نشحنه، ثم ستري ما يفعله.

نظر إلى مارك، ثم قال:

- هل سمعت مرة عن الناقل المسطح؟

قال مارك ممتعضًا:

- بالطبع، أنا أعيش على كوكب الأرض.

- حسنًا، أيها الحكيم. هدى من سرعتك. على أي حال، أنت تعرف كم هذه

الأشياء مكلفة، صحيح؟ وكيف تعمل؟

هز مارك رأسه وجلس على الأرض، نفس المكان الذي نام فيه منذ نحو مليون سنة مضت، كما يبدو.

- ليس الأمر كما لو كنت قد استخدمت أحدها، أو رأيت أحدها حتى.

لكنني أعلم أنه ناقل جزيئي.

ضحك ألك:

- بالتأكيد إنك لم تر أحدها، لأنك لا تملك مليار دولار، ولا تعمل لدى

الحكومة. واحدة فقط من هذه الأجهزة تكلف أكثر مما يمكن أن تكسبه

في عام كامل. لكنك محق، تلك هي الطريقة التي يعملون بها. تفكيك

البنى الجزيئية ومن ثم إعادة تجميعها عند نقطة الاستقبال. حسنًا، هذا

الفتى الشرير يفعل نفس الشيء، إلا أنه لا يؤدي سوى نصف العمل.

نظر مارك إلى السلاح الذي يشحن وأخذته القشعريرة.

- هل تعني أن ذلك يفكك الناس؟ يقسمهم إلى قطع صغيرة؟

- نعم. هذا تقريبًا يلخص الأمر. ينثرهم في الهواء كرماد الموتى. وعلى

حد علمي فهم يطيرون إلى الأبد وهم يصرخون من أجل أن يعيدهم

أحد بعضهم إلى بعض مرة أخرى. أو ربما يموتون على الفور. لا توجد

طريقة للمعرفة. ربما ليست طريقة سيئة للموت.

هز مارك رأسه. التكنولوجيا الحديثة. كان العالم يحتوي على أشياء رائعة،

لكنها لم تنفع بأي حال عندما قررت الشمس محو معظم الحضارة.

سأل مارك:

- إذا، أعتقد أن هذا كل شيء؟ لا يبدو أن هناك أي شيء آخر في تلك الغرفة.

- كلا. لذا... أتمنى أن ينجح هذا الشيء.

قال مارك:

- كم من الوقت سيستغرق للشحن؟

- ليس طويلًا. لقد حان الوقت الكافي لكي نحزم بعض الإمدادات اللازمة لمهمة الإنقاذ. (فكر مارك وهو يتحدث كجندي) ثم سنختبره بينما نشحن واحدًا لك. وربما نأخذ سلاحًا آخر على سبيل الاحتياط.

حدق مارك إلى جهاز الشحن حتى حفزه ألك على القيام ليساعد في التحضير لرحلتهما.

بعد نصف ساعة، كانت حقائب الظهر مليئة بالطعام والماء وبعض الملابس النظيفة التي وجدها مخبأة في قسم صغير من الثكنات. سُحِن الترانسفيس الأول بالكامل وأحكم ألك قبضته عليه، وعلقه على كتفه، حيث فتح باب مقصورة كوة الشحن. مشطًا محيطهما سريعًا ولم يريا أي شخص بالقرب منهما، لذلك قررا أن اختبار السلاح الفخم الجديد آمن.

نظر مارك إلى شريكه الفخور، ونظر إلى مفترق طرق مفتوح.

- أنت تمسك هذا الشيء بإحكام، أليس كذلك؟

لمع الترانسفيس، وإذ تشحَّن الآن، توهج بلون برتقالي خافت.

وجه ألك لمارك نظرة فيما معناها: رويدك:

- قد يبدو هذا الشيء هشًا، ولكنه أبعد ما يكون عن ذلك. يمكننا أن نسقطه من أعلى مبنى لنكولن ولن ينكسر.

- هذا لأنه سيهبط في الماء.

فالتفت ألك وسحب الترانسفيس ليوجِّه فوهته - ذلك النتوء الصغير الغريب الآتي من الفقاعة الطويلة - إليه مباشرة.

وجل مارك رغماً عنه وقال:

- ليس ذلك مضحكاً.

- خصوصاً إذا سحبت الزناد.

انفتح باب المنحدر إلى مكانه على الرصيف المتصدع للزقاق الذي وقفا فيه، وسقط صمت مفاجئ وقاس على العالم، لم يشقه سوى صرخات بعيدة من طائر، فغمرهما الهواء الدافئ الرطب، مما جعل التنفس صعباً تقريباً. سعل مارك عندما حاول أن يلتقط نفساً عميقاً.

قال ألك وهو يخطو فوق المنحدر:

- هيا، لنجد سنجاباً.

أرجح السلاح جيئةً وذهاباً وهو يمشي، باحثاً عن أي دخلاء.

- أو الأفضل من ذلك، أن يكون أحد المجانين قد ضل طريقه إلى هنا. من المؤسف أن هذه الأشياء يجب أن تُشحن وإلا سيصبح بإمكاننا التخلص من مشكلة الفيروس في لمح البصر. اكسحوا هذه الأحياء القديمة بلطف ونظافة.

وانضم مارك إليه على الأرض تحت البرج، متخوفاً من أن يكون شخص ما يراقبه من البيوت المدمرة المحيطة به أو من الغابات المحترقة التي تعلوها، وهمس:

- تقديرك لقيمة الحياة البشرية يكاد يدفعني للبكاء تأثراً.

أجاب ألك:

- المدى الطويل... أحياناً يجب أن تفكر على المدى الطويل. لكنها مجرد كلمات يا بني. مجرد كلمات.

كان الوجود في الضواحي مقلقاً حقاً، لقد اعتاد الحياة في الجبال، في الغابات، العيش في كوخ. جعله هذا الحي المهجور يشعر بالغرابة وعدم الراحة. كان بحاجة إلى صقل أعصابه قبل أن يشرعاً في القيام بالأعمال الحقيقية التي في متناول أيديهما.

- لننته من هذا الاختبار.

بدأ ألك يسير نحو صندوق بريد من الطوب دُمر نصفه. بدا وكأن شخصًا قد اصطدم به بسيارة أو شاحنة في أثناء محاولة محمومة للهروب.
قال:

- حسنًا إذًا. أردت أن أختبره على شيء حي. إنه يعمل بشكل أفضل بكثير مع المواد العضوية الحية. لكنك محق... علينا أن نسرع. سأحاول ضغط هذه الكومة من الـ...

فتح بابًا بقوة في أقرب منزل لهم مسقطًا إياه على الأرض، وخرج منه رجل يجري أمامهما، يصرخ بأعلى صوته. كلماته لا يمكن فك شفرتها، وعيناه مليئتان بالجنون، وشعره مجعد أشعث، غطت القروح وجهه، كما لو كان يحاول الخروج من جلده. وكان عاريًا تمامًا.

تعثر مارك خطوتين إلى الوراء، مذهولًا بمظهر الرجل وخائفًا بشدة. كان يبحث عن شيء ليفعله أو يقوله.

لكن ألك كان قد رفع سلاحه بالفعل، مشيرًا مباشرة إلى الرجل الذي يقترب بسرعة.

صاح الجندي:

- توقف! توقف أو س...

لكن الرجل المتوحش الذي يتجه نحوهما كان من الواضح أنه لا يستمع. يصرخ بأشياء لا معنى لها، متعثراً ولكن غير متباطئ، متوجهاً ناحية ألك.

دوى صوت رنين حاد، من كل مكان في وقت واحد على ما يبدو، تلاه صوت دوار متصاعد، مثل صوت محرك نفاث. لاحظ مارك أن الضوء البرتقالي المنبعث من الترانسفيس كان مضاءً، مرئيًا حتى في ضوء الشمس. ثم ارتد ألك فجأة إلى الخلف عندما انبعث ضوء أبيض نقي لامع من السلاح، واصطدم بصدر الرجل الصاحب.

انقطعت صرخاته على الفور، كما لو كان قد وُضع في قبره. تحول جسمه إلى اللون الرمادي من أعلاه إلى أسفله، كل تفاصيله وأبعاده تتلاشى حتى

بدا وكأنه قطعة من القماش الرمادي، يتلألأ ويتموج. ثم انفجر متحولاً إلى ضباب متبخر، إلى العدم. هكذا دون أن يترك أثراً واحداً يمكن أن يراه مارك. التفت للنظر إلى ألك، الذي خفض سلاحه وكان يتنفس بعنف، وعيناه لا تزالان مشدوهتين تحديقان إلى المكان الذي كان يحتله الرجل قبل ثوان فقط. وأخيراً رد الجندي المسن لتحديقة مارك المذهولة:
- أعتقد أنه يعمل.

الفصل الخمسون

كان مارك في حالة ذهول تام. إن مشهد الترانسفييس وهو يحوّل رجلاً إلى سحابة من الدخان تذروها الرياح لم يكن حتى ما أثقل أفكاره، فهو رجل مجنون تماماً قد تهجم للتو من المنزل مباشرة عليهما، ما أثقله هو: فيما كان يفكر؟ هل كان يهاجم أو يستجدي المساعدة؟ هل سيكون حال الباقيين بهذا السوء؟ بهذا... الجنون؟

طاردته هواجس ما فعله المرض بالناس مرارًا وتكرارًا. ما يفعله المرض الآن! لا بد أن الأمر يزداد سوءًا. كان هذا الرجل مجنونًا تمامًا. وكان مارك قد شعر فعلًا بشيء كهذا - أثر خفيف - يتصاعد من داخله. كان ثمة وحش مخفي بالداخل، وقريبًا قد يظهر ويظهره مثل الرجل الذي أطلق ألك الترانسفييس عليه.

- هل أنت بخير؟

هز مارك رأسه وعاد إلى رشده.

- لا، لست على ما يرام. هل رأيت ذلك الرجل؟

- نعم. رأيتَه! لماذا أنهيتُ وجوده برأيك؟

كان ألك يضع السلاح في حزامه، ويبحث عن علامات على وجود مزيد من الناس، لكنه لم يجد أي شيء.

على الرغم من أن هذا كان يجب أن يحدث منذ زمن طويل، فإنه في النهاية صدم مارك -كمطرقة في قلبه- كم كانت المشكلات التي واجهتها ترينا. محتجزة من قبل المجانين الذين يمكن أن يكونوا الآن في حالة سيئة مثل

الذي رآه للتو. ومارك وألك استغرقا الوقت للنوم، للأكل، لحزم أمتعتهما. كره نفسه فجأة.

قال:

- علينا أن نذهب لإنقاذها.

كان ألك يسير نحوه.

- ما هذا؟

رفع مارك عينيه وقال لصديقه.

- علينا أن نذهب. الآن.

وفي الساعة التالية كان هناك مزيج من الجنون المتأجج.

أقفلا باب المنحدر، وقف ألك ممسكًا بالترانسفيس في حال محاولة أي شخص الصعود خلال الدقيقتين المؤلمتين التي يستغرقهما المنحدر ليغلق. ثم تأكدًا من أن حقائبهما جاهزة، أعطى ألك مارك درسًا سريعًا حول كيفية الإمساك بالترانسفيس واستخدامه. بدا الأمر واضحًا بما فيه الكفاية. وأخيرًا ارتفع الجندي بالبرج وحلَّق مندفعًا في السماء.

حلقت البرج منخفضة، وتولى مارك وظيفة المراقب الرئيسي، باحثًا في الأرض تحتها في أثناء مرورها. وحين اقتربا أكثر من خرائب الحي التي رأى فيها ألك ترينا والأخريات، رأى مارك بالتأكيد علامات أكثر على الحياة. أشخاص يركضون بين المنازل في مجموعات صغيرة، بعض الحرائق في الساحات والدخان القادم من مداخل نصف مكسورة، جثث الحيوانات الميتة التي جُرِّدت من اللحم، حتى إنه رأى عددًا قليلًا من البشر يرقدون هنا وهناك بلا حياة، أحيانًا أكوام منهم.

أشار ألك:

- نحن على مشارف أشقل.

كانا على مشارف وإد كبير تغذيه سفوح الغابات الجبلية التي دُمِّرت في الحريق الأخير، وكانت التطورات الغالية في البيوت الكبيرة تتهالك على جانبي هذه السفوح، وقد احترق عدد من المنازل وسُوِّيت بالأرض، لم يتبق منها سوى مساحات سوداء متفحمة من الأنقاض.

رأى مارك عشرات الأشخاص يجولون في مجموعات هنا وهناك على طول الشوارع. وكان بعضهم قد رأى البرج الآن، بعضهم يشير إلى السفينة، وبعضهم يركض بحثاً عن مخبأ. ولكن يبدو أن الأغلبية لم تلحظهم على الإطلاق، كما لو كانوا قد أُصيبوا بالصمم والعمى.

- هناك مجموعة كبيرة منهم في ذلك الشارع.

أوما ألك برأسه وقال:

- هنا، حيث رأيتهم يضعون ترينا ولانا والطفلة في أحد المنازل.

انخفض ألك بالبرج ليلقي نظرة عن قرب، ثم اندفع وحام فوق البقعة بنحو مئة قدم، ثم انضم إلى مارك عند النوافذ. نظر الاثنان إلى كابوس.

كان الأمر وكأن مستشفى الأمراض العقلية قد أطلق سراح جميع مرضاه. لم يكن هنالك ترتيب للجنون الذي شهده مارك تحته. رأى فتاة مستلقية على ظهرها، تصرخ على لا أحد. رأى ثلاث نساء يضربن رجلين رُبطا معاً من الخلف. وفي مكان آخر، كان الناس يرقصون ويشربون سائلاً أسود من وعاء يغلي فوق حفرة حريق مؤقتة. وكان آخرون يركضون في دوائر، وآخرون يتعثرون كما لو أنهم سكارى.

لكن مارك رأى أسوأ شيء على الإطلاق، ولم يعد لديه أي شك في أن هؤلاء الناس الذين اجتمعوا هناك لن يقدموا أي نوع من المساعدة.

مجموعة صغيرة من الرجال والنساء كانوا يتشاجرون على شيء يبدو أنه شخص، أيديهم ووجوههم مغطاة بالدم.

مارك كان في نفس الوقت منزعجاً وخائفاً من أنه ينظر إلى أشلاء الفتاة الوحيدة التي أحبها. وفجأة اهتز جسده كله، مرتعداً من رأسه إلى أخمص قدميه.

صاح:

- انزل. اذهب إلى هناك الآن! دعني أخرج!

كان ألك قد تراجع بعيداً عن النافذة، وكان وجهه شاحباً كما لم يره مارك من قبل.

- أنا... لا يمكننا فعل ذلك.

أجابه مارك بسخط غاضب:

- لا يمكننا الاستسلام الآن!

- ما الذي تتحدث عنه يا فتى؟ نحن بحاجة إلى الهبوط في مكان أكثر أمناً أو أنهم سيحطمون هذا الشيء. سنحتاج إليه للعودة إلى بر الأمان. لن نذهب بعيداً.

لم يصدق مارك كم كان يتنفس بشدة.

- حسناً... حسناً. عذراً. ولكن... أسرع فحسب.

سأل ألك بينما كان يتمالك أعصابه:

- بعد ما رأيناه؟ نعم، أعتقد أن هذه نصيحة سليمة.

تعثر مارك وارتكأ على الجدار. حل محل الغضب في داخله حزن ساحق. فكيف يمكن أن تبقى حية وسط هذا الجنون؟ ماذا كان فيروس الوهج هذا؟ ما الذي يمكن أن يكون قد اعترى أي شخص يريد نشره؟ كل سؤال زاد من ألمه. ولم تكن هناك إجابات.

هبت البرج إلى الحياة، ثم عادت أدراج الرياح، متجهة نحو الطريق الذي جاء منه. تساءل مارك كم من الناس في الأسفل لاحظوا أن سفينة ضخمة تحوم فوقهم. حاماً لبضع دقائق، وعندما بدا ألك راضياً، هبط في زقاق محاط بمساحات فارغة، جزء من توسع تطوري لم يكتمل، ولن يكتمل أبداً.

قال مارك فيما كان هو وصديقه عائدين إلى غرفة الشحن:

- كان ذلك الشارع مليئاً بالناس.

حمل كلاهما ترانسفيس مشحوناً بالكامل وحقائب ظهر مربوطة على أكتافهما.

قال مارك:

- ثمة علامات على وجودهم في كل بيت. من المحتمل أنهم في ذلك الجزء من الحي بأكمله.

أجاب ألك:

- على الرغم من كل ما نعرفه، فربما نقلوا لانا مرة أخرى. سيكون من الذكاء أن نفحص كل بيت في هذا القسم. ولكن تذكر، صديقاتنا كُنَّ أحياء هذا الصباح. رأيتهن، بلا شك. لا تتخلَّ عن الأمل بعد يا بني.
أجاب مارك:

- أنت لا تدعوني (بني) إلا وأنت خائف.
ابتسم ألك بلطف قائلاً:
- بالضبط.

وصلا إلى غرفة الشحن الكبيرة وذهب ألك إلى لوحة التحكم، وضغط على أزرار فتح باب المنحدر، وبدأت الكوة تفتح، معلنة عن وجودها بصريير المفصلات.

سأل مارك، ومرأى النافذة المكسورة لا يزال عالقا بذهنه:

- هل تعتقد أن السفينة ستكون آمنة بعد رحيلنا؟
- لدي جهاز التحكم عن بعد هنا. سوف نغلقها. هذا أفضل ما يمكننا القيام به.

هبط الباب وتوقفت الضوضاء. وكان الهواء الساخن الخانق يغطيها فيما يمشيان إلى أسفل اللوح المعدني. نزلا للتو عندما ضغط ألك زرًا على اللوحة وأعاد إغلاق المنحدر مرة أخرى. وسرعان ما أغلق الباب وصمت الجميع.
نظر مارك إلى ألك، فنظر ألك إليه. اعتقد مارك أنها مسابقة لمن يظهر في عينيه نيران أكثر.

قال مارك:

- لنذهب ونجلب صديقاتنا.
وبدأ كلاهما في المشي بعيدًا عن البرج، الأسلحة بين ذراعيهما، وهما يسيران نحو الجنون والفوضى اللذين كانا ينتظرانها في الشارع.

الفصل الحادي والخمسون

كان الهواء مغبرًا وجافًا.

بدا أكثر سمكًا مع كل خطوة، يكاد يخنقهما. كان العرق يغطي كل شبر من جسم مارك بالفعل، والهواء الذي لفتح جسديهما الآن يشعر كما لو أنه خارج من فرن. استمر في السير، أملًا ألا تصبح راحة يده زلقة إلى حد لا يمكنه معه التعامل مع السلاح بشكل صحيح. كانت الشمس معلقة فوقهما كعين وحش جهنمي ينظر إلى الأسفل، ويذري العالم من حولهما.

قال مارك:

- مر زمن طويل منذ خرجت في منتصف اليوم هكذا.

مجرد محاولة التحدث جعلته عطشًا. شعر بتورم لسانه.

- ستُصاب ببعض من حروق الشمس اللطيفة غدًا.

كان يعرف ما كان يفعله، محاولًا إقناع نفسه بأن الأمور لم تكن سيئة إلى هذا الحد، ليس إلى حد فقدانه لوعيه، وأن نوبات صداعه لن تعيق تركيزه وأن كل شيء سيكون على ما يرام. ولكن هذا الجهد بدا بلا جدوى.

وصلا إلى مفترق الطرق الأول وأشار ألك إلى اليمين قائلاً:

- حسنًا، نحن على بعد منعطفين. فلنلتصق أكثر بالمنازل.

اتبع مارك قرار ألك، عابراً العشب الميت - لا شيء الآن سوى الأعشاب الميتة والصخور- إلى ظل بيت كان قصرًا في يوم من الأيام. كله من الحجر

والخشب الداكن، وقد احتفظ ببعض من رونقه، على الرغم من مظهره الحزين الخاوي الآن، كما لو أن فقدان ساكنيه قد سرق روحه.

تراجع ألك إلى الحائط وفعل مارك الشيء نفسه. نظرا إلى أسلحتهما، وعادا من حيث أتيا ليريا ما إذا كان أحد يتبعهما. لم يكن هناك شخص في الأفق، ولكن الغريب أن الهواء توقف، وبدا العالم عديم الحياة كالحي نفسه.

قال ألك وهو يضع سلاحه على الأرض:

- نحن بحاجة إلى شرب الماء.

خلع حقيبة ظهره وأخرج إحدى زجاجات المياه، وأعطاهما لمارك بعدما شرب منها طويلاً، وتلذذ الأخير بكل قطرة ترطب حلقه.

قال عند انتهائه، وهو يعيد الماء إلى ألك:

- يا رجل. كان هذا أفضل ما شربته في حياتي على الإطلاق.

تمتم ألك وهو يعيد الزجاجاة إلى حقيبته مرة أخرى:

- بالنظر إلى كل الأوقات التي كنا نعطش فيها في العام الماضي، فذلك يعني الكثير... أعتقد أن ذلك الرجل المجنون الذي بخرته قد هز أعصابي قليلاً، ولكنني مستعد للذهاب الآن.

شعر بالانتعاش بالفعل، كما لو كانت الزجاجاة مليئة بالأدرينالين بدلاً من الماء.

ثم التقط ألك سلاحه وثبت شريطه على كتفه قائلاً:

- اتبعني. ومن هنا فصاعداً سنبقى البيوت بينما وبين الشوارع.

- يبدو ذلك جيداً.

خرج ألك من الظل وانطلق إلى الفناء المجاور متجهاً إلى ما وراءه، وكان مارك في أعقاباه.

تبعاً نفس الروتين في الدزينة التالية من المنازل أو نحو ذلك: الركض سريعاً عبر ساحات الموتى الخالية من الحياة، والتسلل عبر ظلال المباني، ثم ينسلان في طريقهما من الخلف إلى الجانب الآخر بينما يختلس ألك النظر

إلى الزاوية، باحثًا عن أي علامة لآخرين. وبمجرد أن يتبين كل شيء، يهرعان إلى المنزل التالي ويعيدان الكرة.

وصلا إلى نهاية شارع آخر، حيث يمكنك الاتجاه يمينا أو يسارا.
همس ألك:

- حسنا. علينا أن نتجه في هذا الطريق وأن نأخذ الطريق الثاني إلى اليسار، فذاك يؤدي إلى الشارع الكبير حيث رأينا كل تلك الحفلات.
كرر مارك:

- الحفلات؟

- نعم. لقد نكّرتني ببعض مدمني الكلانك الذين قبضنا عليهم في العشرينيات عندما أُعلنت الأحكام العرفية. كان هؤلاء الناس معاتيه... مخابيل بالفعل! هيا.

مدمنو الكلانك. عرف مارك بعض مدمني المخدرات في حياته، لكن أولئك كانوا الأسوأ. أصبح العقار أقوى وأقوى على مدى عقود. الآن هو شيء لن تعود من إدمانه أبداً... أبداً. لسبب ما علقت الكلمة في ذهن مارك.
- هيه!

كان ألك في منتصف الطريق إلى المنزل التالي، ثم استدار نحو مارك قائلاً:

- وقت مناسب للشroud حقاً!

نفض مارك شباك العنكبوت من ذهنه وركض خلف ألك. لحق به على جانب بيت فخم من ثلاثة طوابق، الظل فرصة جيدة للراحة كالعادة، حتى لو لم يدُم طويلاً. كانا يمشيان على طول الجدار حتى يصلا إلى ما وراءه. اختلس ألك النظر، ثم تمشيا حول الزاوية وبدأ من الجانب الآخر. كان مارك قد اتخذ ثلاث أو أربع خطوات فقط عندما سمع صوت قهقهة فوقه. نظر إلى الأعلى، متوقفاً رؤية أحد أنواع الحيوانات الغريبة، كان الضجيج غريباً جداً، ولكن كانت هنالك امرأة جالسة على السطح، قدرة كأى من المصابين الآخرين الذين رأهم مؤخراً. شعرها مشعث في كل اتجاه، ووجهها ملطخ بالوحل كأنها تمارس طقساً شعائرياً.

أطلقت نفس الصوت، بين ضحكة وسعال متهاك. ابتسمت، كاشفة عن مجموعة من الأسنان البيضاء تمامًا، وسرعان ما تحولت إلى زمجرة. وبعد قهقهة أخرى استدارت للخلف واختفت خلف شفة مزلاج السقف، أحد المنازل القليلة التي لا يزال بها سقف.

ارتجف مارك. أمل أن يتمكن من إبعاد صورة المرأة عن ذهنه. التفت إلى الوراء ورأى أنك يقف على بعد بضعة أقدام من المنزل، موجهاً سلاحه نحو السطح دون أن يطلقه.

سأله الرجل على الفور:

- أين ذهبت؟

- لنخرج من هنا. ربما هي وحدها.

- مستحيل.

هرعا حتى وصلا إلى الزاوية البعيدة من الجانب الخلفي من البيت. ألقى أنك نظرة سريعة.

- كل شيء واضح. نحن نقرب أكثر، لذا استعد وخذ حذرك.

أوماً مارك برأسه.

انتقل أنك إلى المنزل التالي، وكان مارك يستعد لفعل نفس الشيء عندما أوقفه صراخ مروع. نظر إلى الأعلى في الوقت المناسب ليرى المرأة تقفز من السطح، تطير عبر الهواء بذراعيها ممدتين كالأجنحة. كان وجهها مشتعلًا بالجنون وهي تصرخ متجهمة نحو مارك، الذي لم يصدق ما رآه.

ثم استدار ليهرب، لكن الأوان كان قد فات. ارتطم جسدها بكتفه وارتطما بالأرض.

الفصل الثاني والخمسون

انقضت عليه مستهدفة عينيه، وكأن وقع السقوط لم يؤثر عليها مطلقًا. تعوي كمخلوق معذب. كان لا يزال يعاني الصدمة، وقد آلمته ركبتاه حيث ارتطمتا بالأرض القاسية. تقلّب وهو يمسك يديها ويحاول إجبارها على الابتعاد عن وجهه، فأفلتت من قبضته وانهاالت على أذنيه وأنفه وخديه بالخمش والصفع. واصلَ محاربتها.

صرخ إلى ألك:

- النجدة!

فرد عليه الرجل صائحًا:

- أبعدها لكي أستطيع التصوير!

أدار مارك جسده ونظر سريعًا إلى ألك. كان يقف هناك وهو يوجه سلاحه، ينتظر حتى يخاطر بإطلاق النار على المرأة.

بدأ مارك يصرخ:

- تعال.

ولكن أصابعها فجأة كانت في فمه، تسحب شفتيه. وضعت أصابعها على خديه وجذبتهما كما لو أنها تحاول تمزيق جانب وجهه، لكن إصبعها انسلت خارجًا. طارت يدها في الهواء، ثم عادت ولكمته في وجهه بقبضة قوية، فتطاير فيه الألم والغضب كسلسلة مضاعة من المفرقات النارية.

وأخيرًا تمكن من التنفس، وضع يديه تحت جسدها وأخرج كوعيه، ثم دفعها بقوة. طارت بعيدًا عنه، وارتطم ظهرها بالأرض بصوت مسموع، مما جعلها تصمت للحظات، ثم تلوّث لتقف على يديها وركبتيها. لكن مارك قد قام أولًا، واندفع إلى الأمام، ثم ثبت نفسه على قدمه اليسرى وركلها بيمينه، ليرتطم حذاؤه بجانب رأسها. صرخت وارتخت، متكورة حول نفسها وممسكة بوجهها بين ذراعيها. تهتز زهابًا وإيابًا، ترتجف.

ابتعد مارك عنها بسرعة.

- هيا، اضربها!

لكن ألك لم يفعل. سار بهدوء ليقف إلى جانب مارك، وكانت نهاية سلاحه تشير إلى المرأة المتألّمة.

- سيكون إهدارًا. دعنا نوفر الشحنات لمواقف أخطر.

- ولكن ماذا لو تبعتنا؟ أو ذهب لتجلب أصدقاءها؟ هل تفسد فرصتنا في مفاجأتهم؟

أخفض ألك نظره طويلًا، ثم رفع عينيه إلى مارك.

- إذا كان ذلك يجعلك تشعر بتحسن، فافعل ذلك.

ثم استدار وبدأ يمشي باتجاه المنزل التالي، ممشطًا المنطقة بعينيه بحثًا عن أعداء محتملين.

ذهب مارك إلى حيث أسقط حقيبتيه وهو يصارع المرأة المجنونة. لم يبعد عينيه عنها وهو يلتقط الحقيبتين، ملقيًا بواحدة منهما على كتفيه، ثم ممسكًا السلاح بكلتا يديه عندما تحررتا، ثم توجه إلى المرأة واقترب منها حتى أصبح على بعد أقدام قليلة منها، لكنها كانت مستلقية متكورة في وضع الجنين، تئن باستمرار، وتهتز زهابًا وإيابًا. لم يشعر مارك بالشفقة، ولا بالحزن، فلقد أصبحت حياتها البشرية ماضيًا، وفقدت كل ذرة من العقل، ولم يكن ذلك خطأه. وعلى الرغم من كل ما يعرفه، كان لديها أصدقاء في مكان قريب، أو كانت تتظاهر بالضعف فقط حتى يذهب بعيدًا ويتركها وشأنها.

لا، لم يعد هناك وقت للشفقة.

خطا خطوة أخرى إلى الوراء، وضغط بقوة على مؤخرة السلاح في صدره، وصوبه بدقة أكثر وضغط الزناد. ملأت الطنطنة والهمهمة الهواء، ثم ارتد الترانسفيس وأطلق شعاعًا من الضوء الأبيض نحو جسد المرأة. لم يكن لديها الوقت لتصرخ، قبل أن يتحول جسدها لموجة من الرمادي لينفجر متحولًا إلى ضباب ناعم، يتلاشى في لحظة.

تعثر مارك خطوتين إلى الوراء، لكنه كان محظوظًا لأنه لم يسقط. حذق إلى الفضاء الفارغ على الأرض حيث كانت ترقد المرأة، ثم نظر أخيرًا ليرى أن ألك قد توقف بمواجهته، وتعبير غير مقروء على وجهه، ولكن بدا أن هناك خليطًا من الصدمة والفخر الواضحين عليه.

قال مارك، متأكدًا من أنه لم يسمع مثل هذا الصوت المرير يهرب من شفتيه من قبل:

- صديقاتنا. هذا كل ما يمكننا التفكير فيه.

رفع السلاح ووضعه في غمده بين عنقه وكتفه وأمسكه بيد واحدة بينما أسقط الأخرى على جانبه، ثم سار بهدوء نحو ألك. انتظره الجندي العجوز ولم ينطق بكلمة، ثم انتقلًا إلى المنزل التالي.

الفصل الثالث والخمسون

بدأ مارك يسمع الفوضى بعد مروره بمنزليين آخرين. صرخات وضحكات وما بدا وكأنه خبط معدني. كانت الصرخات أقسى ما يمكن، ولم يكن يعلم إن كان مستعدًا لرؤية مصدرها. حاول ألا يفكر في حقيقة أنه قد ينتهي به الأمر إلى أن يكون مريضًا مثل الناس الذين يسمعونهم. وربما يكون في طريقه إلى ذلك.

بعد المرور بعدة منازل أخرى، وصل هو وألك أخيرًا إلى الشارع الذي رأياه من السماء.

رفع ألك يده ليوقف مارك خلف آخر منزل في الحي. كان المنزل يواجه الطريق، لكنه كان يوفر بعض الحماية من الرؤية. وقفوا في ظل السقيفة شبه المتهدمة.

قال ألك وهو يخفض حقيبة ظهره:

- حسنًا. هذا كل شيء. دعنا نأكل ونشرب، ثم نهجم بضراوة.

كان مارك مدهوشًا لقلة خوفه، على الأقل في تلك اللحظة. ربما لأنهما كانا يأخذان استراحة قصيرة، ولم يصبح الموقف حقيقيًا بعد. لكن إن كان هناك أي خوف، فقد كان يتراكم لمدة طويلة جدًا، وكان فقط تواقًا للخروج وترك ما حدث. كان رأسه يرتخي بشدة مرة أخرى، يعلم بطريقة ما أن الأمور تزداد سوءًا. لا يستطيع أن يهدر الوقت.

جلسا وأكلا بعض الأطعمة المجففة التي وجدها في البرج. تمتع مارك بكل شربة ماء من زجاجته. خطر بباله أن هذه هي المرة الأخيرة التي يشرب

فيها. هز رأسه. أصبحت الأفكار المريضة أكثر تشبهاً بذهنه. حشر آخر لقميتين في فمه ووقف.

قال:

- لا أستطيع أن أتحمل بعد الآن.

ثم مد يده إلى الأسفل، ورفع حقيبته ورماها على كتفيه.

- لنخرج إلى هناك ونجد صديقاتنا.

رمقه ألك بنظرة حادة.

- قصدت أن كل هذا الانتظار... لا أستطيع أن أتحملة.

كان رأسه يخفق ولكنه حاول جاهداً أن يتجاهله.

- هيا. دعنا نبدأ.

وقف ألك وأعد نفسه، وعندما انتهى، وضع سلاحيهما في أيديهما،

مستعدين للمعركة.

قال ألك:

- تذكر، قد لا يكون هنالك دفاع ضد هذه البنادق، لكن هذا لا يعني

أي شيء إذا اختطفه هؤلاء الملاحين منا. أكرر، لا تدع أحداً يقترب بما

يكفي لانتزاعه من يديك، وأبقِ الشريط فوق كتفك. هذه هي أولويتنا

الأولى، الحفاظ على هذه البنادق من أجلنا.

قبض مارك على بندقيته بشدة، كما لو أن شخصاً ما سيحاول أن يأخذها

منه على الفور، وأوماً برأسه قائلاً:

- لا تقلق. لن أذع أحداً يقترب.

أخرج ألك يده، معقباً:

- سوف ننجح في هذا، ولكن في حالة...

هز مارك يد الرجل، وضغط عليها مقاطعاً إياه:

- شكراً على المليار مرة التي أنقذت فيها حياتي.

- كان شرفاً لي أن أخدم معك يا فتى. ربما اليوم ستنقذني عدة مرات.

- سأبذل قصارى جهدي.

جهزا أسلحتهما وانعطفا عبر زاوية المنزل. نظر ألك إلى مارك وأوما برأسه ثم انطلق بعدو سريع. تبعه مارك وركض خلفه إلى الشارع.

كانت المجموعة الرئيسية من المصابين على مسافة أبعد، ولكن كان هناك عدد كافٍ من الأشخاص القريبين ليجعلهما يتوخيان الحذر. جلست امرأة في ساحة وسط الطريق، تصفق بيديها بنمط إيقاعي، على بعد بضعة أقدام منهما، وكان هناك رجلان يتشاجران حول ما يشبه فأرًا ميتًا، ورجل آخر يقف في الزاوية، يغني بأعلى صوت لديه.

عبر مارك وألك الشارع وتوجها نحو البيت الأول. وكمعظم الخرائب في الحي الغني، كان ضخماً نصف محترق. تابع مارك ألك من كثب، وتوقف إلى جانب البيت، ثم التصقا بالحائط وأمسكا أنفاسهما. لم يلاحظهما أحد بعد. بالطبع، العديد منهم لم ينظروا حتى عندما كانت البرج فوق رؤوسهم، بينما تحترق المحركات الدافعة بصوت أعلى مما يمكن لمارك تخيله.

قال ألك:

- حسنًا. عندما رأيتهم، اقتيدت لانا والآخرين إلى بيت هناك (ثم أوما برأسه نحو الشارع إلى اليمين). لكنني أعتقد أنه يجب أن نبحث فيهم جميعًا للتأكد. إذا كن نُقلن، فسنعثر عليهن أيضًا. وإذا كان بوسعنا أن نتجنب مجموعة المعاتيه الرئيسية في الشارع، فهذا أفضل.

فأجاب مارك:

- من الأفضل أن نبدأ إذاً. هنا.

أوما ألك برأسه.

- هيا.

انسلا من حماية الجدار واتجها إلى الباب الأمامي، ليركضا مباشرة إلى رجل يقف أمام المدخل. كان يرتدي ملابس مهترئة وكان وجهه قذرًا، وجرح عميق يغطي خديه.

صاح ألك:

- ابتعد عن الطريق. ابتعد عن الباب وادخل إلى الفناء أو ستموت في خمس ثوانٍ.

رمقهما الرجل بنظرة فارغة، ثم رفع حاجبيه وفعل كما قيل له، متحرّكًا بهدوء عبر الرواق، ومشى ببطء إلى الفناء الأمامي الصخري. سار دون تلكؤ إلى أن وصل إلى الرصيف، ليستدير إلى جهة اليمين ويتجه نحو الجمع على الطريق.

هز ألك رأسه قائلاً:

- كن مستعدًّا في حال انقلب أحد علينا.

ثبّت مارك قدميه وصوّب سلاحه.

أمسك ألك بالترانسفيس بيده ومد يده الأخرى، ممسكًا بالباب ليفتحه. ثم خطا خطوة إلى الورا بينما انفتح الباب على مصراعيه، معطيًا مارك الفرصة للتصويب إذا كان بحاجة إليه. لكن المكان كان خاليًا.

قال ألك وهو يلوح بذراعه لدخول مارك:

- اذهب أولاً حتى أتمكن من مراقبة ظهرك.

- أو راقبني أوكل قبلك.

- ثق بي يا فتى. من الأفضل لك إذا عدت إلى هنا. والآن... تحرك.

كانت هناك موجة من الإثارة تغمر جسد مارك. ولم يعد الخوف يعبث به؛ كان يتلهف لفعل شيء ما، فأعطاه ألك إيماءة ودلف إلى الرواق ودخل المنزل، ملوحًا بسلاحه يمينًا ويسارًا وهو يفتش الغرفة. كان كل شيء ساخنًا مغبرًا مظلمًا، ولم يدخل ضوء الشمس إلا من خلال ثقوب في الجدران.

أصدرت الأرضية صريرًا مع كل خطوة يخطوها.

قال ألك من خلفه:

- توقف وأنصت للحظة.

ثبّت مارك جسده وشحذ سمعه. لكن عدا الأصوات البعيدة للرقص الفوضوي في الشارع، لم يسمع شيئًا. كان المنزل صامتًا.

اقترح ألك:

- لنذهب من أعلى إلى أسفل.

تبيين أن الدرج كان مكسورًا إلى حد يتعذر معه صعوده. وكفَّ مارك عن المحاولة بعد أن اجتازت قدمه الدرجة الثالثة.

أشار ألك إلى باب يبدو أنه يؤدي إلى الطابق السفلي.

- ابق منتبهاً. لا أسمع أي شيء هناك. دعنا نتحقق من الأمر في الأسفل، ثم نتحرك.

رفع مارك نفسه بحذر من الدرج وذهب إلى باب القبو. فأعطى ألك نظرة مؤكدة، وأمسك بالمقبض ليفتحه. رفع ألك سلاحه في الفراغ في حال أي هجوم، لكن شيئاً لم يحدث. جرفت موجة من الهواء الرطب مارك، ليتقلص حلقة. كان عليه أن يسعل ويبتلع ريقه بضع مرات ليمنع نفسه من التقيؤ.

قرر ألك أن يذف أولاً هذه المرة، ويخطو من خلال المدخل إلى مركز السلام، ثم مد يده إلى الخلف وأخرج مصباحه اليدوي من عبوته، وضغط عليه، ثم ألقى بضوئه على الدرج. كان ألك يمد قدمه ليبدأ، عندما انطلق صوت من الأسفل.

- ااقترَب، وسوف أأشعل عود الثقاب.

كان صوت رجل ضعيف مرتعش. ألقى ألك نظرة استفهام على مارك. لمح مارك حركة بطرف عينيه. ألقى ألك الضوء هناك ليكشف عن الشخص الذي تحدث، والذي ظهر للتو من وسط الظلام. كان يرتجف من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه وكان مبتلاً بالكامل، شعره الداكن ملتصق برأسه وملابسه تقطر بسائل ما. تشكلت برك صغيرة على الأرضية. كان وجه الرجل شاحباً، كما لو أنه لم يغادر القبو منذ أسابيع، وعيناه تضيقان مع ضوء المصباح.

تساءل مارك في البداية عما إذا كان الرجل يتصبب عرقاً بغزارة. ثم تساءل إن كان الرجل قد يكون لديه أنبوب أو ماء جوفي في الأسفل. لكنه بعد ذلك أمسك بعبوة من الكيروسين، ثم لاحظ أن الرجل يمسك بأشياء في يديه بإحكام فوق خصره. وفي إحداها، كان يحمل صندوقاً مستطيلًا، وفي الأخرى عودًا من الثقاب.

قال الرجل:

- أخطُ خطوة أخرى وسوف أشعله.

الفصل الرابع والخمسون

أراد مارك أن يهرب، لكن ألك لم يتحرك بعد. وقف هناك وسلاحه موجه إلى أسفل الدرج نحو الرجل ذي عود الثقاب.

قال ألك بحرص:

- لم نأتِ إلى هنا لإيذائك. نحن نبحث فقط عن أصدقائنا. هل هناك أحد آخر في الأسفل؟

بدا أن الرجل لم يسمع أي شيء قاله ألك، وظل واقفًا يرتجف ويقطر منه الوقود.

- إنهم خائفون من النيران، كما تعلمان. الكل خائف من النار، مهما بلغ جنونهم. لا يزعجونني هنا. ليس مع وقودي وأعواد ثقابي.

نادى مارك:

- ترينا! لانا! هل أنتما هنا؟

لم يستجب أحد، والرجل ذو عود الثقاب لم يجفل من الصياح، وقال:

- إنه اختياركما، يا صديقي. يمكنكما أن تأخذا خطوة تجاهي وسوف أضرم النيران التي سوف تأخذني بعيدًا إلى الأبد. أو يمكنكما أن تمضيا في طريقكما وتتركاني لأعيش يومًا آخر.

كان ألك يهز رأسه ببطء. وأخيرًا بدأ يتراجع، دافعًا مارك إلى أن أصبح كلاهما في الممر الثانية، ودون كلمة، مد ألك يده وأغلق الباب ببطء حتى انغلق بنعومة، ثم التفت إلى مارك.

- أي عالم نعيش فيه الآن؟

- عالم مريض بشدة.

شعر مارك بذلك أيضًا. شيء ما في رؤية ذلك الرجل غارقًا في الوقود، يحمل عود الثقاب. لسبب ما بدا وكأنه يلخص الأمور.

- أشك في أن النهاية سوف تكون سعيدة للغاية. كل ما يمكننا فعله هو

إيجاد صديقاتنا والتأكد من أننا سنموت وفق شروطنا الخاصة.

- حسنًا، قلت يا بني.

خرج مارك وألك بهدوء من البيت الأول وانتقلا إلى البيت التالي.

كانت الأصوات أعلى الآن. شق ألك ومارك طريقهما إلى البيت عبر الشارع، يخططان لاتباع طريق متعرج، فلاحظهما بعض الممتلكين وأشاروا ناحيتهما، لكنهما تحركا بسرعة كافية. كان مارك يأمل أن يستمر حظهما وألا يطيل أحدهم التفكير أكثر من اللازم. على الرغم من أن أسلحتهما اللامعة كانت ستنسف تلك الأفكار بالتأكيد.

دلفا إلى رواق المنزل التالي عندما خرج منه طفلان صغيران. كانت إصبع مارك ترتجف على الزناد، لكن الفرحة غمرته عندما أدرك أن المتقدمين نحوه مجرد أطفال. كانا قذرين ولديهما تلك النظرة الغريبة في أعينهما. ضحكا وهربا، ولكن ما إن اختفيا حتى خرجت امرأة كبيرة تصرخ وتهدد بسلق جلودهما.

يبدو أنها لم تلاحظ الغريبين إلا بعد أن صرخت لبضع ثوانٍ، ثم رمقتهما بنظرة ممتعضة.

قالت:

- لسنا مجانين في هذا المنزل.

واحمرَّ وجهها بالغضب فجأة وهي تستطرد:

- ليس بعد على أي حال. لا حاجة إلى أخذ أطفالنا، إنهما الأشياء الوحيدة التي تبقى الوحوش بعيدًا.

كانت هناك نظرة فارغة في عينيها أدت إلى ارتعاش عظام مارك.

كان ألك منزعجًا بشكل واضح، وقال:

- انظري يا سيدتي، نحن لا نهتم بأطفالك، ونحن بالتأكيد لسنا هنا لنأخذهم. كل ما نريد القيام به هو إلقاء نظرة سريعة على منزلك، والتأكد من أن أصدقاءنا ليسوا هناك.

كررت المرأة:

- أصدقاء؟ الوحوش أصدقاؤك؟ من يريد أن يأكل أولادي؟!

وفجأة استُبدل بالفراغ رعب شديد أظلم عينيها وهي تصيح:

- أرجوك... لا تؤذني. يمكنني أن أعطيك واحدًا منهم، واحدًا فقط. أتوسل إليك.

تنهد ألك وأجابها:

- لا نعرف أي وحوش. فقط... انظري، فقط تنحي جانبًا ودعينا ندخل. ليس لدينا وقت.

تقدم إلى الأمام بعضلات مشدودة، مستعدة لاستخدام القوة إذا لزم الأمر، لكنها هرولت، وكادت تتعثر في الأعشاب الضارة الميتة في فنائها. نظر مارك إليها بحزن، لقد افترض أن الوحوش هم الأشخاص المصابون في الشارع، لكنه أدرك الآن أنه كان مخطئًا، هذه المرأة لم تكن في صوابها أكثر من الرجل الأخير الذي وجدوه، ولن يفاجأ إذا اعتقدت حقًا أن الوحوش تعيش تحت الأسرة.

ترك مارك المرأة في الفناء الأمامي وتبع ألك في الداخل فقط ليصعق بما رآه. لقد بدا الداخل أشبه بزقاق خلفي من أحد أسوأ أجزاء مدينة نيويورك عوضًا عن كونه منزلًا في الضواحي. وكانت هناك صور مرسومة -بما يشبه الطباشير الأسود- على كل الجدران، صور قاتمة مرعبة، وحوش، كائنات بمخالب وأسنان حادة وأعين متوحشة. كانت الرسوم فوضوية، كما لو كانت قد تمت على عجل، لكن بعضها كان مرسومًا بتفاصيل كافية لأن ينتصب الشعر على ذراعي مارك.

ثم ألقى نظرة قاتمة على ألك، ثم تبع العجوز على الدرج إلى القبو، ونزل حاملًا السلاح على أهبة الاستعداد.

وجدا عددًا أكبر من الأطفال دون سن الخامسة عشرة على الأقل، وربما أكبر سنًا. كانوا مغطيين بالقذارة، معظمهم محتشدون في مجموعات، يرتعدون وكأنهم يتوقعون عقابًا رهيبًا من الوافدين الجدد، جميعهم قذرون ذوو ثياب رثة، ويبدو أنهم يتضورون جوعًا. تقبل مارك بصعوبة حقيقة أن الناس الذين كان يبحث عنهم لم يكونوا هناك.

قال مارك:

- لا يمكننا تركهم هنا.

ترك سلاحه، ليتدلى من شريطه على كتفه. كان مشدوهاً.

- يستحيل أن نتركهم هنا.

شعر ألك بأنه لن يكون قادرًا على جعل مارك يتوانى عن ذلك. تقدم الجندي للأمام وتحدث بجدية.

- أفهم ما تقوله يا بني، وأفهم وجهة نظرك، لكن استمع لي. ماذا يمكننا أن نفعل لهؤلاء الأطفال؟ كل شخص في هذا المكان مريض، وليس لدينا القوة لتخليصهم. على الأقل هم... لا أعرف حتى ماذا أقول.

قال مارك بهدوء:

- اعتقدت أن البقاء على قيد الحياة مهم جدًا، لكنني كنت مخطئًا. لا يمكننا ترك هؤلاء الأطفال هنا.

تنهد ألك.

- انظر إليّ.

وعندما لم يفعل مارك ذلك، طقطق ألك أصابعه وصاح:

- انظر إليّ!

نظر مارك إليه.

- لنذهب ونجد صديقاتنا. يمكننا العودة بعد ذلك. لكن إذا أخذناهم الآن، لن تكون لدينا أي فرصة. هل تسمعني؟ لا فرصة على الإطلاق.

أوماً مارك برأسه. كان يعلم أن العجوز على حق، لكن شيئاً ما مزق قلبه لرؤية أعين هؤلاء الأطفال، لدرجة ألمته جسدياً. لم يعتقد أنه سيشعر بتحسن أبداً.

استدار ليستجمع أفكاره. كل ما يمكنه فعله هو التركيز على ترينا. كان عليه أن ينقذ ترينا، ويدي.

قال أخيراً:

- حسنًا. لنذهب.

انتقل مارك وألك من بيت إلى بيت، فاحصين كل زاوية.

أصبح كل شيء ضبابياً في عيني مارك. وكلما رأى أكثر، ازدادت لا مبالته بغرابة العالم الجديد، هذا المرض الذي انتشر عمداً، في كل منزل، في كل جناح، رأى أشياء على رأس قائمته لما اعتقد أنه لا يمكن تصوره. رأى امرأة تقفز من فوق سطح لتهبط متكسرة أمام مقدمة منزلها. رأى ثلاثة رجال يرسمون الدوائر في التراب ويقفزون فيها وخارجها، كأطفال يلعبون الحجلة. إلا أن شيئاً ما كان يزيد من انزعاجهم وينتهي بهم الأمر إلى مشاجرة مجنونة. كانت هناك غرفة في أحد المنازل حيث كان عشرون أو ثلاثون شخصاً مستلقين في سكون تام، على قيد الحياة بالتأكيد، ولكن بلا حراك.

امرأة تأكل قطعة. رجل يمضغ سجادة في ركن غرفة معيشته. طفلان يلقيان الحجارة على بعضهما بعضاً بكل ما في وسعهما، ملطخين بالدماء وكدمات من الرأس إلى أخمص القدمين، يضحكان كل حين. الناس واقفون في ساحاتهم، يحدقون إلى السماء. آخرون مستلقون في التراب، يتحدثون إلى أنفسهم. رأى مارك رجلاً يدق شجرة، ويضرب نفسه في الجذع مراراً وتكراراً، كما لو أنه اعتقد في النهاية أنه سيربح المعركة ويهزمها.

سرعان ما ذهب باحثين في كل بيت واقتربا مما دعاه ألك بالحفلة، لكن أغرب شيء هو أنه حتى الآن لم يهاجمها أحد. معظم الناس في الواقع بدوا خائفين حتى الموت منهما.

كانا يقتربان من المنزل التالي عندما مزقت صرخة الهواء فجأة، بطريقة ما أعلى من كل الأصوات الأخرى مجتمعة. كانت تخرق وتشق طريقها عبر الشارع ككائن حي.

اندفع ألك بسرعة، وتبعه مارك، ثم نظر كلاهما إلى اتجاه الضجيج. على بعد نحو خمسة منازل، رجلان كانا يسحبان امرأة ذات شعر أسود من قدميها عبر الباب الأمامي. ارتطم رأسها بالخرسانة في كل خطوة بينما كانوا يذهبون إلى الساحة.

همس ألك:

- بحق العذراء! إنها لانا.

الفصل الخامس والخمسون

لم ينتظر ألك رد مارك، وانطلق في ركض محموم، وتوجه إلى الشارع، وقدماه تدقان على الرصيف وهو متجه إلى لانا، والآن يجرها الغرباء عبر ساحة البيت المليئة بالصخور. كان رد فعله سريعاً حتى إن مارك كان متأخراً جداً. حاول جاهداً اللحاق به، وبندقيته على كتفيه، وسلاحه يكاد ينزلق من بين يديه المتعرجتين.

كان ألك يصيح في الرجال ليتوقفوا عما كانوا يفعلونه، لكن البلطجية لم يفهموا التهديد، أو لم يهتموا، واستمروا في سحب لانا عبر الساحة حتى وصلوا إلى الرصيف، حيث ألقوها بعنف. توقفت عن الصراخ، وتساءل مارك إذا كانت لا تزال واعية، أو إن كانت لا تزال على قيد الحياة.

توقف ألك على بعد عدة أقدام من مكان استلقاء لانا. كان يوجه سلاحه، ويصرخ فيهم ليتوقفوا، عندما أمسك به مارك. استغرق منه الأمر لحظة ليلتقط أنفاسه قبل أن يتمكن من توجيه الترانسفييس الخاص به.

كان هناك ثلاثة رجال، واقفين في دائرة حول جسد لانا، ينظر جميعهم إليها ممددة على الأرض. وبدا أنهم غافلون تماماً عن أن هناك أسلحة موجهة إليهم.

صاح ألك:

- ابتعدوا عنها!

والآن وهما قريبان، ألقى مارك أخيراً نظرة جيدة على صديقتهما، مما أسقم معدته. كانت مضروبة مخضبة بالدماء مغطاة بالكدمات، الكثير من

شعرها قد مُزَّق، وقد أظهرت فروة رأسها الدامية الأماكن الخالية من الشعر. آخر ما لاحظته مارك هو أن إحدى أذنيها بدت وكأن شخصًا حاول تمزيقها. أصاب الرعب مارك مثل صخرة تجثم فوق صدره، وعاد الغضب يغلي داخله. كانوا وحوشًا، وربما فعلوا نفس الشيء مع ترينا...

تقدم نحوهم، لكن ألك مد يده وأوقفه.

قال:

- لحظة واحدة فقط.

ثم أعاد انتباهه إلى خاطفي لانا.

- لن أكرر كلامي. ابتعدوا عنها أو سأبدأ بإطلاق النار.

لكن بدلًا من الرد، ركع الرجال الثلاثة على الأرض، وركبهم تلامس جسد لانا وهم يحيطون بها.

قال مارك:

- فقط افعلها. ما الذي تنتظره؟

أجابه ألك:

- ليس لدي زاوية تصويب واضحة! لا أريد أن تخطئ الضربة هدفها! أغضبت كلمات ألك مارك أكثر. لم يكن ليقف هناك دون أن يفعل أي شيء ولو لثانية.

صاح:

- لقد سئمت من هذا الهراء.

ثم بدأ يمشي للأمام، مبعدًا يد ألك عندما حاول منعه مرة أخرى. لم ينظر إليه الرجال وهو يقترب، كانوا جميعًا يحفرون في جيوبهم بحثًا عن شيء ما.

صرخ، والسلاح في يديه:

- ابتعدوا عنها وإلا سأطلق النار. لن تتاح لكم الفرصة لتعرفوا ما حدث

لكم إن فعلت، صدقوني!

لم يسمعه أو تظاهروا بعدم سماعهم. والشيء التالي الذي حدث كان سريعًا جدًا وصادمًا مما جعله يتعثّر، حتى كاد يسقط. في غيمة من الحركة، أخرج أحد الرجال مطوأة وطعن لانا. كان صراخها بمنزلة صدمة رعب تنخر في عظام مارك، ثم تقدم مسرعًا، صاحبًا سلاحه، قفز وتعامل مع الأقرب له، وقفز عليه ليتدحرج كلاهما بعيدًا عن لانا.

سمع ألك يصرخ باسمه، لكنه تجاهله. كان تفكيره الوحيد هو أنه يجب عليه نزع سلاح هذا الرجل بسرعة كافية ليتمكن من إيقاف الآخرين، أن يبعده على الأقل بما فيه الكفاية عن لانا حتى يمكن لألك أن يتعامل معه. كان الرجل الذي اشتبك معه قويًا، لكن مارك أخذه على حين غرة وتمكن من تثبيته على الأرض بركبتيه وانتزاع المطوأة من يديه. ودون أن يفكر، طعنه في صدره ليقتله.

سقط مارك على ظهره وتدحرج مبتعدًا، يحدق برعب إلى ما فعله، ولكن بنفس السرعة، عاد إلى العالم الواقعي وانتصب واقفًا، فركض ألك وألقى بمؤخرة سلاحه إلى الأسفل بكلتا ذراعيه، موجهاً الطرف الآخر إلى رأس أحد المهاجمين، فتلوى ساقطًا على الأرض.

كانت هناك مجموعة من الناس يهجمون من الجانب الآخر من الشارع. لم يكن لدى مارك أي فكرة عن المكان الذي أتوا منه، لكن كان هناك على الأقل سبعة أو ثمانية منهم، يحملون السكاكين أو المطارق أو المفكات، ووجوههم تشع غضبًا.

صاح مارك في ألك:

- انتبه!

لكن الرجال لم يكونوا مهتمين بهم، بدلًا من ذلك ذهبوا جميعًا وراء لانا، التي كانت لا تزال تتعرض للهجوم من قبل الرجل الوحيد الباقي من الثلاثة. خطأ ألك بعض خطوات إلى الوراء وركض مارك ليقف بجانبه، وفيما كانا يشاهدان، أدرك مارك أنهما عاجزان عن إيقاف هذا الجنون إلا إذا بدأ باستعمال الترانسفييس، ووجد الشكوك تملؤه فجأة.

بدا ألك أكثر شراسة فجأة، وبدا ذلك على وضعية جسده. كان وجهه لا يزال قاسياً كالصخر. استوى ووقف، ثم رفع سلاحه دون أن ينطق بكلمة إلى مارك، ووجهه إلى مجموعة من الناس الذين يهاجمون لانا.

أطلق النار. انطلقت من السلاح أشعة بيضاء نقية لتضرب أقرب رجل حيث كان يسحب ذراعه إلى الخلف، ومطرقة ملطخة بالدماء في يده. وسرعان ما تحول إلى اللون الرمادي المتلألئ، ثم انفجر متحولاً إلى سحابة من الضباب، هبت منها رياح غير محسوسة. وكان ألك قد أطلق بالفعل دفعة أخرى على الرجل الذي بجانبه. علم مارك أنهم لا يستطيعون الفوز في هذه المعركة، على الرغم من أن لانا كانت شجاعة وقوية منذ اليوم الذي التقيا فيه في أنفاق المترو.

رفع مارك سلاحه وبدأ بإطلاق النار. نجح هو وألك في صد المهاجمين واحداً تلو الآخر، وسرعان ما اختفت الوحوش ولم يبقَ على الأرض سوى صديقتهما في وضع بائس مزير. لم يتردد ألك للحظة، فوجّه ضربة أخرى من الترانسفيس.

وانتهت معاناة لانا برذاذ من الضباب الرمادي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل السادس والخمسون

انحرفت عينا مارك عن البقعة الدموية على الأرض لتركزا على ألك. قالت النظرة على وجهه ألف شيء، ولكن كل ذلك كان مغمورًا بحزن عميق. ومع أن مارك لم يفهم بالضبط نوع العلاقة بين المحاربين السابقين، لكنه علم أنها كانت عميقة وملينة بالتاريخ المشترك.

والآن قد رحلت.

اختفى تعبير ألك بعد بضع ثوانٍ، بدت وكأنها عمر لمارك. لم ير صديقه حزينًا من قبل.

فجأة عاد ألك للعمل مجددًا. أشار إلى البيت الذي أمامهما.

- سحبوها خارجًا من هناك، وهذا هو المكان الذي نحن ذاهبان إليه. أنا متأكد من أن ترينا والطفلة هناك الآن.

التفت مارك لينظر. كان بيتًا كبيرًا من ثلاثة طوابق بنوافذ ضخمة الكثير منها مكسور، والسقف محترق، بدا المنزل عتيقًا. وقف مارك خائفًا مما قد يجده بداخله. وكان الناس يتجمعون حولهما.

مرت أقل من دقيقة منذ أن تبخرت صديقتهما والهمج الذين هاجموها، لكن الحشد الذي كان يسعى في الساحة والشارع يبدو أن أعداده قد تضاعفت. رجال ونساء وأطفال، معظمهم مغطى بالكدمات والخدوش، وبعضهم أسوأ حالًا. اقترب رجل ذو كتف مقطوعة نحوهما ببطء؛ يبدو أن شخصًا ما قد ضربه بفأس في نوبة غضب، وبالقرب منه امرأة بذراع واحدة. المشهد الأكثر

هولاً كان لاثنين من الأطفال مشوهين بشكل مروع، ويبدو أنهما لا يعرفان حتى بإصابتهم.

بدأ الناس بالاقتراب أكثر بثبات، محيطين بمارك وألك، بملابس رمادية مهلهلة وشعور قذرة ونظرات جوفاء. وقد تركز انتباه الجمهور على الوافدين الجديدين.

بدأ ألك يسير ببطء نحو الباب الأمامي للمنزل الكبير. كان مارك يقلد تحركاته الحذرة، وكأن أي تحرك مفاجئ من شأنه أن يؤدي إلى جنون أولئك الذين يراقبون كل خطوة لهما. اقتربا، وأسلحتهما مشهورة. لم يرغب مارك في المخاطرة بأي شكل، إذا هاجمه أحدهم، سيطلق عليه النار فوراً.

احتشدوا بشكل أكثر إحكاماً حولهما كمتفرجين في استعراض. لا بد أن عددهم تجاوز العشرات الآن، ربما أكثر من مئة. ثم انفصل عدة رجال عن المجموعة الأكبر وقطعوا الطريق إلى الباب الأمامي، وحالما فعلوا ذلك، تبعهم آخرون، محاصرين مارك وألك بإحكام.

صرخ ألك:

- لا أعرف إن كنتم تفهمونني، ولكنني لن أكرر هذا العرض. إما أن تبتعدوا عن طريقنا وإما سنبدأ في إطلاق النار.

وأضاف مارك:

- لدينا أصدقاء في هذا المنزل، ولن نغادر دونهم.

تغيرت النظرات على الوجوه من حولهما، كانت اللامبالاة الفارغة جلية، الأعين تضيق، والرؤوس تتأرجح، والشفاه ترتجف. بضع نساء حدقن نحوهما، وزمجر طفل كحيوان بري.

صرخ ألك:

- ابتعدوا عن طريقنا!

اقترب الحشد بضع بوصات، محكمين الخناق عليهما. شعر مارك مرة أخرى كأنه يفقد السيطرة، وغلى في عروقه ما يشبه الكراهية.

همس:

- انسوا!

وجّه سلاحه إلى أقرب رجل بينه وبين الباب الأمامي وضغط الزناد، لينبعث شعاع من الضوء الأبيض إلى صدر الرجل، سرعان ما حوَّله إلى كتلة رمادية، ثم انفجر إلى ذرات واختفى. لم يتردد مارك، فوجه سلاحه على الفور نحو الرجل التالي، ضغط الزناد، شاهده وهو يتحول إلى غبار. كانت هناك امرأة بجانبه، وبعد ثلاث ثوان لم تعد هناك.

توقع أن يوقفه ألك، لكن الجندي السابق لم يضيع أي وقت. بالكاد تبخرت المرأة عندما أطلق ألك النار أيضًا. ركزا على فتح ثغرة إلى البيت، ملوحين بأسلحتهما ذهابًا وإيابًا فيما كانا يضربان الناس واحدًا تلو الآخر، فملاّت ومضات من النور الهواء فيما كانت الأشعة تلتمع في الهواء، مطلقة العنان لموجة من الدمار. كل ذلك دون قطرة دم واحدة.

قُضي على نحو اثني عشر شخصًا، ونُسِفَ نصف الحشد الذي كان يقف أمامهما، عندما بدا أن بقية المصابين أخيرًا بدؤوا يستوعبون ما حدث، شق صوت صرخة عنيفة الهواء، صوت مدوّ رهيب، وفجأة كان جميعهم يجري إلى الأمام، يسرعون نحو الرجلين وأسلحتهما المميّنة.

نقل مارك سلاحه إلى اليمين، ضاغطًا على الزناد في دفعات قصيرة، غير مبالٍ بالتصويب حتى. خيوط أشعة بيضاء متصلة تضرب بعض النساء. ضربت طلقة طائشة صبيًا صغيرًا، فذرتة، وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف اندفاع المهاجمين نحوهما بكامل سرعتهم. استدار مارك ليووجه من خلفه، ثم أطلق النار مرة أخرى، ثم أمسك بالترانسفيس ورفعها للأعلى لتضرب مؤخرته وجه رجل، ليقع صارخًا بألم.

تعثر مارك إلى الورا، لكنه حافظ على توازنه. كان هناك أناس من حوله، يهمسون، يصكون بأسنانهم، يرقصون على أقدامهم، كل تلك الأعين البرية وذلك الضحك الهستيري. أمسك مارك بالترانسفيس بقوة على صدره مرة أخرى وأطلق النار عشوائيًا، واستدار في حلقة بطيئة بينما كان يبخر أي شخص يقترب منه، ثم أعاد السلاح في الاتجاه المعاكس، مراعيًا بحذر ألا يصيب ألك.

كانت اللحظات القليلة التالية فوضى عارمة. شعر مارك بالهلع الشديد. استمر في إطلاق النار، يتأرجح يسارًا، ثم يمينًا، ثم انحنى واندفع إلى داخل

المنزل ثم أطلق النار وبدأ في العمل من جديد، متقدماً في طريقه نحو المنزل. قتل ما لا يقل عن عشرة أشخاص آخرين قبل أن يتعثّر فجأة على درج الرواق. وقع، لكنه تمكن من إطلاق الترانسفييس في صدر رجل قفز في الهواء نحوه. غمر الضباب الرمادي وجهه مارك واختفى. رصد ألك على بعد بضعة أقدام، يضرب بمؤخرة سلاحه وجه امرأة، ثم اندفع ألك راکضاً، وقفز على الدرج ومرّ بمارك، متجهًا نحو الباب.

أطلق مارك طلقة أخرى قبل أن يبدأ الزحف إلى الورا لأعلى الدرج. وفي الأعلى وقف على قدميه ووصل إلى الباب فيما كان ألك يمر. ركض ماراً بألك إلى البيت وصفق صديقه الباب بقوة. لم يكن ألك قد أغلق القفل إلا بالكاد قبل أن يندفع ثقل الأجسام ضارباً الباب من الجانب الآخر. شكّ مارك أن الباب قد يصمد طويلاً.

ثم ركضاً، أسفل الرواق، ثم انعطفا لليمين، إلى رواق آخر. جاءهم شخصان، كانا يحرسان باباً. أطلق ألك على كل منهما طلقات من الترانسفييس الخاص به. تسلل مارك من أمامه، وفتح الباب... كانت هناك خطوات. كان هناك رجل في الأسفل، في طريقه للأعلى، وعيناه تحترقان بوحشية في وجهه القذر المليء بالخدوش. حوَّله مارك إلى غبار.

هبط السلم سريعاً، فاندفع نحوهما رجل وامرأة بالسكاكين، محاولين الهجوم عليه قبل أن يتمكن من رفع سلاحه. ضربهما ليوقع كليهما، وهبط باتجاه الأرض في نفس الوقت الذي ظهر فيه ألك وأطلق النار من سلاحه مرتين. ثم هدأ كل شيء ما عدا أصواتاً بعيدة للناس في الخارج، الذين سيأتون من أجلهما قريباً.

كانا في قبو، وخيط من أشعة الشمس يشرق عبر نافذة ضيقة في أعلى الجدار على يمين مارك. رقص الغبار في الهواء، وتجمع شخصان في ركن الغرفة، وبدوا خائفين بشدة.

ترينا وديدي، يحتضنان بعضهما بعضاً، وأذرعهما ملفوفة حول جسديهما المكدمين. ركض مارك نحوهما راکعاً أمامهما، وضع سلاحه على الأرض.

كانت ديدي تبكي، وقالت بصوت مرتعش:

- إنها مريضة.

ثم احتضنت ترينا بقوة أكثر وواصلت البكاء.

مد مارك يده وأمسك بيد ترينا وضغطها قائلاً:

- لا بأس. لقد وجدناك. سنخرجك من هنا.

كانت ترينا تحديق إلى الأرض طوال الوقت، لكنها رفعت رأسها ببطء

ونظرت إلى مارك. كانت عيناها فارغتين وغائرتين.

سألته:

- من أنت؟

الفصل السابع والخمسون

خرقت الكلمات قلبه كسهام. حاول أن يقنع نفسه أن هناك ملايين الأسباب التي جعلتها تقول ما قالته. ربما لم يكن في الغرفة ضوء كافٍ، ربما أُصيبت في رأسها، ربما كانت رؤيتها ضبابية. لكن حقيقة الأمر كانت في تلك الأعين. لم يكن لديها أدنى فكرة من هو. لا شيء.

- ترينا...

بحث عن الكلمات.

- ترينا، إنه أنا، مارك.

دوى صوت اصطدام في الطابق العلوي، شيء يتحطم، ثم بعض الهمج، وصوت خطواتهم يعلو بالأعلى.

صاح ألك:

- يجب أن نخرج. الآن.

لم تكف ترينا عن النظر إلى مارك، ووجهها ينطق بالحيرة. كان رأسها يميل إلى الجانب، كما لو أن عقلها يحسب الاحتمالات عن ماهية الشخص الذي أمامها، ولكن كان في عينيها أيضاً خوف وذعر.

- ربما هناك علاج.

وجد مارك نفسه يهمس بغثيان. الشخص الوحيد في العالم الذي أراد أن يكون برفقته، آمناً وسليماً...

- ربما...

صرخ ألك:

- مارك! اضربهم! الآن!

نظر إلى الورا ليرى صديقه فى أسفل الدرء، رفء سلاحه لىطلق النار على كل من ءجراً وءاول النزول أولاً. كان هناك المزيد من الضوضاء فوقهم: الناس يركضون ويصرخون. أشياء ءءءطم. ءم ءءقط مارك صوت حراك من النافذة، صوت قدمين كانتا هناك، ءم اءءفى.

قال وهو يعيد انءباهه إلى الفءاءين:

- سوف نكءشف كل شيء. هيا، علينا أن نءرء من هنا.

وقء هءء ارءفاع ءءم الضوضاء بءفع ذءره إلى ءافة الهاوية، ولكنه كان يعلم أنه يدوس على أرض هشة مع ءرينا. لم يكن يعرف كيف سيكون رء فعلها إذا ءاول أن يسرع بها.

قال بلطف قدر المسءءاع:

- ديءي؟

ءم ءءقط ءهاز ءرانسفىس وعلقه على كءفه.

- ءعالى إلى هنا يا ديءي. ءءى بيءي وانهضى.

صوت انفءار مءوٌ يءءرق الهواء، قاءم من الدرء. كان أءءهم قء اقءءم الباب، لينءلع طاءراً نحو الءاءط. وصلت الصرءاء إلى درءة هسءيرية. سمع مارك الصوت المميز للءرانسفىس الءاص بألك، وسمع أصوات الصءق من أعلى بينما يرى الهمء أحد رفاءهم يءءفى فى ومضة من الضباب الرماءي. ءءيل مارك المشءء، كل ذلك بينما يمد يءه ءارءاً مءاولاً أن يءءء عن ديءي بهءوء.

ءءقء إليه الفءاء لبعء ءوانٍ مؤلمة، وألف فءرة ءمر فى رأسها. لم يءع مارك نفسه يءأءر، فقط اسءمر فى الاءءسام ومد لها يءه. مءء يءها آءيراً ممسكة بيءه، وءءه يسءبها واقفة. وءون أن يءركها، ءأرءء وءارء ذراعه الأءرى ءءء ظهر ءرينا، ءم أمسكها بإءكام. اسءءءم كل قوئه لىرفءها عن الأرض ويوقفها على قدميها.

لم ءقاوم، لكن مارك كان قلقاً من أن ءقع إن ءركها.

كررت:

- من أنت؟ هل أنت هنا لتتقذنا؟

أجاب، محاولاً ألا يدع كلماتها تحرقه:

- أنا أعز صديق لك على الإطلاق. هؤلاء الناس سرقوك مني، والآن سأعيدك إلى بر الأمان.

قالت:

- أرجوك. من فضلك لا تدعهم يؤذونني ثانية.

انفتحت في صدره هاوية تهدد بابتلاع قلبه، وقال:

- لهذا أنا هنا. أنا فقط أحتاج إلى أن تمشي، حسنًا؟ سيرني وأبقي قريبة مني.

المزيد من الأصوات من أعلى: صرخة، وتحطيم نافذة، ثم خطوات على الدرج. أطلق ألك طلقة أخرى.

تحركت ترينا.

- حسنًا. أنا بخير. سأفعل أي شيء للخروج من هنا.

- تلك فتاتي.

سحب مارك ذراعه من ظهرها ثم ركز على يدي، انحنى لينظر إلى عينيها.

- سيكون هذا مخيفًا حقًا، حسنًا؟ لكن بعد ذلك سينتهي. أبقي قريبة من...

قاطعته وعيناها تشتعل ببريق جعلها تبدو أكبر بعشر سنوات:

- سأكون على ما يرام. لنذهب.

شعر مارك بابتسامة صغيرة ترتسم على شفثيه.

- عظيم. دعونا نفعل ذلك.

أخذ يدها ووضعها في يد ترينا وضمهما معًا، ثم أمسك بالترانسفيس ووضع بثبات على صدره، مستعدًا لإطلاق النار.

قال وهو ينظر إلى كل واحدة منهما ليتأكد أنهما قد فهمتاها:

- ابقيا خلفي مباشرة.

بدت ترينا أكثر وعيًا الآن، الوضوح يعود إلى عينيها.

- خلفي مباشرة.

أمسك بسلاحه، وضع إصبعه على الزناد، ثم استدار ليواجه أسفل الدرج، حيث حافظ ألك على موقعه.

كان مارك قد خطا خطوتين باتجاه ألك، وديدي وترينا خلفه مباشرة، عندما انفجرت النافذة عن يسارهم فجأة، صرخت ديدي وقفزت ترينا إلى الأمام، متعثرة في ظهر مارك. تعثر مارك ولكنه حافظ على توازنه قبل أن يسقط. أشار إلى النافذة المكسورة، حيث اخترقت ذراع رجل الثغرة الضيقة وبدأت تتحسس الجدران.

أطلق مارك طلقة من سلاحه. فانبعثت أولى موجات الحرارة البيضاء، لتحفر ثقبًا في الجدار مع سحابة غريبة من الغبار. حاول مرة أخرى وهذه المرة أصاب الهدف، وتحللت الذراع إلى كتلة رمادية، ثم تلاشت من الوجود. ظهر شخصان آخران حيث كان الرجل، لكن مارك استطاع تمييز أن ثغرة النافذة أصغر من أن يزحف شخص عبرها، ثم استدار وانتقل مرة أخرى إلى السلم حيث وقف ألك بثبات. أطلق النار على شخص بالأعلى بينما كان مارك ينظر إليه.

صاح الرجل دون أن يبعد عينيهِ عن الباب:

- ليس هناك خيار سوى شق طريقنا إلى هناك. غالبًا ما سيتضاعف هذا الجنون بالخارج.

أجاب مارك:

- نحن مستعدون.

على الرغم من أنه لم يكن لديه أي فكرة كيف ستمكن مجموعتهم المؤلفة من أربعة أشخاص من العبور خلال ذلك الجمع من المصابين بالوهج.

- ربما ينبغي لنا أن نضع الفتيات بيننا.

- تمامًا... لا شيء. سوف أذهب أولاً، ستتولى أنت المؤخرة هذه المرة. العبور من وسط هؤلاء المخابيل سيكون شنيعًا.

أوماً مارك برأسه وأخذ خطوة إلى الورااء. بدت ترينا أفضل حالاً، على الرغم من أنها لم تعط أي علامة حتى الآن على أنها تذكره. أمسكت بيد وديدي ووجَّهتها لتقف بجانب ألك. راح الرجل يغمز للفتاة الصغيرة، ثم صعد الدرج. تبعته ترينا وديدي قفزاً على السلالم. صعد مارك خلفهم، فقط في حالة ما إذا اكتشف شخص طريقة أخرى للوصول إلى القبو.

صعدوا نحو الفوضى التي كانت تنتظرهم في الأعلى.
صرخ ألك:

- ابتعدوا عن طريقنا! سأبدأ في إطلاق النار بعد ثلاث ثوان!

اشتد هدير النشاط في زوبعة من الصيحات والصفير والهتاف والضحك. تخلى مارك عن فكرة حراسة المؤخرة ونظر إلى الأعلى ليرى خمسة أو ستة وجوه محتشدة معاً عند الباب، منتظرين إياهم بأعين زائغة وجوع للعنف. أحس بخوف يتزايد في صدره حتى صار التنفس صعباً، لكنه عرف أنهم إذا استطاعوا الخروج بطريقة ما، فسيكون لديهم فرصة للنجاة.

زار ألك:

- انتهى الوقت!

ثم ضرب ثلاث طلقات سريعة من الترانسفيس الخاص به، ليرسل امرأتين ورجلاً إلى العالم الآخر.

وفجأة تقدم الجميع إلى الأمام صارخين، دافعين الباب بأجسادهم. ضرب ألك بعض طلقات أخرى، لكن الجمع كان كبيراً. وسرعان ما هجم عليه عشرة أشخاص، يقفزون وينقضون ويخمشون.

سقط ألك إلى الخلف ناحية ترينا وديدي، اللتين اصطدمتا بمارك. تدرجت المجموعة كلها إلى أسفل السلالم بأذرع وسيقان متشابكة، وهجم المصابون من ورائهم.

الفصل الثامن والخمسون

ضرب رأس مارك السلم، ثم الحائط، ثم الأرض، وطوال الوقت كانت أقدامهم ترفسه وأيديهم تصفعه وأكواعهم تنخزه. تحول العالم إلى جنون مملوء بالألم، وعندما توقف كل شيء، كانت ترينا وألك فوق صدره، وكانت ديدي فوق قدميه، تجاهد للنهوض. حاول ألك أن يرفع الترانسفييس ليطلقه، لكن سرعان ما اعترضه رجل قفز من أعلى الدرج فوق جسده، ليطيير السلاح بعيدًا عن مارك.

وصلت ترينا إلى ديدي، أمسكت بها واحتضنتها بشدة، وهربت بها من المعمة بينما ظهر المزيد من الناس من الأعلى، وسرعان ما كانوا فوق رأس مارك، أكثر من عشرة، يلطمونه ويركلونه ويحاولون تمزيقه إربًا على ما يبدو. لم يعلم مارك ماذا سيفعل، كل الخطط قد فشلت. معتمدًا على اليأس المحض، لف جسده وحاول أن يخرج من وسط الجمع، ممسكًا بالترانسفييس بكلتا يديه ويؤرجحه يمينًا ويسارًا لإبعاد الناس عنه.

صرخت ترينا بصوت مرتفع مدو:

- توقفوا! فليتوقف الجميع واستمعوا لي!

شقت كلماتها الهواء وسط الصراخ والصياح والشتائم الآتية من كتلة الأجساد التي اجتاحت السلالم من الأعلى إلى الأسفل. توقفت كل الحركة. صُعبق مارك من التغيير المفاجئ، خرج من الأسفل اثنان يحدقان إلى ترينا، في شبه زهول. اصطدم ظهره بالحائط المقابل لأدنى درجات السلم. كانت ترينا عن يساره، وكان ألك قد حرر نفسه أيضًا.

كل الأعين متجهة نحو ترينا، كما لو كانت تملك قدرات تنويم مغناطيسي. ولم يكسر الصمت في القبول إلا تنفس الجمع.

قالت بهدوء أكبر:

- عليكم جميعًا الاستماع لي. (وتابعت بنظرة باردة) أنا واحدة منكم الآن. لقد جاء هذان الرجلان لمساعدتنا، ولكن عليكم أن تدعونا نذهب حتى يتمكننا من القيام بذلك.

فأطلقوا صخبًا من الهمهمة والتمتمة في الجمع. راقبهم مارك بذهول وهم يقفون على أقدامهم، يهمسون بعضهم إلى بعض، ويبدو أنهم يطيعونها. كانوا جميعًا ملطخين بالدماء، ولكنهم بدؤوا يتصرفون بطريقة منظمة. وسرعان ما اصطفوا على جانبي السلالم، تاركين مسارًا خاليًا وسطهم. كان باستطاعة مارك ملاحظة أن الذين في الأعلى كانوا يتواصلون مع أشخاص آخرين في البيت، ينشرون الأمر. تم كل ذلك بما يشبه التوقير. استدارت ترينا نحو مارك.

- قدنا إلى الأعلى.

ولم تظهر في عينيها أي علامة على معرفته، فاحترق قلبه مرة أخرى. لم يكن لديه أدنى فكرة عما كان يجري أو كيف جعلت هذا الجمع من المخابيل يصغي لأمرها، لكنه لم يكن ليضيع الفرص، فقفز واقفًا وأبقى الترانسفييس الخاص به على أهبة الاستعداد، دون أن يظهر تهديدًا صريحًا. نظر إلى ألك، الذي بدا مرتبكًا بشكل لم يره مارك من قبل، يغيم الشك عينيه. أوماً برأسه لمارك للذهاب أولاً.

تقدم مارك إلى السلم واستدار إلى ترينا وديدي قائلًا:

- لنصعد إذًا. هيا، سيكون كل شيء على ما يرام.

كانت تلك أقل جملة قابلة للتصديق قالها في حياته.

جاءتا إليه ليتبعاه، ترينا تضع ديدي أمامها، وتمسك كتفي الفتاة الصغيرة.

انتقل ألك ليقف خلفهما مباشرة.

- ها نحن ننطلق.

كانت عيناه تتأرجحان زهابًا وإيابًا على صفوف الناس على جانبي السلم. قالت الطريقة التي نظر بها إليهم كل شيء، اعتقد على نحو أكيد أنه فخ من نوع ما. كانت قبضته على الترانسفييس الخاص به أكثر إحكامًا من قبضة مارك على سلاحه.

بعد أن التقط مارك أنفاسه، ليميز الروائح الكريهة للمحيطين به، استدار وواجه الدرج مرة أخرى. قام بالخطوة الأولى. كل عين من فوقه كانت تنظر إليه، وعن يمينه امرأة ذات شعر مشعث ووجنتين مزينتين بالكدمات تحرق إليه بابتسامة خفيفة. وقف عن يساره فتى مراهق يرتدي ملابس مهلهلة ممزقة قذرة من رأسه إلى أخمص قدميه، كما بدا وكأنه على وشك الضحك، وقد اصطف المزيد من الناس بأشكال مماثلة، كل الأعين تراقبه، وكلها صامتة. همس ألك من خلفه:

- استمر بالحراك.

خطا مارك خطوة أخرى. كان قلقًا من التسرع في صعود السلم، كما لو أن ترينا قد وضعت المصابين في غيبوبة ما وأن أي حركة سريعة قد تكسر هذا السحر. رفع قدمه وصعد إلى أعلى خطوة، ثم أخرى. ألقى نظرة إلى الورا ليرى ترينا وديدي في ذيله، وألك خلفهما. نظر إليه الرجل العجوز نظرة فيما معناها أنه غير سعيد ببطء حركتهم.

خطا مارك خطوة أخرى، ثم أخرى، تحديقات الغرباء ترسل الثلج على جلده نزولًا إلى عموده الفقري، والابتسامات تتسع أكثر وأكثر بشكل مخيف. قطعوا ثلثي الطريق إلى الأعلى عندما سمع صوت المرأة خلفه مباشرة. جميل. جميل جدًا.

ثم استدار ليرى السيدة وهي تمسك برأس ديدي، تربت عليه وكأنها داخل قفص في حديقة الحيوانات. كان وجه الفتاة الصغيرة مليئًا بالرعب.

قالت المرأة:

- يا لها من طفلة جميلة. يمكنني أن أكلك أكلاً. كعشاء ديك رومي. نعم. إنها لطيفة جدًا.

خطا مارك للأمام مرة أخرى بنفور. كان هناك شعور قوي في صدره، وكأن شيئاً ما يحاول الهرب. اتخذ خطوة أخرى عندما مد رجل يده ووضع إصبعه على كتفه.

قال الرجل الغريب:

- أنت فتى صالح وقوي. أراهن أن أمك فخورة بك، أليس كذلك؟

تجاهله مارك، وصعد خطوة أخرى. يضع الناس في كلا الجانبين أيديهم على ذراعه، ليس بطريقة خطيرة، مجرد لمسة. خطوة أخرى. ابتعدت امرأة عن الحائط وألقت بذراعيها حول عنقه، وضغطت عليه في عناق سريع وشرس. ثم أطلقت سراحه وعادت إلى موضعها إلى الجانب. وشوهدت ملامحها ابتسامة شريرة.

اشمأز مارك. لم يستطع قضاء دقيقة أخرى في ذلك المنزل. مشى بحذر إلى الخلف، وأمسك بيد ديدي، ثم بدأ يتحرك بسرعة أعلى الدرج. كان يسمع صوت أقدامك بينما كان في المؤخرة.

في البداية بدا المصابون غير مدركين، مذهولين من الحركة المفاجئة. صعد مارك إلى الأعلى، عبر مركز السلالم، عبر الوجوه التي تحديق إليهم من كلا الجانبين، ثم كان في الممر. كان المنزل مكتظاً بالناس في كل مكان، بعضهم يحمل العصي والمضارب والسكاكين، ولكن كان هناك مسار واضح في المنتصف يؤدي إلى الباب الأمامي. لم يتردد مارك، وبدأ في الجري نحو المخرج، وجذب ديدي خلفه.

كان في منتصف الطريق قبل انهيار النظام، وبدا أن جميع سكان البيت يصرخون في نفس الوقت، فتزاحمت أجسادهم، ضاغطين على مارك وأصدقائه. أفلتت قبضة مارك يد ديدي ورأها تختفي وسط الجموع، وصرختها الصغيرة الجميلة تشق الهواء كصرخة ملاك بين الشياطين.

الفصل التاسع والخمسون

ارتدى مارك خلفها لكنه فقد توازنه، انزلق وسقط، وارتدى أحدهم فوقه على الفور، يضربه ويمزق ملابسه. فتلوى وأرجح كوعيه، وسمع صرخات. كانت الأيدي تمتد نحو سلاحه، عدد أكثر مما يستطيع مقاتلته. ركل برجليه، وانثنى ليرقد على معدته حتى يستطيع دفع نفسه لأعلى. شيء ما أصابه بشدة في مؤخرة رأسه فانهار وعانق وجهه البلاط الصلب. ثم كان هناك سحب مؤلم لعنقه، أدرك برعب أنه حبل سلاحه. كان يحاول الوصول إليه عندما مرَّ على ذقنه ومن فوق رأسه. وانطلقت أصوات نعيب وزعيق وتهليل. لقد اختفى الترانسفييس الخاص به.

تحول كل التركيز في الغرفة إلى السلاح المسروق، تاركًا مارك بضع ثوانٍ ليعود إلى قدميه. الرجل الذي أخذ الشيء منه كان يحمله في الهواء بكلتا يديه ويرقص في دائرة. قفز من حوله صعودًا وهبوطًا، وأذرعهم ممدودة حتى يتمكنوا من لمس السطح اللامع. كانوا يتجهون ببطء بعيدًا عن مارك، والمزيد والمزيد من الناس يندفعون إلى الداخل لرؤية الجائزة الجديدة، وكانت الكتلة تتجه نحو الطرف الآخر من الرواق، إلى ما يشبه المطبخ.

علم مارك أنه لن يستعيد الترانسفييس. مسح الغرفة بعينيه بحثًا عن آثار أصدقائه. وكان ثلاثة أو أربعة أشخاص يتعاملون مع ديدي، وهي تركل وتصرخ بينما كانوا يحاولون حملها إلى أعلى الدرج، وترينا وراءهم مباشرة، تقاتل للوصول إلى الفتاة. كان ألك يقاقل ما لا يقل عن ستة مهاجمين عزموا على الحصول على جائزة براءة يحملها. عندما نظر مارك إليه، هوى صديقه

بمؤخرة الترانسفييس في وجه رجل، وأطلق صاعقة من الضوء الأبيض في وجه آخر، مبخرًا إياه، ولكن بعد ذلك حدث اندفاع غاضب ناحية العجوز ليسقط على الأرض، والناس يقفزون فوقه.

لم يكن لدى مارك خيار سوى ملاحقة تريينا وديدي أولاً.

ركض إلى الأمام، يدفع الناس الذين لا يبدو أنهم يعرفون ما الذي يفترض أن يفعلوه، وقفز إلى الحافة يجري خارج الدرج. كان يعرف أن فرصته الوحيدة هي التسلق على طول الطريق. تمسك بالدرابزين وتحرك صاعدًا.

لوح رجل بقبضته ناحيته، ولم يصبه. ورمت امرأة جسدها فوقه، غير مدركة لاحتمال إيذاء نفسها. استطاع مارك الانحناء لتهوي من فوقه، مرتطمة بالأرض تحته. وحاول آخرون دفعه، وضربه البعض من الأسفل بعنف، وأمسكوا بقدميه، محاولين سحبه إلى داخل كتلة الأجساد الباذخة. قاتلهم جميعًا، وأبقى بطريقة ما يداً واحدة على الأقل على السياج الخشبي بينما كان يتملص ويصفع ويقاوم محاولاتهم لوقف تقدمه.

وأخيرًا تجاوز الهجوم الرئيسي، متجاوزًا الرجل والمرأة اللذين كانا يحملان ديدي بين ذراعيهما. تشبث مارك بالسياج بكلتا يديه ورفع نفسه عاليًا، ونزل بهدوء على درجة سلم قرب قمة الدرج. لم يتوقف الناس، استمروا في التوجه نحوه. لم يكن مارك يعرف ما الذي يجب فعله، لذا ذهب إلى الأمام، لف ذراعيه حول ديدي وركز بشدة، تاركًا زخم جسده يحررها من قبضة خاطفيها.

تدحرجا إلى أسفل الدرج، متخبطان بين الناس يمينًا ويسارًا حتى ارتدًا عن أسفل الدرج ووصلا إلى الأرض. نظر إلى الأعلى من المكان الذي كان يحتضن فيه الفتاة الصغيرة وشاهد تريينا تشق طريقها نحوه، وتدفع الآخرين جانبًا، تشتعل عيناها وتركز على ديدي.

وإن كان يتحسس الألم الذي هز جسده، كان على نحو ما يضع قدميه تحته ليقف بينما وصلت إليه تريينا. أمسكت بيدي ديدي، ولفت ذراعيها حولها بإحكام. كانت الفتاة الصغيرة تبكي. لكن فترة الاستراحة القصيرة قد انتهت؛ كان الناس يأتون نحوه من جميع الاتجاهات.

ألقي مارك نظرة سريعة وأدرك أن فرصهم في الهروب شحيحة. كان المنزل في فوضى.

كان ألك في غرفة الطعام، لا يزال يقاتل عشرات المهاجمين، مطلقاً سلاحه حين يستطيع. تخلى عنه عدد من الهمج عندما رأوا مارك، وهجموا عليه. كما أن زوبعة من الناس أتت من الجهة الأخرى - من المدخل المؤدي إلى المطبخ - جاؤوا بسرعة، كما لو أنهم يهربون من شيء ما بدلاً من الهجوم. فوقف عدد أكبر من المصابين بين مارك والباب، مانعين أي محاولة للنجاة. وكل واحد منهم بدا مستعداً للقتال أو القتل.

رفع مارك ذراعيه لحماية ترينا وديدي، أوقفهما وضغطهما إلى الحائط بجوار الدرج. وكان أول من وصل إليه رجل عجوز ذو خدوش وندوب تغطي رأسه بدلاً من الشعر. قفز في الهواء، متجهاً مباشرة نحو مارك، بينما اندلع صوت طرق عالٍ من المطبخ. تحول جسم الرجل إلى جدار رمادي، ثم اختفى في سحابة من الضباب غمرت مارك.

كان جسم مارك بارداً بالكامل. لم يصدر الصوت من ترانسفيس ألك، فقد اكتشف شخص ما كيفية استخدام المحول.

لم تخطر بباله هذه الفكرة إلا بالكاد قبل أن يمر به ضوء أبيض ضرب صدر امرأة تقف في المجموعة بجوار الباب.

صرخ مارك:

- ألك! شخص ما يطلق النار من الترانسفيس الآخر!

غيم الخوف على مارك كما لم يحدث من قبل، حتى بعد كل الأشياء الجهنمية التي مروا بها منذ ذلك اليوم عندما كان الظلام يعم المنطقة. كان هناك شخص مجنون يركض حاملاً سلاحاً يمكنه تبخير الإنسان في لحظة. في أي لحظة قد تختفي حياة مارك قبل أن يدرك ما حدث.

كان عليهم الخروج من هناك.

حتى مع مرض عقولهم، عرف الآخرون في المنزل أن شيئاً غير تقليدي يحدث. انتشر الذعر بين أفراد المجموعة، ثم استدار كل شخص وهرب نحو الباب الأمامي. ملأ الصراخ الهستيرى الهواء. تحول الممر إلى نهر مرتفع من

الأرجل والأذرع والوجوه المرتعبة، التحمت جميعها بعضها ببعض، هاربة نحو مقدمة المنزل. وقد انطلقت طلقات أخرى من الترانسفييس، واختفى المزيد من الناس.

شعر مارك بأن عقله ينهار. نظر حوله وحمل ديدي بين ذراعيه، ثم أمسك بكتف ترينا ورفعها عن الحائط، ودفعها بعيدًا عن الحشد إلى غرفة الطعام، حيث كان ألك يقاتل، فقد أحاطت به كتلة من الناس، عدد أكبر من أن يطلق النار عليهم.

دفع مارك ترينا، هذه المرة نحو النافذة الكبيرة، واحدة من النوافذ القليلة في البيت التي ظلت سليمة. التقط مصباحًا وألقاه على الزجاج، محطّمًا إياه. أمسك بديدي بشدة بذراعه اليمنى، ثم ركض إلى الأمام، ملتصقًا بترينا وممسكًا بها بيده اليسرى. ودون أن يتباطأ، ركض مباشرة نحو الثغرة، ثم ترك ترينا، مقلبًا جسده في الثانية الأخيرة بحيث واجه ظهره الأرض. عانق الفتاة بشدة، محاولًا بذل قصارى جهده لحمايتها بينما هبط فوق كومة قاذورات مكدسة كانت حوضًا للزرع في يوم من الأيام. ألمه السقوط بشدة.

نظر إلى السماء المشرقة ورأى رأس ألك خارج المنزل.

قال الرجل:

- لقد فقدت عقلك حقًا.

لكنه كان يساعد ترينا في تسلق النافذة قبل أن ينهي جملته.

قفز بعد هبوط ترينا بسلام، ثم ساعد مارك على الوقوف، فأخذت ترينا ديدي بين ذراعيها. رأى بعض المصابين فرارهم ليتبعوهم، وكان آخرون يهرعون إليهم من الباب الأمامي. يملأ الصراخ والصياح الهواء. كان الناس يتقاتلون في الخارج.

صاح ألك:

- لقد اكتفيت من هذه الحفلة.

التقط مارك أنفاسه أخيرًا، وبدأ أربعتهم في الركض عبر الساحة المغبرة، متجهين نحو الشارع الذي سيعيدهم إلى البرج. حاول ألك أن يأخذ ديدي من ترينا لكنها رفضت، وواصلت الحركة، وأظهر وجهها الضغط الناتج عن حمل

العبء. أما بالنسبة إلى الفتاة الصغيرة، فقد استبدل بصراخها الصمت. لم تكن هناك دموع على وجهها.

نظر مارك خلفه. وقف رجل على الشرفة الأمامية، مطلقًا الترانسفييس في كل مكان بعشوائية، مرسلاً الناس إلى حتفهم. وأخيرًا لاحظ المجموعة تهرب إلى الشارع وأطلق عيارين. لم يصيبا هدفهما، لتضرب الأشعة البيضاء الرصيف، محولة إياه إلى أكوام من الغبار. استسلم الرجل، وعاد يصب على أهداف أقرب.

واصل مارك وأصدقائه الركض، وعندما اجتازوا البيت الممتلئ بالأولاد الصغار، فكر مارك في ترينا وديدي والمستقبل. ولم يتوقف.

الفصل الستون

وأخيرًا رأوا البرج مرة أخرى. شامخة على مبعدة، أكثر جمالًا من أي شيء قديم رآه مارك. وعلى الرغم من أن كل واحد منهم كان يبذل ما قد يكون آخر أنفاسه، فإنهم لم يبطنوا من سرعتهم، وسرعان ما ظهر لوح كبير من المعدن مغطى بالندوب فوق رؤوسهم.

مارك لم يكن يعلم كيف كانت ترينا تحمل ديدي على ذراعيها طوال الوقت، لكنها رفضت السماح لأي شخص آخر بالمساعدة.

سألها بين الأنفاس العميقة:

- أأنتِ ... بخير؟

فانهارت على الأرض، منزلة الفتاة برفق قدر استطاعتها. نظرت إليه، ولكن لم يكن هناك أي تمييز في عينيها.

- أنا ... بخير. شكرًا لك على إنقاذنا.

ركع مارك جوارها، والدم يعود إلى قلبه بعد أن انتهى جنون الهرب، ثم

قال:

- ترينا، ألا تذكريني حقًا؟

- تبدو ... مألوفًا، لكن عقلي لا يزال مشوشًا. نحن فقط بحاجة إلى الحصول على الفتاة - هي منيعة، أعرف ذلك - نحن بحاجة إلى إيصالها إلى أناس ذوي أهمية، قبل أن نكون جميعًا مجانيين إلى حد لا يمكننا معه المحاولة.

شعر مارك ببطنه ينقلب ومال للخلف بعيدًا عن أعز أصدقائه. الطريقة المخيفة التي قالت بها هذه الكلمات القليلة الأخيرة...

كان يعلم أنها تعاني خطبًا جليلاً. وهل يمكن أن يقول نفس الشيء عن نفسه؟ كم من الوقت كان لديه حتى لم يعد شيء يهم؟ يوم؟ ربما اثنان؟

كان باب البرج الضخم يتحرك بصوت صرير مرتفع.

تحدث ألك بصوت عالٍ ليغطي على صوت التروس والمحركات:

- دعونا نركب على متن السفينة، ونأكل، ثم نفكر فيما يجب القيام به مع أنفسنا. قد نكون مثل هؤلاء الأوغاد الذين هربنا منهم قريبًا.

قال مارك:

- ليس الفتاة.

وتساءل بهدوء عما إذا كان صديقه قد سمعه.

- ماذا تقصد؟

- الندبة على ذراعها. لقد ضربت بسهم منذ أشهر. فكر في الأمر. صدقت ترينا. إنها منيعة بشكل ما. هذا يعني شيئًا.

كانت ترينا قد توقفت عن الكلام، فقط تومئ بقوة. غرق قلب مارك أكثر. لم تكن واعية تمامًا.

أطلق ألك إحدى زمجراته الشهيرة:

- حسنًا، إلا إذا كنت تريد تبادل الجثث معها، أعتقد أن ذلك لن يفيدك قليلاً، أليس كذلك؟

- ولكن ربما كان من الممكن أن يساعد الآخرين. إذا لم يكن لديهم علاج... فنظر ألك إليه بتشكك وقال:

- لنصعد على متن الطائرة قبل أن يلحق بنا بعض من أولئك المخابيل. جال بخاطر مارك شيء، ثم قال:

- لتفجرنا مستخدمًا الترانسفييس الخاص بي.

وقدّر أن ألك لم يوبخه على ذلك.

توجه ألك إلى المهبط، حيث كان على وشك النزول، تاركًا مارك ليتعامل مع الفتاتين. مد مارك يده إلى ترينا.

- هيا. سيكون متن الطائرة لطيفًا وآمنًا، وهناك طعام ومكان للاستراحة. لا تقلقي. يمكنك أن تثقي بي. من المؤلم حتى أن أضطر إلى قول شيء كهذا.

وقفت ديدي، ووجهها لا يزال متحجرًا، وأخذت بيد مارك قبل ترينا. نظرت إليه الفتاة الصغيرة، وعلى الرغم من أن ملامحها لم تتغير، فإن شيئًا ما في عينيها جعله يعتقد أن لديها ابتسامة مخفية في مكان ما. ثم قامت ترينا على قدميها.

قالت بصوت غائب:

- أتمنى فقط ألا يكون هناك وحش على متن ذلك الشيء.
ثم بدأت بالمشي نحو المهبط.
تنهد مارك ثم تنهدت ديدي.

ومرت الساعات القليلة التالية بهدوء فيما كانت الشمس تتأرجح نحو الأفق، وسقطت الظلمة على الأرض خارج البرج. طار ألك بالبرج إلى الحي الذي كانوا قد ركنوا فيه من قبل، والذي بدا مهجورًا. ثم أكلوا وأعدوا أسرة لترينا وديدي كي تناما. كانت ترينا تتمتع كثيرًا، حتى إن مارك لاحظ في مرحلة ما للعب يسيل على ذقنها، وفيما كان يزيله عن وجهها، احترق الحزن من جديد في قلبه.

أما بالنسبة إليه، فقد بدا النوم مستحيلًا تمامًا.

كان ينوي التحدث مع ألك، ومعرفة الخطوة التالية، ولكن عندما وجده، كان الدب القديم يشخر في كرسي الطيار، يجلس مستقيمًا ورأسه مائل إلى الجانب. كاد مارك يستسلم لإغراء رمي قطعة من الطعام في فم ألك، وضحك على تلك الفكرة.

قهقهه.

لقد بدأ يفقد الوعي حقًا، وأصبح مزاجه قاتمًا. كان في أمس الحاجة إلى القيام بشيء ليشتت عقله عما يحدث.

تذكر فجأة أوراق العمل التي رآها في غرفة الشحن، تلك التي أَمَنها على الرف مع الشرائط. ارتفعت معنوياته قليلاً على أمل أن شيئاً ما ضمن هذه الأجهزة ربما يلقي بعض الضوء على ما ينبغي أن يفعله. ربما، فقط ربما، كانت هناك طريقة للتخلص من الفيروس بطريقة ما. ربما كانت هناك فرصة. مر عبر ممر البرج ذي الإضاءة الخافتة باتجاه غرفة الشحن. تذكر في منتصف الطريق أنه يحتاج إلى مصباح كهربائي، وعاد ليخرجه من حقيبته. ثم أخيراً، كان واقفاً أمام الرف. وسرعان ما أزال ألواح العمل وجلس ليقراً عليها.

كان هناك ثلاثة، الأول بطاريته فارغة، ومنعته كلمة المرور من دخول الثاني، ولكنه كان لا يعمل بكفاءة ومن المحتمل أن ينقطع شحنه قريباً على أي حال. كادت حماسة مارك أن تخبو. أما الثالث فقد انفتح، أضواء توهجه الغرفة الكبيرة بإضاءة عالية حتى إن مارك أطفأ مصباحه اليدوي. فالمالك -كما يظهر رجل يدعى راندال سبيلكر- لم يشعر بالحاجة إلى كلمة سر، إذ ظهرت صفحته الرئيسية فوراً.

أمضى نصف الساعة التالية وهو يقرأ معلومات عديمة الفائدة. كان السيد سبيلكر يحب الألعاب وغرف الدردشة. كان مارك مستعداً للاستسلام تقريباً، معتقداً أن الرجل قد استخدم الجهاز كمجرد لعبة، عندما اكتشف أخيراً بعض ملفات العمل المخفية.

بحته في مجلد بعد الآخر لم يسفر عن شيء، لكنه قد وجد ضالته في مكان لن يطيق معظم الناس صبراً حتى يجده. كان مجلداً غير مميز كباقي المجلدات، كان حرفياً ضمن مجموعة من مئة مجلد آخر فارغين. كان عنوانه «أمر القتل».

الفصل الحادي والستون

كان هناك الكثير من الوثائق، ولم يعرف مارك من أين يبدأ. كل ملف له رقم معين، ويبدو أنه حُفِظ بشكل عشوائي. مارك يعلم أنه ليس لديه الوقت لقراءة كل ملف، لذا قرر أن يبدأ بفتحها ليرى ما يمكنه إيجاده.

ملف تلو الآخر من المراسلات والمذكرات والإعلانات الرسمية المحفوظة. وكان أكثرها عددًا المراسلات الشخصية - التي نُسخَت كلها في ملفات قليلة - بين السيد سبيلكر وأصدقائه، وخصوصًا واحدة تُدعى لادينا ليكليتر، وقد عمل الاثنان في ائتلاف ما بعد الوهج، وهو كيان كان سكان المستوطنات قد سمعوا عنه ولكنهم لم يعرفوا عنه شيئًا تقريبًا. ومن خلال ما استطاع مارك أن يفهمه، فالمجموعة جمعت أكبر عدد ممكن من الوكالات الحكومية من جميع أنحاء العالم. لقد اجتمعوا في ألاسكا - مكان يقال إنه لم يتأثر كثيرًا بالوهج الشمسي - وكانوا يحاولون إعادة بناء العالم مرة أخرى.

وبدا الأمر برمته نبيلًا جدًا - ومحبطًا للمشاركين فيه - إلى أن صادف مارك مراسلات بين السيد سبيلكر ولادينا ليكليتر، التي بدت أنها أقرب المقربين إليه، مما أرسل قشعريرة جليدية على جلد ذراعيه. كان عادة يتصفح النصوص سريعًا، لكنه قرأ هذا مرتين:

إلى: راندال سبيلكر

من: لادينا ليكليتر

ما زلت مصعوقة من اجتماع اليوم. لا أستطيع تصديق ذلك، لا أستطيع أن أتقبل أن لجنة تنظيم السكان قد قدمت ذلك الاقتراح. حقًا أنا مذهولة.

لقد اتفق معهم أكثر من نصف المجتمعين بالغرفة! لقد دعموهم! ما الذي يحدث بحق الجحيم؟ راندال، أخبرني، ماذا يحدث بحق الجحيم؟ كيف يمكننا حتى التفكير في القيام بشيء كهذا؟ كيف؟

لقد قضيت فترة الظهيرة أحاول فهم كل ذلك.

لا أستطيع الاحتمال. لا أستطيع.

كيف وصلنا إلى هنا؟

تعال لرؤيتي الليلة. أرجوك.

ل. ل

تساءل مارك: ما هذا بحق السماء؟ لجنة تنظيم السكان... المدعو بروس ذكرهم كبعض المسؤولين عن هجمة الفيروس. أو هل كان ذلك ائتلاف ما بعد الوهج؟ ربما كانت الأولى إدارة تابعة للثانية، مقرها في مكان ما في ألاسكا. ثم واصل البحث.

وبعد دقائق قليلة، وجد سلسلة من المراسلات ملتصقة معًا في ملف واحد كادت تجعل قلبه يتوقف. تحولت القشعريرة الجليدية السابقة إلى عرق بارد.

مُذَكَّرَةٌ - ائتلاف ما بعد الوهَج.

التاريخ: 217.11.28

الوقت: 21:46

إلى: أعضاء المجلس كافة

من: المستشار جون مايكل

الموضوع: شواغل التعداد السكاني

التقرير المقدم لنا اليوم، الذي أرسلت نسخة منه إلى جميع أعضاء التحالف، لم يترك بالتأكيد مجالاً للشك في المشكلات التي تواجه هذا العالم المشلول بالفعل. أنا متأكد أنكم جميعاً، مثلي، ذهبتم إلى الملاجئ بصمت مشدوه. ويحدوني الأمل في أن يكون الواقع القاسي الموصوف في هذا التقرير واضحاً الآن بما فيه الكفاية بحيث يمكننا أن نبدأ في الحديث عن الحلول.

والمشكلة بسيطة: العالم مكتظ بالبشر والموارد غير كافية.

لقد حددنا موعداً لاجتماعنا المقبل لأسبوع من الغد. وأتوقع من جميع الأعضاء أن يأتوا مستعدين لتقديم حل، مهما بدا غير عادي. قد تكونون على دراية بمقولة قديمة: «فكر خارج الصندوق». وأعتقد أنه قد حان الوقت للقيام بذلك.

أطلع لسماع أفكاركم.

إلى: جون مايكل
من: كاتي ماكفوي
الموضوع: احتمالات

جون...

بحثت في المسألة التي ناقشناها على العشاء الليلة الماضية. لقد نجا أميريد⁽¹⁾ بالكاد من التوهج، لكنهم واثقون من أن نظام الاحتواء السري لأخطر الفيروسات والبكتريا والأسلحة البيولوجية لم يفشل.

لقد تطلب الأمر بعض المشاحنات، لكنني حصلت على المعلومات التي نحتاج إليها. قد بحثت فيها وتوصلت إلى توصية. إن كل الحلول المقترحة لا يمكن التنبؤ بها إلى الحد الذي يجعل استخدامها غير ممكن. ما عدا واحدًا.

إنه فيروس. يهاجم الدماغ ويقضي عليه، دون ألم. وهو يعمل بسرعة وحسم. وقد صُمم الفيروس بحيث يضعف ببطء معدل الإصابة بينما ينتقل من مضيف إلى آخر. وسيكون ذلك مثاليًا لاحتياجاتنا، وخصوصًا بالنظر إلى المدى المحدود جدًّا للسفر. يمكن أن يكون هذا هو الحل يا جون. ويقدر ما يبدو سيئًا، أعتقد أنه يمكن أن يعمل بكفاءة.

سأرسل التفاصيل.

أفدني برأيك...

كاتي.

(1) المركز الطبي العسكري لأبحاث الأمراض المعدية.

إلى: كاتي ماكشوي

من: جون مايكل

رد: احتمالات

كاتي...

أحتاج إلى مساعدتك في إعداد عرض محكم لكيفية إطلاق الفيروس. نحن بحاجة إلى التركيز على كيف أن القتل الموجّه هو السبيل الوحيد لإنقاذ الأرواح. وعلى الرغم من أن ذلك لن يجعل البقاء ممكناً إلا لجزء محدد من سكاننا، ما لم نتخذ إجراءات قصوى، فسوف نواجه انقراض الجنس البشري في نهاية المطاف.

كلانا يعرف كم هو افتراضي هذا الحل، ولكننا قمنا بتشغيل المحاكاة ألف مرة ولا أستطيع رؤية أي بديل. إذا لم نفعل ذلك، فستنفد موارد العالم. وأعتقد بشكل راسخ أنه القرار الأكثر أخلاقية، إن خطر انقراض الجنس يبرر التخلص من القليل. أنا مقتنع. الأمر يتعلق الآن بإقناع الآخرين في المجلس.

لنلتق في غرفتي، 1700. فكل شيء يجب أن يكون مصوغاً بجرفية، لذلك أعدّي نفسك لليلة طويلة.

حتى ذلك الحين...

جون.

مُذَكَّرَة - ائتلاف ما بعد الوهَج.

التاريخ: 219.2.12

الوقت: 19:32

إلى: أعضاء المجلس كافة

من: المستشار جون مايكل

الموضوع: مسوُدة ...

يرجى إبداء الرأي حول المسودة التالية. سيصدر الأمر النهائي غداً.

الأمر التنفيذي رقم 13 الصادر عن ائتلاف ما بعد الوهَج، الذي سيعتبر، بتوصية من لجنة تنظيم السكان، في غاية السرية، وألوية قصوى، بشأن عقوبة الإعدام.

يمنح الائتلاف لجنة تنظيم السكان الإذن الصريح بالتنفيذ الكامل لمبادرتها رقم 1 على النحو الوارد بالكامل والمرفق أدناه. ونحن الائتلاف نتحمل المسؤولية الكاملة عن هذا العمل، وسنرصد التطورات ونقدم المساعدة بمواردنا كافة. سيُطلَق الفيروس في المواقع التي أوصت بها لجنة تنظيم السكان ووافق عليها الائتلاف. وستتمركز القوات المسلحة لضمان سير العملية على النحو المنظم قدر الإمكان.

يُصدَّق بموجب هذا على الأمر التنفيذي رقم 13، PCI #1. ساري التنفيذ على الفور.

اضطر مارك إلى إغلاق الجهاز لدقيقة. كانت الأصوات تعلو في أذنيه ووجهه يغلي بالحرارة، ورأسه ينبض.

كل ما شهده مارك في الأسبوع الماضي كان قد تمت الموافقة عليه من قبل الحكومة بالوكالة في العالم المنهار. لم يكن هناك إرهابيون أو عمل مجانيين. وتمت الموافقة عليه ونُفذ بهدف تنظيم السكان. القضاء على مناطق بأكملها، وترك المزيد من الموارد لأولئك الذين عاشوا.

ارتجف جسم مارك بأكمله غضبًا، اشتد غضبه بسبب الجنون الذي ينمو بداخله. كان يجلس في ظلام دامس محددًا إلى فراغ أسود، لكن البقع تتراقص أمام عينيه. البقع التي تتكون في أشكال. خطوط من النار جعلته يفكر في الوهج الشمسي، ووجوه الناس الذين يصرخون طلبًا للمساعدة، والسهام المحقونة بالفيروس التي تطير عبر الهواء وتثب في الأعناق والأذرع والأكتاف. بدأ يشعر بالقلق إزاء الأشياء التي رآها ترقص أمامه، وتساءل عما إذا كان هذا الكشف هو الدفعة الأخيرة التي أرسلته إلى هاوية الجنون.

ارتجف واكتسى جلده بالعرق، وبدأ يبكي، ثم صرخ بأعلى صوته. اجتاحه سيل من الغضب لم يعرفه من قبل. سمع صوت صدعٍ عاليًا. لقد أتى من حجرة.

نظر إلى الأسفل لكنه لم يرَ شيئًا. تبين أن محاولته لتشغيل الجهاز اللوحي كانت عديمة القيمة. تحسس المكان حتى وجد المصباح ثم أشعله. دُمّرت شاشة الجهاز اللوحي، انثنى كامل اللوحة المسطحة للجهاز بزاوية غريبة. في غضبه، كسر الشيء الغبي. لم يكن ليتصور أبدًا أن لديه تلك القوة.

بطريقة ما، كوّن أفكارًا متماسكة وسط الجنون الذي ضرب جمجمته. كان يعرف ما يتوجب عليهم فعله، وأنها كانت فرصتهم الأخيرة والوحيدة. إذا كان الناس في الملجأ ذاهبين إلى أشقّل لمواجهة من أعطاهم أوامرهم، فعلى مارك وأصدقائه أن يذهبوا أيضًا. الدخول إلى المدينة المسورة كان السبيل الوحيد الذي يمكن لمارك أن يفكر فيه للعثور على الأشخاص الذين أصدروا أمر القتل. ولم يستطع إلا أن يأمل أن تكون لديهم طريقة لإيقاف المرض. أراد أن يُشفى.

أشقّل. هذا هو المكان الذي كان عليهم الذهاب إليه. تمامًا مثلما قال ذلك البلطجي بروس في أثناء خطابه في القاعة. إلا أن مارك أراد أن يهزمهم.

وقف وهو يشعر ببعض الشجاعة من الصور التي تدور في مخيلته. واندفع الغضب من خلاله كما لو أنه قد سرى في قلبه وعروقه بدلًا من الدم، ولكنه شعر بنفسه يهدأ في أثناء وقوفه. ألقى بضوء المصباح مرة أخرى على الجهاز اللوحي المهشم، ثم ألقى الجهاز إلى الجانب الآخر من الغرفة، ليقع

بصوت عالٍ. كان يأمل أن تتاح له الفرصة يومًا ما لإبلاغ هذا الائتلاف عن رأيه في قرارهم.

حل الألم في جمجمته، وموجة مفاجئة من الإنهاك غمرت جسمه، سقط على ركبتيه، ثم سقط على جنبه، واستقر رأسه على الأرض الباردة. كان هناك الكثير لفعله، لا وقت للنوم، لكنه كان متعبًا جدًا...
ولمرة واحدة، رأى أحلامًا سارة.

الفصل الثاني والستون

صوت رعد جعل ترينا تقفز بين ذراعي مارك.

إنها تمطر خارج الكهف، شيء لم يروه منذ ثلاثة أشهر على الأقل، منذ أن ضرب الوهج الشمسي. ارتعش مارك، وشعر براحة جراء القشعريرة الباردة التي اجتاحتها، مقارنة بالحرارة الجهنمية التي ملأت حياته. كانوا محظوظين لإيجاد الفراغ العميق على جانب البرج، وأدرك أنه لا يبالي إذا أمضوا بقية حياتهم في ذلك المكان المظلم الرائع. ألك والآخرين على مسافة أبعد في الداخل، نائمين.

يعصر كتفي ترينا، ويميل رأسه على كتفيها. يتنفس رائحتها المالحة الحلوة. إنها المرة الأولى منذ أن غادروا القارب على شواطئ نيو جيرسي التي شعر فيها مارك بهدوء يكاد يصل للاطمئنان.

همست ترينا، كما لو أن التكلم بصوت عالٍ يمكن أن يقطع طبول الأمطار بالخارج:

- أحب صوت المطر، يجعلني أرغب في النوم. دس رأسي تحت إبطيك وسأشخر لثلاثة أيام.

كرر مارك:

- إبطي؟ إنه لأمر طيب أننا استحمنا جميعًا في العاصفة هذا الصباح. رائحتي كالورود. هيا، هيا، هيا.

ثم عدلت من وضعها، ثم استقرت ثانية، وقالت:

- لا أصدق أننا ما زلنا على قيد الحياة يا مارك. لا أستطيع تصديق ذلك. ولكن من يدري؟ ربما سنموت بعد ستة أشهر. أو غدًا.
- كلامك يملؤني بالتفاؤل! لا تتكلمي بهذا الشكل. كيف يمكن أن تصبح الأمور أسوأ مما رأيناها؟ سنبقى هنا لفترة، ثم نذهب للبحث عن المستوطنات في الجبال الجنوبية.

قالت بهدوء:

- شائعات.

- هاه؟

- شائعات المستوطنات.

تنهد مارك.

- ستكون هناك. سترين.

يميل رأسه على الحائط ويفكر فيما قالته. إنهم محظوظون لأنهم أحياء. فالكلمات الأدق لم تُنطق قط.

لقد نجوا من أسابيع الوهج الشمسي بالاختباء داخل مبنى لنكولن. نجوا من الحر الشديد والجفاف. الرحلة عبر أميال لا حصر لها من الأراضي المهجورة والشوارع المليئة بالجريمة. القبول بأن عائلاتهم قد ماتت. كان يسافر ليلاً، يختبئ نهارًا، يجد طعامًا في أي مكان، وأحيانًا يبقى دون طعام لأيام. يعرف أنهم دون مهارات ألك ولانا العسكرية، ما كانوا ليصلوا إلى هذا الحد. أبدًا.

لكنهم فعلوا. ما زالوا أحياء يرزقون. ابتسم، متحديًا أي قوى كونية ألقت مثل هذه العقبات في طريقهم. فكر أنه ربما في غضون بضع سنوات، قد يكون كل شيء على ما يرام مرة أخرى.

وميض البرق في مكان ما عن بعد، ثم صوت الرعد بعد عدة ثوانٍ. يبدو أعلى، وأقرب من السابق، ثم ارتفع منسوب المطر، يضرب الأرض خارج مدخل الكهف. للمرة المليون يعتقد كم هم محظوظون لأنهم عثروا على هذا الملاذ الخفي.

أمعنت ترينا النظر إليه، ثم قالت:

- قال ألك إنه حالما تبدأ العواصف، قد تصير سيئة حقًا. إن الطقس في العالم سوف يكون متقلبًا إلى حد كبير.
- نعم. لا بأس. سأقبل المطر والرياح والبرق في أي يوم مقارنة بما سبق. سنبقى في هذا الكهف. أين المشكلة؟
- لا يمكننا البقاء هنا إلى الأبد.
- حسنًا إذا. أسبوع. شهر. توقفي عن التفكير.
- أملت وجهها وقبلته على خده، ثم قالت:
- ماذا كنت لأفعل دونك؟ سأموت من الضغط والاكنتاب قبل أن تقتلني الطبيعة.
- هذا صحيح على الأرجح.
- ثم ابتسم وأمل في أن تتمتع بالسلام لفترة من الوقت. عانقته قليلاً بعد أن انقلبت إلى وضع مريح، وأردفت:
- ولكن على نحو جدي، أنا سعيدة حقًا أنك معي. أنت تعني لي كل شيء.
- أجاب:
- نفس الأمر بالنسبة إلي.
- ثم صمت، محاولاً ألا يتعثر لسانه، حتى لا يقول شيئاً مبتذلاً يفسد به اللحظة. ثم أغمض عينيه.
- وميض يتبعه بسرعة هزيم الرعد. لا شك أن العاصفة تقترب أكثر.
- استيقظ مارك، ولثوانٍ قليلة تذكر شعور التحديق إلى ترينا عندما بدأت الأمور تتحسن وبدا أثر للأمل في عينيها، سواء اعترفت بذلك أم لا في ذلك اليوم. ولأول مرة منذ أشهر تمنى لو عاد إلى أحلامه. كان الشوق في قلبه يكاد يكون مؤلماً، ولكن بعد ذلك تدفقت الحقيقة مع ظلمة غرفة الشحن. اعتقد أن العواصف كانت سيئة، حسنًا، سيئة جدًّا، لكنهم نجوا من ذلك أيضًا، في نهاية المطاف وجدوا طريقهم إلى المستوطنات.
- حيث كانوا يعيشون في سلام لولا لجنة تسمى لجنة التنسيق.

كان يئن ويفرك عينيه، وتذكر القرارات التي اتخذها قبل أن يستسلم للنوم.
أشقل.

انحنى، التقط المصباح وأشعله، ثم استدار ليتجه نحو الباب وأدهشه أن يرى ألك واقفاً هناك، يملأ الإطار كما لو أن طوله قد زاد بضع بوصات. كان وجهه مخفياً في الظل لأن ضوء السفينة الخافت جاء من خلفه، ولكن ثمة شيئاً غير مريح به، شيء مقلق حول كيفية وجوده هناك لفترة لا يعلمها أحد دون أن يعلن عن وجوده. لا يزال صامتاً.

سأل مارك:

- ألك؟ هل أنت بخير أيها العجوز؟

تعثر الرجل، وكاد أن يسقط، لكنه صحح وضعه ووقف مستقيماً من جديد. لم يرد مارك أن يضيء النور في وجه صديقه، لكنه شعر أنه ليس لديه خيار. رفع المصباح ووجهه مباشرة إلى ألك. كان وجهه محتقناً مغطى بالعرق، وعيناه متسعتان، يتحدران جيئةً وذهاباً كما لو كان يتوقع الوحش ليقفز من الظلال في أي لحظة.

سأله مارك:

- ما الخطب؟

خطأ ألك خطوة أخرى إلى الأمام، وقال:

- أنا مريض يا مارك. أنا مريض حقاً. عليّ أن أموت. أريد أن أموت ولا أريد أن أموت بلا جدوى.

الفصل الثالث والستون

لم يتذكر مارك قط أنه كان عاجزًا عن الكلام مثل هذا الوقت.

اندفع ألك إلى الأرض، وسقط على ركبة واحدة.

- أنا جاد يا فتى. كنت أشعر بالغرابة، وأن عقلي يعبث بي. رؤية الأشياء، والشعور بها. أشعر بتحسن قليل الآن، لكنني لا أريد أن أكون مثل هؤلاء الناس، أريد أن أموت، ولا أريد الانتظار حتى الصباح.

- ماذا... لماذا...

بحث مارك عما يقوله. كان ذلك ليحدث عاجلاً أو آجلاً، لكنه قد هزّه حتى

الصميم على الرغم من ذلك.

- ماذا تريدني أن أفعل؟

نظر إليه وقال:

- لقد فكرت في ذلك.

ثم تشنج فجأة وتلوى في وضع غير طبيعي، وعاد رأسه إلى الخلف، ووجهه ملتوٍ من الألم. نجت من حنجرته صرخة خانقة مختنقة.

صرخ مارك وهو يركض نحوه:

- ألك!

ثم اضطر إلى تفادي قبضته التي كان يلوح بها، ثم سقط ألك على الأرض.

- ما الخطب؟

استرخى جسد الرجل العجوز وقام على يديه وركبتيه، وجاهد ليتنفس:

- أنا... أنا فقط... لا أعرف، فالأشياء الغريبة تطاردني.

مرر مارك يديه في شعره، ناظرًا في كل مكان بعذاب، وكأنه قد تظهر
إجابة سحرية لكل مشكلاتهم في زاوية مظلمة من غرفة الشحن. وعندما عاد
إلى ألك، وقف الرجل، ممسكًا بيديه كأنه يستسلم.

قال ألك:

- استمع لي. لدي فكرة. لا شك أن الأوضاع سيئة.

ثم أشار في اتجاه الثكنة التي تنام فيها ترينا وديدي وأكمل:

- لدينا فتاة صغيرة غالية هناك يمكن إنقاذها. إن لم يكن هناك شيء
آخر. علينا أن ننقلها إلى أشقّل، ونتركها، ثم...

هز رأسه بلفتة مثيرة للشفقة قالت الكثير. لقد انتهى الأمر بالنسبة إلى
بقيتهم.

قال مارك مدرّجًا لنبرة التحدي في صوته:

- علاج... علاج. ظن ذلك الرجل بروس أن هناك شخصًا آخر، ونحن
بحاجة إلى الذهاب إلى هناك من أجل ذلك أيضًا، و...

صاح ألك ساخرًا، مقاطعًا إياه:

- أوه، كلام فارغ. فقط أصغ إليّ قبل أن أفقد القدرة على الكلام. أنا
الوحيد الذي يمكنه الطيران بهذا الشيء. أريدك أن تأتي إلى قمرة
القيادة وتراقبني، وأن تتعلم ما يستطيع رأسك التعامل معه، على سبيل
الاحتياط. أنت محق، سنأخذ تلك الفتاة إلى أشقّل ولو كان هذا آخر
شيء أفعله.

غمر مارك شعور خانق قاتم. سيصبح مجنونًا أو ميتًا قريبًا، لكن فكرة
ألك كانت مشابهة كثيرًا لفكرته، والشيء الوحيد الذي فكر في فعله هو اتخاذ
إجراء.

قال مقاومًا الدموع المفاجئة:

- إذا دعنا نذهب، دعنا لا نهدر ثانية واحدة.

ارتجف ألك وترنحت ذراعاه للخارج، لكنه كور قبضتيه بعد ذلك وأعادهما إلى الأسفل، وتوتر وجهه كما لو أنه قاوم هجومًا آخر بقوة إرادته فقط لا غير. عاد الوضوح لعينيه ونظر إلى مارك للحظة طويلة، وكان الأمر كما لو أن كل السنة الماضية -الذكريات، الأهوال، وحتى الضحكات- مرت بسرعة بينهما، وتساءل مارك عما إذا كان أي منهما سيعاقب مرة أخرى. كان الجنون ينتظر، فلمح الجندي سريعًا، فتوجه الاثنان إلى الباب.

وصلا إلى قمرة القيادة دون أن يريا أي أثر لترينا أو ديدي. كان مارك يأمل أن تكونا مستيقظتين، ربما بمعجزة ما ستصبح ترينا أفضل حالًا، تضحك وتتذكر. كانت فكرة حمقاء.

بينما كان ألك يعمل على لوحة التحكم، كان مارك ينظر إلى الخارج. وقد أضاء الفجر السماء الشرقية، فتلاشى الظلام واكتست البيوت والأشجار بلون أرجواني خفيف. غابت أغلب النجوم، والشمس على وشك السطوع. كان لديه شعور ثقيل بأن كل شيء سيتغير إلى الأبد مع نهاية اليوم.

قال ألك وهو يخطو للخلف لمسح معدات وشاشات لوحة التحكم:

- أنا أفضل قليلًا. لماذا لا تذهب للاطمئنان على الفتيات؟ سنكون بعيدين عن الأرض بعد قليل. سنحلّق لنرى ما سنفعله.

أوماً مارك برأسه وربت على ظهره، لفتة سخيفة لكنه لم يستطع التفكير فيما هو أفضل منها. كان قلقًا بشأن صديقه. أدار مصباحه وغادر قمرة القيادة، ودخل الممر القصير الذي أدى إلى غرفة الثكنات حيث ترك ترينا، مستلقية بسلام على سرير مع ديدي.

كان مارك على وشك الوصول إلى باب الثكنة عندما سمع صوت خدش غريب فوقه، مثل الجرذان التي تنساب عبر ألواح السقف. ثم كان هناك صوت مميز لرجل يضحك، فقط على بعد قدمين فوق رأسه. واجتاحه الرعب. ركض بضع درجات أسفل القاعة ونظر حوله، ضاغطًا ظهره على الحائط. نظر إلى الأعلى إلى السقف، ولمع ضوء المصباح فوق الألواح، لكنه لم ير شيئًا خارج المألوف.

حبس أنفاسه واستمع.

شيء ما كان هناك، يتحرك ذهابًا وإيابًا، بشكل شبه إيقاعي.

صاح مارك:

- يا ... ! من ...

مات سؤاله عندما أدرك أنه لم يطمئن على ترينا بعد. إذا كان هناك شخص ما، أو شيء ما، قد تسلل إلى البرج...

ركض إلى باب الثكنة وفتحه بعنف، مسلطًا الضوء على المكان الذي رأى فيه ترينا نائمة آخر مرة. وتوقف قلبه لثانية، كان السرير فارغًا. فقط ملاءات مجعدة وبطانية. ثم، بزاوية عينه، لمح ترينا على الأرض، وديدي جالسة بجانبها. كانا يمسكان بيد بعضهما بعضًا، وكان على وجهيهما الرعب الشديد.

سأل مارك:

- ماذا؟ ماذا حدث؟

أشارت ديدي بإصبعها نحو السقف.

- الوحش في الأعلى هناك.

توقفت عن الحركة، وارتجفت بشكل واضح، مما مزق قلب مارك.

- وأحضر أصدقاءه.

الفصل الرابع والستون

بالكاد قالت الكلمة الأخيرة عندما هبَّت الحياة في البرج وانطلقت مرتفعة عن الأرض. ترنحت الأرض وتعثرت مارك وسقط على الأرض، ثم دفع نفسه للوقوف.

قال:

- ابقوا هنا. سأعود حالاً.

لم يكن ليتردد هذه المرة.

ركض من الثكنات إلى الردهة، مخترقاً الظلام بمصباحه اليدوي وهو يتجه مباشرة إلى مقصورة القيادة. اعتقد أنه سمع مهمة أخرى قادمة من السقف في نفس المكان كما حدث من قبل، وبرزت أفكار بشعة في عقله: رجال ونساء متعطشون للدماء، مصابون ومجانين، يقفزون على ألواح السقف عندما يختفي، يهاجمون الفتيات اللواتي تركهن خلفه. لكنه لم يكن لديه خيار، وسيسرع حركته. بالإضافة إلى ذلك، إذا كان هناك أشخاص في الأعلى، فقد انتظروا كل هذا الوقت الطويل دون القيام بأي شيء. كان لديه بعض الوقت.

ثم اندفع إلى مقصورة القيادة حيث كان ألك يتحكم بالجهاز. كان متعرقاً ومرهقاً، مركزاً بشدة على ما كان يفعله.

صاح مارك:

- أين الترانسفييس؟

يتحرك ألك في الجوار، والخوف يعبر على وجهه. لكن مارك لم يضع الوقت في التفسيرات، كان سلاح الرجل معلقاً على حائط بجانبه. ركض مارك نحوه، أمسك به ورمى الشريط حول كتفه، ثم تأكد من أنه قد شُغل وبدأ في العودة إلى الثكنة، نحو ترينا وديدي.

صرخ عائدًا إلى ألك وهو يخرج من مقصورة القيادة:

- افتح الأنوار!

لقد أسقط المصباح في مرحلة ما، وكان المكان مظلمًا للغاية. لم يعد الحفاظ على الطاقة والوقود يعني شيئًا. لقد وصل بضعة أقدام فقط إلى الممر قبل أن تلمع الأضواء الخافتة وتنبير مساره، على الرغم من أن الظلال ما زالت تتشبث بالجدران.

انزلق العرق فوق عينيه وهو يعبر الممر. شعر وكأن الحرارة داخل البرج قد ارتفعت إلى ألف درجة. الهواء الملتهب مع أعصابه التالفة يضعه على حافة خسارة كل شيء. كان عليه فقط أن يتماسك لفترة أطول. ركز فقط على الثواني التالية من حياته بكل طاقة أمكنه حشدها.

عبر تحت المكان الذي سمع فيه الضحكة، وعندما فعل ذلك، اندلعت قهقهة من الأعلى، بصوت خفيض مختنق، مما يندر بكل سوء يمكنه تخيله. ولكن الألواح ظلت سليمة. فتح باب الثكنة ورأى بارتياح أن ترينا وديدي لا تزالان مجتمعتين على الأرض.

وكان يتحرك نحوهما عندما انهارت فجأة ثلاثة أقسام من السقف، ساقطة في كتلة من الجص والمعدن، وسقطت عدة أجساد مرتطمة بالفتاتين. وصرخت ديدي.

رفع مارك سلاحه واندفع إلى الأمام، ولم يتجرأ على إطلاق النار، لكنه كان مستعدًا للقتال.

كان ثلاثة أشخاص يمشون على أقدامهم، يزيحون ديدي وترينا كما لو كانوا مجرد أشياء في طريقهم. رجل وامرأتان. كانوا يضحكون بشكل هستيري، يقفزون من قدم لأخرى ويلقون بأذرعهم كالقردة البرية. وصل مارك إلى الرجل ودفع بمؤخرة الترانسفييس إلى جانب رأسه. صرخ الرجل

وانهار على الأرض. استغل مارك انطلاقته لتحويل جسده ودفع إحدى النساء بعيدًا عن صديقيته. صرخت واندفعت ناحية أقرب سرير، صوب الترانسفيس إليها وضغط الزناد. فاصطدمت بها غيمة من الحرارة البيضاء، ثم تبددت في الهواء.

صدمته المرأة الأخرى من جانبه، فوق كلاهما على الأرض، فرغت رثاء من الهواء، ثم انحنى ليلقيها من فوق رأسه فيما كانت تصارع من أجل انتزاع السلاح من يديه.

رأى ترينا وديدي واقفتين أمام الجدار، تشاهدان بلا حول ولا قوة. علم مارك أن ترينا القديمة كانت لتنضم إليه لتساعده بطريقة ما. كانت ستهاجم المرأة وربما تضربها بضراوة، ولكن ترينا الجديدة، ترينا المريضة، وقفت هناك كفتاة صغيرة خائفة، محتضنة ديدي بين ذراعيها.

شعر مارك بالأسى واستمر يحارب المرأة. سمع الرجل، ونظر من حوله ليرى الرجل الذي أسقطه يزحف على يديه وركبتيه. كانت عينا الشاب ملتصقتين بمارك، مليئتين بالحقد والجنون. أبرز أسنانه وزأر.

جاء الرجل إليه على أربع، كما لو أنه تحول إلى حيوان مسعور، فانطلق عن الأرض وقفز إلى خضم الصراع بين مارك والمرأة كأسد يهاجم فريسته. اصطدم بالسيدة، وفجأة اشتبكا معًا. سقطا من فوق مارك، يزحفان على الأرض وكأنهما يلعبان لعبة ما. كان مارك لا يزال يبحث عن أنفاسه، لكنه التفت إلى جانبه، ثم إلى معدته. ركبتاه تحته. مرفقه. دفع لأعلى. استند على سرير وتمكن أخيرًا من الوقوف.

فوجه السلاح إلى الرجل، ثم المرأة بهدوء، أطلق طلقتين أصابتا أهدافهما. اهتزت الغرفة بضجيج كالرعد ولم يعودا هناك.

سمع مارك صوت تنفسه، كان ثقيلًا ومجهدًا. نظر إلى ترينا وديدي وهو لا يزال مستندًا على الحائط. لم يعرف أيًا منهما خائفة أكثر.

قال مارك وهو غير قادر على إيجاد أي كلام:

- آسف أنكما اضطررتما إلى رؤية ذلك. هيا. دعانا نذهب إلى غرفة القيادة. سنأخذ...

كاد يقول إنه سيأخذ ديدي، لكنه أمسك لسانه. لم يكن يعلم كيف ستستجيب ترينا، ثم أكمل:

- نحن ذاهبون إلى مكان آمن.

بدا أن هديرًا من الضحك العميق يأتي من كل مكان في وقت واحد، نفس الصوت المروع، ثم تبعته نوبة من السعال التي تحولت إلى قهقهة. لم يتضح أي شيء لنظر مارك، وكأنه ينتمي إلى مستشفى للأمراض العقلية، واقشعر جلدُه ليصبح كجلد الإوز على الرغم من الحرارة. كانت ترينا تحديقًا إلى الأرض، ونظرتها فارغة تمامًا، حتى إن مارك أحس بلوعة الخسارة. اقترب أكثر من الفتاتين ومد يده. واستمر الرجل المختبئ في العوارض في الضحك.

قال:

- يمكننا أن نفعل ذلك. كل ما عليكما فعله أن تأخذا بيدي وتمشيا معي، وأنا على ثقة مما أفعله. لن يمر وقت طويل قبل أن نكون جميعًا آمنين. لم يقصد أن يتلعثم في الكلمة الأخيرة.

رفعت ديدي ذراعها المشوهة وأمسكت على إصبعه الوسطى، تمسكت به، وبدا أن ذلك يثير غضب ترينا، فانتقلت بعيدًا عن الحائط ووقفت على قدميها. لم تتحرك عيناها من تلك البقعة على الأرض، وكانت لا تزال تمسك كتفي ديدي بكلتا اليدين، لكن بدا أنها ستتبعها.

همس مارك:

- جيد. سنتجاهل ذلك الرجل المسكين في الأعلى ونسير بلطف وهدوء إلى مقصورة القيادة. لنذهب.

استدار وبدأ يتحرك قبل أن يتغير أي شيء في وجه ترينا. كان يمسك بيد ديدي، ومشى بسرعة نحو باب الثكنة. أظهرت نظرة خلفه أن ترينا ما زالت متمسكة بالفتاة كما لو كانتا ملتصقتين معًا. دوت الخطوات فوقهم، وكادت أن تجعله يتوقف، لكنه تمالك أعصابه وواصل السير.

مروا عبر الباب ودخلوا إلى الرواق، لم يكن لديهم مكان آخر ليذهبوا إليه. كانت الظلمة أحلك هناك، حيث أضواء الطوارئ مجرد خط شاحب متوهج يجري على طول الحواف العليا للجدران. بعد أن نظر بسرعة يمينًا ويسارًا،

توجه مارك بعيدًا في اتجاه قمرة القيادة. لقد كان بالكاد يخطو خطوة في الوقت الذي كان فيه انفجار من الأصوات والحركات.

دوى صوت فوقه مباشرة. نوبة من الضحك. وظهور مفاجئ لوجه رجل وذراعيه، معلقين رأسًا على عقب أمامه. أفلتت صرخة من مارك دون أن ينتبه، وجمدته الصدمة.

لم يكن قادرًا على الاستجابة في الوقت المناسب. مد الرجل يده واختطف السلاح من يديه، ممزقًا الشريط على كتفيه. حاول مارك الإمساك به، لكن الغريب كان سريعًا كالأفعى.

ثم اختفى عائدًا إلى العوارض بالأعلى، ضاحكًا طوال الوقت. ثم تلاشت خطواته وقهقهته وهو ينتقل إلى جزء آخر من السفينة.

الفصل الخامس والستون

لم يعتقد مارك أنه يستطيع أن يصعد إلى السقف ليلحق الرجل، قد يكون مختبئاً في أي مكان، مع إشارة الموت الفوري المؤكد لكل من يعترض طريقه.

همس قائلاً:

- لا أصدق ذلك.

كيف سمح له بأن يختطفه من يديه هكذا؟ حدث ذلك مرتين في أقل من يوم. والآن هناك شخص مجنون في السفينة في مكان ما مع أخطر سلاح محمول اخترع على الإطلاق.

قال بصرامة:

- هيا بنا.

ثم جذب ديدي وترينا خلفه بينما كان يجري في القاعة. نظر إلى الأعلى كل بضع ثوانٍ، متسائلاً عما إذا كان الرجل سيظهر فجأة، معلقاً على السقف، مستعداً لإطلاق النار. وتوتر مارك أيضاً من سماع أي صوت آخر غير قرع خطاهم.

عندما وصلوا إلى قمرة القيادة أول ما لاحظته مارك كان ألك وقد انحنى فوق أجهزة التحكم، رأسه مدفون بين ذراعيه.

- ألك!

ترك مارك يد ديدي واندفع نحو الرجل.

- آه. هل أنت بخير؟

لم ينظر إليه. كانت عيناه ملطختين بالدماء، جلده شاحب متعرق.

- أنا... أنا... معلق... هناك.

- أنت الوحيد الذي يعرف كيف يخلق بهذا الشيء.

شعر مارك بالرعب لقوله ذلك. أناني. لكنه نظر من النوافذ فرأى السفوح فوق أشقْل تتحرك ببطء مارًا تحتها.

- أعني... لا...

- أنقذ نفسك يا فتى. أعرف المخاطر. أحاول أن أجد مقر ائتلاف ما بعد

الوهج في المدينة. لقد احتجت إلى الراحة فحسب.

بلَّغه مارك الأخبار:

- هناك شخص مجنون على متن البرج. لقد سرق الترانسفييس.

لم يقل لك شيئًا. عبس وجهه، الذي صار ملتهبًا على نحو يندر بالخطر. بدا وكأنه قد ينفجر في أي لحظة.

قال مارك ببطء:

- سأعيده. جد المكان فقط.

قال الرجل الأكبر سنًا من بين أسنانه:

- سأفعل ذلك. أحتاج... إلى أن أريك كيف تعمل لوحة التحكم قريبًا.

قالت ديدي وهي تقف هناك ويدها في يد ترينا:

- أنا خائفة.

رأى مارك أن عينيها تركزان على النوافذ، فالمسكينة غالبًا لم تتركب برج من قبل. توقع من ترينا أن تواسي الفتاة، لكنها لم تفعل شيئًا، فقط وقفت تحديق ببطء إلى الأرض مرة أخرى.

قال مارك وهو يجلس على ارتفاع ديدي:

- انظري، سيكون الأمر على ما يرام.

بالكاد قالها عندما ارتطمت السفينة بجيب هوائي. صرخت ديدي من جديد، وهذه المرة أفلتت يدها من ترينا وركضت قبل أن يمسكها أحد.

صرخ مارك وهو يتحرك:

- يا...!

وكاد أن يتوقف قلبه وهو يتخيل احتمالية تبخرها. ركض وراء الفتاة، ليراها وهي تنعطف في الرواق خارج مقصورة القيادة، باتجاه غرفة الشحن.

- عودي!

لكنها رحلت. أسرع مارك خلفها، لكنه لم يتخذ سوى خطوات محمومة قليلة عندما رآها مجددًا، ساكنة تمامًا، تحديق إلى شيء أمامها. لم يتوقف مارك حتى وصل إلى جانب ديدي ورأى ما لفت انتباهها.

كان الرجل المصاب الذي سرق الترانسفييس خارج باب غرفة الشحن، كان السلاح في يديه، موجهاً إياه إلى ديدي.

همس مارك:

- أرجوك... أرجوك لا تفعل ذلك.

مد يده نحو الرجل ووضع الأخرى على كتف ديدي.

- أتوسل إليك. إنها مجرد...

صرخ الرجل الغريب، واللعباب يغطي ذقنه:

- أعرف مَنْ هي!

ارتعدت ذراعاها وارتجفت ركبته. شعره الغامق يتدلى من رأسه القذر ووجهه الشاحب المشوش مغطى بالعرق. اتكأ على إطار الباب كما لو أنه يحتاج إلى الوقوف.

- فتاة صغيرة جميلة؟ ربما هذا ما تعتقده؟

- عما تتحدث؟

تساءل مارك كيف يُفترض أن يتحدث إلى شخص فقد عقله كهذا.

من الواضح أن الرجل لا أمل فيه. عيناه قالتا كل شيء.

- لقد جلبت الشياطين.

وضرب الترانسفييس في الهواء ليؤكد على وجهة نظره:

- كنت معها في القرية. نزلوا علينا كالوهج الشمسي ذاته، برق ومطر وُسْم. تركونا للموت أو لما هو أسوأ، وانظر إليها الآن! على الرغم من أنها قد أصيبت، كل شيء رائع ولطيف! تضحك علينا جميعًا لما فعلته.

قال مارك وهو يشعر بديدي تسترخي تحت يده:

- لم تكن لها علاقة بذلك. كيف يمكنها ذلك؟ عمرها خمس سنوات على الأكثر!

انبعث الغضب في داخله، غضب لم يستطع إخفائه.

- لا علاقة لها بذلك؟ لهذا ضُربَت بالسهام ولم تظهر أي علامة على ذلك؟ إنها مُخلصة لهؤلاء الشياطين، وأود أن أعيدها إليهم!

اتكأ الرجل إلى الأمام. خطأ خطوتين طويلتين، كاد يفقد توازنه، لكنه بقي على قدميه بطريقة ما. كان الترانسفييس يهتز بين يديه لكنه كان مصوبًا ناحية ديدي.

انحل غضب مارك واستبدلت به كتلة ضخمة من الخوف استقرت في حنجرته. ذرفت عيناه الدموع، وشعر بالعجز الشديد.

- أرجوك ... لا أعرف ماذا أقول لك، لكن أقسم إنها بريئة. لقد ذهبنا إلى المخبأ الذي جاءت منه مركبات البرج، واكتشفنا مَنْ اخترع هذا المرض، ليسوا شياطين، مجرد أشخاص. نحن نعتقد أنها منيعة، هذا سبب عدم مرضها.

أجاب الرجل:

- اصمت.

متقدمًا خطوتين أخريين. رفع الترانسفييس ووجَّهه إلى وجه مارك.

- تبدو... مثيرًا للشفقة. غبي. ضعيف. حتى الشياطين لن تزعج شخصًا مثلك.

ابتسم، واتسعت شفتاه أكثر مما بدا ممكنًا. نصف أسنانه كانت مفقودة.

شيء ما تغير بعمق داخل مارك. كان يعرف ما هو، حتى لو لم يجرؤ على الاعتراف به: تلك الفقاعة من الجنون والتي كانت جاهزة للانفجار. غمرته حمى الغضب والأدرينالين.

يتشكل الغضب في صدره ويمزق حلقه، ويطلق صرخة عالية جدًا لم يكن يعلم أن لديه القوة على إطلاقها. فأسرع إلى الأمام، وتحرك قبل أن يتمكن الرجل من البدء بمعالجة ما حدث. رأى مارك تحرك إصبع الرجل، قريبًا من الزناد، لكن بطريقة ما، كما لو كان جنونه المتصاعد قد زاد من حواسه للحظة واحدة في المرة الأخيرة، سبقه مارك بطريقة ما. انقض ملوًا بيده لأعلى، منتزعًا السلاح بينما كان يضرب غيمة من الحرارة البيضاء. سمع صوت خبط الشعاع على الحائط خلفهما.

اصطدمت كتفه بالرجل، وألقى به على الأرض. سقط مارك فوقه، لكنه كان يصيح من وضعه، واضعًا قدميه تحته. أمسك بقميص الرجل وجره إلى الأعلى، أمسك به ورماه على الأرض. كانت تلك مية أسهل من اللازم لمختل كهذا.

بدأ مارك بجره إلى أسفل الرواق، مدرّكًا أنه قد عبر إلى منطقة لم يكن متأكدًا من أنه سيعود منها.

الفصل السادس والستون

صرخ الرجل وخمش وجه مارك وركل بشكل أعمى وحاول الوقوف والركض، لكن مارك لم يسمح لأي من ذلك بالتأثير عليه. بدا أن كوناً من الغضب يدور داخل مارك، شعور علم أنه لن يدوم، ولا يمكن احتواؤه. سلامة عقله معلقة بخيط رفيع.

سحب الرجل على طول منحني الممر، عبر باب غرفة القيادة، نحو النافذة المكسورة. لم يلاحظ ألك حتى إنه كان يجلس هناك ويدها ملتصقتان في حضنه، يحدق بحدة إلى لوحة التحكم.

لم يقل مارك شيئاً، اعتقد أن شيئاً ما قد ينفجر منه إذا تجرأ على فتح فمه. وتوقف بالقرب من النافذة وانحنى وأمسك بالرجل من جذعه، ثم رفعه، ممسكاً به من الجانب، ثم انحنى ليسحب الرجل إلى الخلف، ثم رماه نحو النافذة. ارتطم رأسه بالحائط وسقط الرجل على الأرض. أخذه مارك، تراجع وحاول مرة أخرى. النتيجة نفسها، رأس الرجل يخبط بصوت عالٍ.

أخذ مارك الرجل مرة أخرى ورماه مرة أخرى نحو النافذة المكسورة. عبر جسد الرجل النافذة هذه المرة - الرأس، الكتفان، ثم الخصر - قبل أن ينحشر. لم يترك مارك الأمر، استمر في الدفع، استجمع كل قوته لإنهاء حياة هذا الرجل.

ترنحت السفينة بينما كان مارك يحشر أوراك الرجل في فتحة النافذة، كانت عضلاته تنبض بالألم عندما يدفعه. العالم كله مائل، رأسه يدور مع

سريان الدم في عروقه. وبدا أن الجاذبية تختفي أيضًا، وكان يسقط عبر النافذة مع الغريب. كان على وشك السقوط إلى حتفه.

انتفض مارك ووضع ساقيه على شفة إطار النافذة قبل أن يسقط. بقية جسده معلق من البرج، ولم يتركه الرجل. أمسك بذراع مارك العليا، ممسكًا بقميصه ليمنع نفسه من السقوط على الأرض تحته. حاول مارك أن يبعد الرجل، لكنه كان يائسًا وجامحًا، متسلقًا جسد مارك كحبل، عاليًا بما فيه الكفاية بحيث إن ساقيه ملفوفتان الآن حول رأس مارك. هبت الريح على كليهما.

سأل مارك نفسه: كيف يمكن أن يحدث هذا مرة أخرى؟ أن يسقط من نافذة برج مرتين!

ارتجت السفينة وفجأة عادت للطفو من جديد. تراجع مارك والرجل نحو جسد البرج واصطدما بالجانب، أسفل النافذة المتعلقان منها. صرخت ساقا مارك من ألم دعم شخصين. كان يلوح بذراعيه بشكل محموم، محاولًا العثور على شيء يتمسك به. كان الجزء الخارجي من البرج مليئًا بنتوءات ومقابض متنوعة للصيانة. مد يديه بمحاذاتهم لكنه لم يستطع أن يبقى في مكانه وقتًا كافيًا ليقبض عليه.

وأخيرًا وجدت أصابع مارك قضيبًا طويلًا، فأحكم قبضته عليه في الوقت المناسب، لأن ساقيه لم يبقَ فيهما أي قوة. انزلقت قدماه من النافذة وانقلب الجسدان إلى الجانب واصطدما بالبرج مرة أخرى، وشعر مارك بالارتطام في كل جسده، ولكنه تمسك، مثبتًا ذراعه في الفجوة بين المقبض والسفينة بحيث يتحمل كوعه الوزن. كانت معدته ووجهه مثبتين على معدن البرج الدافئ، وكان الرجل المجنون لا يزال يطالب بمكانة ما على ظهره. كان الرجل يصرخ في أذنيه.

قفز عقل مارك بين الوضوح والغضب الضبابي. ماذا كان لك يفعل؟ ماذا كان يحدث في الداخل؟ فقد أصلحت السفينة مسارها، واستمرت في الطيران إلى الأمام -ولو بسرعة أبطأ- ولم يكن أحد يمد يده من النافذة ليقدم أي مساعدة. نظر مارك إلى الأسفل وندم مباشرة على ذلك، موجة من الرعب اعترته عندما رأى كم كانت الأرض بعيدة عنه.

كان عليه أن يتخلص من هذا الرجل وإلا فلن يتمكن أبدًا من الصعود إلى الداخل.

هز مارك كتفيه، وركل جانب البرج بقدميه، وترك نفسه ليصطدم به مرة أخرى. ومع ذلك، تمسك الرجل. خدش الرجل عنق مارك وذراعيه وخديه، تاركًا آثارًا مؤلمة في كل مكان. تألم كل جزء من جسد مارك. أظهر فحص سريع لجسم البرج عدة أماكن يمكن أن يحشر فيها قدميه. بدأ الصعود مستحيلًا مع الوزن الزائد للرجل المجنون على ظهره. قرر أن ينزل، وتشكلت فكرة مرعبة في رأسه.

وقد انتهت مجموعة الخيارات. كانت قوته على وشك الانهيار.

وصل إلى أسفل، وأمسك بقضيب قصير، ثم ترك جسده يسقط، وزرع قدمه في نتوء رآه. صاح الرجل وكاد أن يترك ذراعي مارك وهو ينزلق حتى أمسكه بقبضته مرة أخرى، وهو يلف ذراعيه حول عنق مارك ويعتصره بما يكفي لجعله يتقيأ.

خنق السعال مارك، فبحث عن المزيد من الأماكن ليده ورجليه، وهبط ثانية لمسافة ياردة أو نحو ذلك، ثم ياردة أخرى. توقف الرجل عن الاهتزاز. لقد أصبح صامتًا. لم يكن مارك يحمل مثل هذه الكراهية لأي شخص، يدرك أن هذا شعور غير منطقي، لكنه كان يكره الرجل، ويريد أن يموت. كان ذلك الهدف الوحيد في ذهنه.

استمر في السقوط، والرياح تعصف محاولة الإطاحة بهما. كانت المحركات الدافعة قريبة جدًا الآن، هديرها هو أعلى صوت سمعه مارك على الإطلاق. ثم تنحى من جديد، وفجأة كانت قدماه تتدليان في الهواء الطلق، ولم يبق مكان لوضعهما فيه. قضيب آخر يمتد على طول الحافة السفلى للبرج، مع مساحة كافية فقط لمارك ليضع ذراعه عبرها.

أدخل مارك ذراعه اليمنى وعرج بكوعه، تاركًا كل رطل من وزنه ووزن الرجل مجتمعين يرتخيان على المفصل مرة أخرى. كان هذا التوتر رهيبًا، إذ بدا وكأن ذراعه ستنمزق في أي ثانية. لكنه لم يحتج سوى لحظات قليلة. القليل فقط.

ثم لف جسده، رافعاً عنقه لينظر إلى الرجل الذي تمسك بظهره، يعانق
مارك بذراع واحدة فوق كتفه، بينما لف الأخرى حول صدره. رفع مارك
يده الحرة، وأسقطها بين جسديهما ليمسك عنق خصمه. قبض على قصبته
الهوائية وبدأ يعتصرها.

بدأ الرجل يختنق، ولسانه الأرجواني اللون المائل إلى الرمادي يبرز بين
شفتيه. شدد أصابعه حول حلق الرجل. سعل الرجل وبصق، عيناه تجحطان،
وبدأت قبضته ترتخي عن مارك، وفور ذلك، تصرف مارك.

بصراخ غاضب، دفع بجسم الرجل إلى الخارج، وفرد ذراعه على استقامتها
ودفعه مباشرة إلى مسار لهيب المحرك الأزرق، يرمق رأس الرجل وكتفيه
تلتهمهم النيران، وتلاشى قبل أن يمكنه الصراخ، وسقط ما تبقى من جسده
باتجاه المدينة في الأسفل، وخرج من نطاق رؤية مارك مع تقدم البرج.

تشنجت عضلات مارك بجنون. كانت الأضواء ترقص أمام عينيه. عصف
الغضب بداخله. كان يعلم أن حياته كانت على وشك الانتهاء، لكن كان هناك
شيء أخير يجب عليه فعله.

ثم بدأ التسلُّق مرة أخرى إلى أعلى الجانب الخارجي للبرج.

الفصل السابع والستون

لم يساعده أحد على الصعود عبر النافذة. كل شبر من جسمه كان مضطرباً وعضلاته كأنها مصنوعة من المطاط، لكنه تمكن بطريقة ما من الحركة، متكوماً على أرضية قمرة القيادة. جلس ألك محققاً إلى أدوات التحكم، ووجهه هادئ وعينه فارغتان. جلست ترينا في الزاوية، واندست ديدي في حضنها، فنظرت ككتاهما إليه، لكن تعابيرهما لم تكن مفهومة.

قال:

- الناقل المسطح.

استمرت شرارات ومصابيح الضوء في عبور مجال رؤيته، وكان بالكاد يستطيع احتواء الانفعالات غير المستقرة التي تتأرجح داخله.

- قال بروس إن ائتلاف ما بعد الوهج كان لديه نظام ناقل مسطح في أشقْل، ويتعين علينا أن نجده.

انقبض رأس ألك وحدق إلى مارك. لكن نظراته سرعان ما لانت، وأكمل:

- أعتقد أنني أعرف أين أجده.

خرجت العبارة من فمه بشكل ألي.

شعر مارك بهبوط البرج. استند برأسه إلى الحائط وأغلق عينيه للحظة لم يُرد فيها شيئاً سوى أن ينام ولا يستيقظ أبداً، أو يفعل العكس فيركع ويخبط برأسه الأرض حتى ينتهي الأمر، ولكن كان لا يزال هناك ذلك الجزء الصغير من الوضوح في ذهنه. تمسك به كرجل يتمسك بجذر على جانب جرف شاهق.

انفتحت عيناه مرة أخرى، وأجبر نفسه على الوقوف على قدميه وهو يئن، متكئاً على النافذة. كانت مدينة أشبُل الصغيرة تمتد أمامهم. شُيدت الجدران من الخشب والخردة المعدنية والسيارات وأي شيء كبير وقوي بما فيه الكفاية لحماية ما بالداخل: مركز حضري محترق أغلبه. رأى جمعاً من الناس عند ثغرة في أحد الجدران، يتسلقون فوقه، يندفعون نحو البلدة.

كان رجل يلوح لهم بعلم أحمر مربوط بعصا، كان ذلك بروس، الرجل الذي ألقى الخطاب في المستودع. لقد أتوا من أجل الناقل المسطح أيضاً، تماماً كما وعد زملاءه في العمل. وكما يبدو، عدد لا يحصى ممن أصيبوا بالعدوى قد انضموا إليه، كان هناك المئات يتدافعون فوق الجدار المحطم.

حلقت البرج فوقهم، فوق شوارع فارغة. ثم كان هناك مبنى صغير ذو أبواب مزدوجة مفتوحة على مصراعيها. وفوق الأبواب لافتة مكتوب عليها بخط اليد: «لموظفي ائتلاف ما بعد الوهَج فقط لا غير». اصطف عدد قليل من الناس للدخول، بدوا هادئين متمالكين أنفسهم، وكرههم مارك لذلك، مرّت عليه لحظة عابرة أراد فيها إيجاد الترانسفيس ليبدأ بإطلاق النار.

تمتم ألك:

- ها هو... ذا.

علم مارك مقصده. إذا كان هناك حقاً جهاز ناقل مسطح، فسيكون هناك. كان على الأشخاص القليلين الذين يدخلون المبنى أن يكونوا آخر العاملين في ائتلاف ما بعد الوهَج، حيث فروا إلى الشرق نهائياً، تاركين الباقين للجنون والموت. نظروا إلى الأعلى إلى البرج وفي أعينهم بعض من الرعب، ثم اختفوا في الداخل بحركة شخص واحد.

عبث مارك في الخزانة إلى أن وجد ورقة مدرسية قديمة وقلَم رصاصٍ مخزنين هناك لحالات فقدان الطاقة. خطَّ الرسالة التي كان يفكر فيها بيد فوضوية، ثم التفت إلى ألك، وتنفس قبل أن يصيح:

- أرض.

كأن رثتيه مليئتان بالنيران بدلاً من الهواء.

- أسرع.

ثم طوى الورقة ووضعها في جيبه الخلفي.

كانت حركات ألك مجهدة، وعضلاته متوترة، عروقه مثل الحبال تحت جلده. كان منهكًا ومتعرقًا، يرتعد، ولكن بعد لحظات قليلة، هبطت البرج بنعومة مدهشة، خارج مدخل مبنى ائتلاف ما بعد الوهج.

- افتح الكوة.

كان مارك يتحرك بالفعل، والعالم ضبابي من حوله. أخرج ديدي من حضن ترينا بخشونة لم يقصدها، متجاهلاً صرخات الفتاة الصغيرة. أمسك بها بين ذراعيه وانتقل نحو المخرج، وكانت ترينا وراءه مباشرة. لم تنطق بكلمة أو ترفع إصبعًا لمنعه.

عند باب غرفة القيادة، توقف مارك وقال لألك، مجاهدًا لإخراج كلماته:
- تعلم... ما ستفعله... عندما أنتهي من ذلك. إذا كان موجودًا أو لا، فأنتم تعرفون ما يجب فعله.

وسار إلى الممر دون انتظار رد.

هدأت ديدي بينما كان متوجهًا إلى غرفة الشحن والمخرج وراءهما. ضاقت ذراعاها حول عنقه ودفنت وجهها في كتفه، كما لو أن الفهم قد أشرق، حتى عليها، أن تلك هي النهاية. تسبح البقع أمام عيني مارك، والأضواء تومض. قلبه لا يتوقف عن النبض السريع، وشعر كما لو أن قلبه يضخ الحمض في عروقه، وواصلت ترينا السير معه صامتة، إلى غرفة الشحن، أسفل سقيفة باب الكوة، إلى ضوء النهار. لم يخرجوا منها إلا بالكاد عندما اخترق الصرير الهواء وبدأت كتلة المعدن في الانغلاق. ارتفع ألك بالبرج عن الأرض، وكانت المحركات الدافعة الزرقاء تزأر. كان مارك بالكاد يتمسك بصوابه، لكنه شعر بحزن مفاجئ لا يطاق. لن يرى الدب القديم مجددًا.

بزغت الشمس في السماء. هناك مزيج متصاعد من أصوات الصراخ والصفير والمسير، ومجموعات المصابين تقترب من كل الاتجاهات. وبعيدًا، من خلال الأضواء التي تومض أمام عينيه، اعتقد مارك أنه يستطيع أن يرى بروس وعلمه الأحمر يقودان حملته. ماذا سيحدث إذا وصل هؤلاء الناس إلى الناقل المسطح قبل أن يقوم أحدهم بإغلاقه أو تدميره؟

غمغم إلى ترينا:

- هيا.

وهبت رياح البرج الصاعدة على رؤوسهم بينما كان يركض نحو مدخل المبنى الذي لا تزال أبوابه مفتوحة. تشبثت يدي به، وكانت ترينا إلى جانبه. دلفوا عبر المدخل إلى غرفة واسعة بلا أثاث، فقط جسم غريب في الوسط... قضيبان معدنيان يقفان شامخين، وجدار متلألئ من الرمادي يمتد بينهما، بدا أنه يتحرك ويتلألأ، لكنه لا يزال هادئاً في نفس الوقت، آذى عيني مارك التحديقُ إليه.

كان هناك رجل وامرأة واقفين إلى جواره، ينظران إلى مارك وأصدقائه والخوف في أعينهما، كانا بالفعل يتحركان نحو الجدار الرمادي.

صرخ مارك:

- انتظرا!

لم يستجيبا، لم يتوقفا. قفز الغريبان إلى الهاوية واختفيا عن الأنظار. وبالغريزة، ركض مارك إلى الجانب الآخر من الجدار الرمادي، ولكن لم يكن هنالك شيء.

ناقل مسطح. لأول مرة في حياته كان قد رأى شخصاً يسافر عبر ناقل مسطح، وبدأ أن ضجيج الجموع المتقاربة في الخارج يعلو قليلاً، فعلم مارك أن الوقت قد نفذ بأكثر من طريقة.

عاد إلى الجانب الصحيح من الناقل المسطح ثم ركع أمامه، واضعاً يدي برفق على قدميها. تطلب الأمر كل ذرة من جهده لكي يظل هادئاً مُنحياً عواطفه المستثارة وغضبه وجنونه جانباً. ركعت ترينا أيضاً، لكنها لم تقل شيئاً.

قال مارك للفتاة:

- اسمعيني.

توقف وأغمض عينيه لثانية، وحارب الظلام الذي حاول التهامه. قال لنفسه: لفترة أطول قليلاً فقط.

- أريدك... أن تكوني شجاعة جدًا من أجلي الآن، حسنًا؟ هناك أشخاص على الجانب الآخر من هذا الجدار السحري سيساعدونك. وأنتِ زاهبة لمساعدتهم. ستساعدينهم على فعل شيء مهم جدًا. لديك... شيء مميز.

لم يكن يعلم ما توقعه. أن تحتجّ يدي، أن تبكي، أن تهرب... ولكنها بدلًا من ذلك نظرت إلى عينيه وأومات برأسها. لم يكن ذهن مارك واضحًا بما فيه الكفاية لفهم كيف يمكنها أن تكون بهذه الشجاعة. لقد كانت مميزة بالفعل. كاد ينسى الملاحظة التي كتبها سابقًا. سحبها من جيبه الخلفي، وقرأها مرة أخرى، وكانت يده ترتجف.

لديها مناعة ضد الوباء...

استغلوها.

افعلوا ذلك قبل أن يجدكم المجانين.

مد يده بلطف ليضع الورقة في راحة يديها. شبكت أصابعها حول أصابعه. ضغط على يدها بكلتا يديه، وازدادت الصيحات والصرخات من الخارج إلى حد كبير. لاحظ مارك بروس يقتحم الباب، ومجموعة من الناس خلفه. جسد مارك بأكمله يجتاحه الحزن. أوما برأسه إلى الناقل المسطح، وأومات يدي برأسها في المقابل.

ثم عانقت ترينا بقوة، وذرفت كلتاها الدموع، ووقف مارك، لقد سمع صوت محركات البرج وهي تعود. لاحظ الريح تعصف في الخارج. لقد حان الوقت.

قال مصارعًا العواطف التي تمزقه:

- اذهبي الآن.

ابتعدت يدي عن ترينا والتفت إلى الجدار الرمادي للناقل المسطح، ليبتلع كل شيء وتختفي. ملأ هدير البرج الهواء. ارتجف المبنى. وصل بروس إلى الباب، صارخًا بشيء غير مفهوم.

ثم هرعت ترينا إلى مارك، ترمي ذراعيها حول عنقه، تقبله، وفارت في عقله ألف فكرة، فرأها في كل الأفكار. المصارعة في الفناء الأمامي لبيتها قبل أن يكبرا بما فيه الكفاية ليعرفا أي شيء، تبادل السلام على مدخل المدرسة، ركوب المترو، إمساكه بيدها في الظلام بعدما ضرب الوهج الشمسي، رعب الأنفاق، والمياه المتدفقة، ومبنى لنكولن، انتظار الإشعاع، سرقة القارب، عدد لا يحصى من الدرجات عبر أرض مدمرة مشوهة. لقد كانت في كل ذلك، مع ألك ولانا ودارنيل والآخرين.

وهنا، في نهاية المعركة، كانت ترينا بين ذراعيه.

وسيطر على العالم صوت رهيب وهتاف، لكنه سمع ما همست به في أذنه قبل أن تصطدم البرج بالمبنى.

- مارك.

خاتمة

بعد عامين

هناك مصباح إضاءة واحد معلق من سقف الشقة الكئيب، يتذبذب كل عشر ثوان أو نحو ذلك. وبطريقة ما، بدا أنه يمثل ما صار عليه العالم. وحيد صاخب يحتضر، متماسك بالكاد.

جلست المرأة على كرسيها في محاولة يائسة لعدم البكاء.

عرفت أن الضربة قادمة قبل حدوثها، وأرادت أن تكون قوية من أجل ابنها. اجعلوا الولد يعتقد أن الحياة الجديدة التي انتظرها شيء جيد، شيء يبعث على الأمل. كان عليها أن تكون قوية. عندما يكون ابنها -ابنها الوحيد- قد رحل، فعندئذ تتركه، ثم تبكي أنهارًا حتى ينساها الجنون.

جلس الولد إلى جوارها، بهدوء، دون حركة. مجرد طفل، ومع ذلك يبدو أنه فهم أن حياته لن تكون كما هي. كان لديه كيس صغير معبأ، على الرغم من أن المرأة افترضت أن محتوياته سيُتخلَّص منها قبل أن يصل ابنها إلى وجهته النهائية، ولذا فقد انتظروا.

فقام زوارهم بنقر الباب ثلاث مرات. لم يكن هناك غضب أو قوة في النقرات. تك، تك، تك. كنقر طائر رقيق.

قالت:

- ادخلوا.

فأرعبها علو صوتها. كانت أعصابها على الحافة.

فُتح الباب، ودخل رجلان وامرأة الشقة الصغيرة، مرتدين بذلات سوداء، وأقنعة واقية تغطي أفواههم وأنوفهم.

بدأت السيدة ذات حيثة.

قالت:

- أرى أنك مستعدة.

ثم علا صوتها، بينما كانت تسير للأمام وتقف أمام المرأة وابنها.

- نقدّر استعدادكم لتقديم مثل هذه التضحية. لا أحتاج إلى أن أخبركم كم يعني هذا للأجيال القادمة. نحن على أعتاب شيء عظيم جدًا. سوف نجد العلاج يا سيدتي، أعدك بذلك.

لم يكن بوسع المرأة إلا أن تستمع. لو حاولت أن تتكلم لخرج كل شيء: ألمها وخوفها وغضبها ودموعها، وهو ما سيضيع جهودها لتصبح قوية من أجل الطفل، فأبقتة في سد على نهر هائج.

كانت السيدة عملية للغاية. قالت وهي تمد يدها:

- تعال.

نظر الصبي إلى أمه. لم يكن لديه سبب ليمتنع عن الدموع، ولم يفعل، لتندفق على وجهه بحرية، فقام على قدميه واحتضنها، حطم قلبها مليون مرة. احتضنته مرة أخرى.

همست:

- سوف تقدم أشياء عظيمة لهذا العالم.

وحافظت على سيطرتها على نفسها بشكل ما وهي تكمل:

- سوف تجعلني فخورة جدًا. أحبك أيها الفتى الرائع. أحبك كثيرًا. لا تنس ذلك أبدًا.

وكان رده الوحيد هو أن بكى على كتفها، وقال ذلك كل شيء.

وأخيرًا يجب أن ينتهي.

قالت السيدة التي ترتدي البذلة والقناع الداكنين:

- أنا آسفة جدًا، ولكن لدينا جدولًا زمنيًا ضيقًا. حقًا أنا آسفة.

قالت الأم لابنها:

- هيا الآن. هيا، وكن شجاعاً.

تراجع، بوجه مبلى وعينين محمرتين. بدأ أن قوة تسيطر عليه، فأوماً إليها، يساعدها على الاعتقاد بأنه سيكون بخير في النهاية. كان قوياً.

استدار الصبي بعيداً، دون النظر إليها مجدداً. دخل الباب ومر به دون تردد، بلا نظرات إلى الورا، وبلا شكاوى.

قالت السيدة الزائرة:

- شكراً لك مجدداً.

وتبعت الصبي.

نظر أحد الرجال إلى المصباح المتدلي، ثم التفت إلى شريكه.

- أنت تعرف من اخترع هذه الأشياء، أليس كذلك؟ ربما ينبغي لنا أن نسّميه توماس.

ثم غادروا.

وعندما أغلق الباب، تكورت المرأة حول نفسها وسمحت لدموعها أن تنهمر أخيراً.

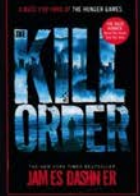
مكتبة
t.me/soramnqraa

أمر القتل

قبل بناء الجلايد، قبل أن يدخل توماس المتاهة، أطلق الوَهج الشمسيّ عنان الدمار على الأرض. وشَهد مارك وترينا كل ذلك، ونَجّوا رغم كل شيء. لكنّ الآن هناك مرضٌ عنيفٌ شديدٌ العدوى ينتشر كالنار في الهشيم. والأسوأ أنه يتحوّر، والناس يصابون بالجنون.

مارك وترينا مقتنعان بوجود طريقة لإنقاذ الذين تبقىوا أحياء من الجنون، وهما عازمان على إيجادها، فقط إن استطاعا تجنب الجنون والبقاء على قيد الحياة.

تحذير بحرق الأحداث: اقرأ "عداء المتاهة" أولاً.



telegram @soramnqraa

